كلّيّة الآداب

دائرة اللّغة العربيّة وآدابها

برنامج الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها

الجَذْرُ اللُّغويُّ "ن ز ل" في القُرآنِ الكَريمِ
دِراسَةٌ صَرْفِيَّةٌ مُعْجَمِيَّةٌ

إعدادُ الطّالب

مهنّد يوسف عمر مصلح

الرّقم الجامعيّ

1175399

إشراف

أ. د. مهدي أسعد عرار

قدّمت هذه الأطروحة استكمالًا لمُتطلّباتِ الحُصولِ على دَرَجَةِ الماجستيرِ في اللّغَةِ العَرَبِيَّةِ وآدابِها مِنْ كُلّيَّةِ الدّراساتِ العُليا في جامِعَةِ بيرزيت، فلسطين.

2022

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

كلّيّة الآداب

دائرة اللّغة العربيّة وآدابها

برنامج الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها

الجَذْرُ اللُّغَويُّ "ن ز ل" في القُرآنِ الكَريمِ
دِراسَةٌ صَرْفِيَّةٌ مُعْجَمِيَّةٌ

The Root 'N Z L' in the Holy Koran: morphological and lexical study

إعداد الطّالب

مهنّد يوسف عمر مصلح

إشراف

أ. د. مهدي أسعد عرار

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 2022/8/18 وأُجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. أ. د مهدي عرار / مشرفًا ورئيسًا	.....
2. د. عمر مسلّم / ممتحناً داخليًّا	.....
3. د. هاني البطّاط / ممتحناً خارجيًّا	.....

2022م

الإِهْدَاءُ

أُهدي بحثي المُتواضِعَ هذا:

إلى مَنْ كانا لي مَنْزِلًا عنْدَ الصّغَرِ لِأكونَ لهما نُزُلًا عنْدَ الكِبَرِ... أُمّي وأبي، أمدَّ اللهُ في عُمُرَيْهِما، وجَعَلَني قُرّةَ عَيْنٍ لَهُما.

وإلى مَنْ جَعَلَها اللهُ لي مِنْ نَفْسِي زَوْجًا، وجَعَلَ لي مِنها البَنينَ: عَمْرًا، واليَمانَ، ورَزَقَني وإيّاها مِنَ الطّيّباتِ... إلى مَنْ كانتْ لي سَكَنًا وسكينةً، ومودّةً مِنْ بعدُ وأمينةً... إلى شريكةِ الرُّوحِ وبلسَمِ القَلْبِ... أماني عبد الصّمد.

وإلى مَنْ رافَقُوني الدّربَ، وشارَكُوني العِلْمَ والحُبَّ، وأَمِنُوا مَعي الرّكْبَ... إخوَتي أحبَّتي، وأصدقائِي الكِرام.

وإلى مَنْ فَتَنُوا أرواحَنا؛ تضحيةً وعِزّةً وشموخًا... فكانوا الشّهداءَ والجرحى والأسرى، وكانوا الأكرمَ مِنّا جميعًا.

الشُّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ

الحَمْدُ للهِ الذي بِنعمَتِهِ تَتمُّ الصّالِحاتُ، وبِفَضْلِهِ تَتَنَزَّلُ البَرَكاتُ، وبِهَدي حبيبِهِ المُصطفى –صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّم– تُنيرُ الظُّلُماتُ، وبعدُ،

فإنّي بِبابِ الشُّكرِ لكُم –أساتذتي الأفاضلَ– ما حييتُ واقفٌ، ومِنْ بَحْرِ الفَضْلِ والتّقديرِ غارِفٌ، فلَكُم مِنّي جزيلُ الشّكرِ وعظيمُ الفَضْلِ لِما دَرَسْتُهُ عليْكُم مِنَ العِلْمِ والأدَبِ، فكُنتُم خيْرَ مَنْ جادَ وأعطى، وكانَ حقًّا عليَّ وأوْلى أنْ أكونَ مِمّنْ أشادَ بِكُم وأثنى. وأخصُّ بالذّكرِ والشّكرِ أستاذي الدّكتور مهدي عرار الذي أشرفَ على رسالتي بحِجابٍ ليّنٍ وبابٍ مفتوحٍ وخُلُقٍ نبيلٍ، وقد دَرَسْتُ عليْهِ اللُّغةَ: جَسَدًا، وعُلومًا، وبيانًا، فلم يكُنِ المنطوقُ عِندَهُ غريبًا عنِ المكتوبِ إلّا ما يمتازُ عنهُ في لُغةِ جَسَدِهِ التي رأيْتُ فيها البيانَ بِلا لِسانٍ، وسَمِعْتُ فيها اللّسانَ بِكُلِّ بَيانٍ.

ولا يفوتُني أنْ أتقَدَّمَ بِعَظيمِ الامْتِنانِ إلى عُضوَي اللَّجنَةِ المُشرِفَةِ على مُناقَشَةِ رسالتي: الدكتور عمر مسلّم، الذي تعلَّمْتُ مِنْهُ كيْفَ يكونُ التّلميذُ ابنًا بارًّا بِشَيْخِهِ، فكانَ نِعْمَ الأبُ والشّيْخُ. والدّكتور هاني البَطّاط، الذي شرَّفني مُمتَحِنًا خارجيًّا مِنْ خليلِ الرّحمنِ، ومُوَجّهًا بِملاحظاتِهِ، ومُعَلّمًا... فَلَكُم مِنّي –أساتذتي الكِرام– وَلِمَنْ كانَ لَهُ حَقٌّ عليَّ مِنْ أساتذةِ دائرةِ اللّغةِ العربيّةِ في جامِعَةِ بيرزيت جزيلُ الشُّكرِ والثّناءِ... فجزاكُم اللهُ عنّي خيْرَ الجزاءِ.

مهنّد

الْإِقْرَارُ

أَنَا الْمُوَقِّعُ أَدْنَاهُ، مُقَدِّمُ الْأُطْرُوحَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْعُنْوَانَ:

الجَذْرُ اللُّغويُّ "ن ز ل" في القُرآنِ الكَريمِ
دِراسَةٌ صَرْفِيَّةٌ مُعْجَمِيَّةٌ

أُقِرُّ بِأَنَّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأُطْرُوحَةُ هُوَ نِتَاجُ جُهْدِي الْخَاصّ، بِاسْتِثْنَاءِ مَا تَمَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، إذ إنَّ هَذِهِ الْأُطْرُوحَةَ كَامِلَةً أَوْ أَيَّ جُزْءٍ مِنْهَا لَمْ يُقَدَّمْ مِنْ قَبْلُ لِنَيْلِ أَيِّ دَرَجَةٍ، أَوْ لَقَبٍ عِلْمِيٍ، أَوْ بَحْثٍ لَدَى أَيِّ مُؤَسَّسَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ، أَوْ بَحْثِيَّةٍ أُخْرَى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	.....	اسم الطالب:
Signature:	.....	التوقيع:
Date:	.....	التاريخ:

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإِهْدَاءُ	ج
الشُّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ	د
الْإِقْرَارُ	هـ
قائمةُ المحتوياتِ	و
الملخّصُ	ح
Abstract	ط
المقدّمةُ	1
الفَصْلُ الأوّلُ: الجَذْرُ "ن ز ل": التّجلياتُ الفِعليَّةُ في الدّلالَةِ الصَّرفيَّةِ والمُعجمِيَّةِ	**10**
المَبْحَثُ الأوّلُ: المُجرّدُ الثّلاثيّ للفِعْلِ "نزل"	27
المَبْحَثُ الثّاني: مَزيدُ الثّلاثيّ للفِعْلِ "نزل"	32
الفَصْلُ الثّاني: الجَذْرُ "ن ز ل": التّجلياتُ الاسْمِيّةُ في الدّلالَةِ الصَّرفيَّةِ والمُعجَمِيَّةِ	**67**
المَبْحَثُ الأوّلُ: دلالَةُ صيغةِ "فُعُل"	70
المَبْحَثُ الثّاني: دلالةُ صيغةِ اسمِ المرّة "فَعْلة"	75
المَبْحَثُ الثّالثُ: دلالةُ صيغةِ "مَفاعِل"	77
المَبْحَثُ الرّابعُ: دلالةُ صيغةِ الاسمِ المُشتَقّ مِن "أفعل"	80
المَبْحَثُ الخامِسُ: دلالةُ صيغَةِ الاسمِ المُشتَقّ مِن "فعّل"	85
الفَصْلُ الثالثُ: دلالـةُ الأبنيَـةِ الصَّرفيَّةِ لِلجذْرِ اللّغويّ "ن ز ل" فـي ضَوْءِ السّياقِ القُرآنِيّ	**93**
المَبْحَثُ الأوّل: تعدُّدُ المعاني المُعجميّة: مُشتقّات "نزل" بين الحقيقة والمجاز	95
المَبْحَثُ الثّاني: دلالاتُ مُشتقّاتِ "نزل" في سياقِها التّركيبيّ	102

الموضوع	الصفحة
المَبْحَثُ الثّالث: تعدّدُ وجوهِ القراءاتِ: مُشتقّات "نزل" مِنَ الاختلافِ إلى الائتلاف	116
المَبْحَثُ الرّابِع: ظواهرُ أسلوبيّةٌ في سياقِ الجذرِ اللُّغويّ "ن ز ل" التّركيبيّ	126
المقولاتُ الكُلّيَّةُ	163
قائمةُ المصادرِ والمراجعِ	171

الْمُلَخَّصُ

هذهِ دراسةٌ لسانيّةٌ طلبَتِ الدّرسَ الصّرفيَّ المُعجميَّ للجَذْرِ اللّغويّ (ن ز ل)، بتتبُّعِ المواضِعِ والصّيغِ الّتي جاء هذا الجذرُ عليها اسميةً كانتْ أم فعليةً، وميْدانُ هذهِ الدّراسَةِ ميْدانٌ مُعجِزٌ في لفظِهِ ومعناه، ألا وهُوَ القُرآنُ. وبعدَ إحصاءِ المواضِعِ في تراكيبِها والأساليبِ والتّشكيلاتِ المُتباينَةِ نقَّبَتِ الدّراسَةُ عنِ القراءاتِ المتواترةِ، وعنْ أثرِ تعدُّدِ هذهِ القراءاتِ في تغيُّر الدّلالةِ المُعجميَّةِ وتعدُّدِ المعاني الصّرفيّة والنّحويّة، ومِنْ ثَمّ بَيَّنَتْ ما يمكنُ أنْ ينبثِقَ عن ذلكَ مِنْ خِلافاتٍ فقهيّةٍ في التّفسيرِ أو في تجليةِ بعضِ المعاني الحقيقيةِ والمجازيَّةِ في ضَوءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، كما أبرَزَتِ التّعالُقَ اللّغويَّ بينَ المُستوى الصّرفيّ والمستوياتِ اللّغويةِ الأخرى لا سيّما المُعجميّ والتّركيبيّ ومواضِعَ هذا التّعالقِ وبواعثَهُ. كلّ ذلك للإجابةِ عن السّؤالِ المركزيّ الذي نهضَتْ بِهِ الدّراسَةُ، ألا وهو:

ما الأثرُ المعنويّ الذي يُضفيهِ التّغيّرُ الصّرفيّ؛ حيثُ تصرّفُ الأفعالِ واشتقاقُ الأسماء، المُودَعُ فيهِ الجذرُ اللّغويُّ (ن ز ل) في القرآنِ الكريم؟

Abstract

This linguistic study aims at exploring and eliciting the lexical and morphological facets of the root **'N Z L'** by tracking the places in, and the forms on which it occurs whether within nominal or verbal structures. The context of the study is miraculous in its enunciation and meaning – The Holy Koran. After counting and categorizing these places pertaining to structure and manner of occurrence with all possible variant formations, this study explores the different authentic recitations of the Holy Koran, and their role in changing the lexical semantics and the various morphological and syntactic meanings, and then demonstrates what would emerge from these differences regarding disputes over jurisprudential interpretations or clarification of some literal and metaphorical meanings in the context of the Holy Koran. Moreover, it sheds light on the linguistic cohesion among the morphological the lexical and syntactic levels, and the places of such cohesion and the motives that underlie it. This study attempts to answer the question of:

How does the change in the morphological aspect of the root 'N Z L' (i.e., verbs and nouns derivations) affect the lexical semantics in the Holy Koran?

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا(105) وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا(106) ﴾

[الإسراء ١٠٥- ١٠٦]

المُقدّمةُ

يقومُ هذا البحثُ على استشرافِ تجلّياتِ الجَذْرِ اللّغويّ (ن ز ل) صرفيًّا ومُعجَميًّا في التّنزيلِ العزيزِ، مُتَتبّعًا المواضِعَ والصّيغَ التي وَرَدَ فيها هذا الجذرُ اسْمَيةً كانتْ أم فِعْليةً. وقد جعلَ الباحثُ التّنزيلَ العزيزَ مجالًا لبحثِهِ لِما أظهرَهُ مِنْ إعجازٍ في اللّفْظِ والمعنى، ودلالةِ التّراكيبِ والأساليبِ وتشكيلاتِها المُتباينة. وقدْ بذلَ العلماءُ القُدماءُ والمُحدَثون الجهودَ في التّنقيب عن المعاني الصّرفيةِ والمُعجَميّةِ في القرآنِ الكريمِ وغيرِهِ؛ لذا فإنَّ هذهِ الدراسةَ كشفَتْ عمّا تعتريهِ صيغُ الجذرِ (ن ز ل) مِن دلالاتٍ ومعانٍ، وَعليهِ، قامَ الباحثُ في دراستهِ هذهِ بتتبُّعِ هذا الجَذْرِ اللُّغويّ في القرآنِ الكريمِ:

- **تَحسُّسًا** لمواضعِ الصّيغِ الاسميّةِ والفِعليّةِ الّتي جاءَ عليها الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل)، وذلكَ مِنْ خلالِ إحصائِها وتصنيفِها وَفقًا لِما يتناسَبُ وهيكليةَ البحث.
- **وتَنْقيبًا** عنِ القراءاتِ المتواترةِ في الآياتِ الّتي جاءَ فيها الجذر (ن ز ل)، وعنْ أثرِ هذه القراءاتِ في تغيّرِ الدّلالةِ المُعجميّةِ، وتعدّدِ المعاني الصّرفيّةِ والنّحويّةِ.
- **وتَبيُّنًا** لِما يمكنُ أنْ ينْبَثِقَ عنْ ذلكَ مِن خلافاتٍ فقهيّةٍ في التّفسيرِ، أو في تجليةِ بعضِ المعاني الحقيقيَّةِ والمجازيَّةِ في ضَوءِ السّياقِ القرآنيّ.
- **وبيانًا** لِجُملةٍ مِنَ التّشكيلاتِ الأسلوبيةِ كالالتفاتِ، والتّقديم والتأخير في النّظمِ القرآنيّ، وأسلوبَيْ القصرِ والحذفِ.

مشكلةُ البحث

تناولَ هذا البحثُ الجذرَ اللُّغويّ (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ في ضَوءِ الدِّراسَةِ الصَّرفيَّةِ والمُعجميَّةِ، وذلكَ بتتبّعِ أبنيةِ أفعالِ هذا الجذرِ اللّغويّ وأسمائِهِ؛ فمنها ما يختصُّ بالمصادِرِ، ومنها ما يختصُّ بالمُشتقّاتِ مِن مِثلِ اسمِ الفاعِلِ واسمِ المفعولِ...، "وما مِن شَيءٍ أعلى سببًا في درسِ المُستوى الصّرفي مِن كَوْنِهِ يقومُ على مجموعةٍ مِنَ المعاني الصّرفيَةِ الّتي تتمثّلُ في صيغٍ صرفيّةٍ، بعضُها يرجعُ إلى التّقسيمِ، والآخرُ إلى التّصريف.

وثمّـةَ علاقـاتٌ عضـويّةٌ وأخـرى مقـابلاتٌ وقِـيَمٌ خلافيّـةٌ بـينَ معنـىً ومعنًـى، أو بـينَ مبْنًـى ومبنًى"[1]. وبناءً على ما سبقَ يحاولُ البحثُ الإجابةَ عن السُّؤالِ المركزيّ له، وهو:

ما الأثرُ المعنويُّ الّذي يُضفيهِ التّغيّرُ الصّرفيُّ؛ حيثُ تصرّفُ الأفعالِ واشتقاقُ الأسماءِ، في الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ؟

وما ينفذُ إليهِ السُؤالُ المركزيّ مِنْ أسئلةٍ فَرعيةٍ هي:

- كيـفَ تـؤدّي الصّـيغُ الفعليّـةُ والاسْـميةُ للجـذر (ن ز ل) فـي القـرآنِ الكـريمِ المعـانيَ الصّرفيّةَ والنّحويّةَ المتعدّدة؟
- مـا الأثـرُ الناشـئُ عـنِ اخـتلافِ القراءاتِ القرآنيـةِ المتواترةِ فـي بيـانِ المعـاني الصـرفيّة لمشتقّات الجذر (ن ز ل)؟
- كيـفَ لدراسـةِ الجـذرِ اللُّغـويّ (ن ز ل) المُعجَميـةِ أنْ تبحـثَ فـي نشـوءِ المـادّةِ اللّغويـةِ وتطوّراتهـا الاسـتعماليّةِ وتراوحِهـا بـينَ الحقيقـةِ والمجـازِ، وأنْ يُفضـيَ ذلـكَ إلـى خـلافٍ فقهيٍّ؟
- هـل مِـنْ تعـالُقٍ لغـويٍّ ينبثِـقُ عـن دراسـةِ الجـذر (ن ز ل) بـين المسـتوى الصّـرفيّ والمسـتوياتِ اللّغويّـةِ الأخـرى لا سيّما المُعجمـيّ والتّركيبـيّ؟ ومـا مواضـعُ هـذا التعـالُقِ وبواعثُه؟

أهدافُ البحثِ وأهميّتُهُ

لا شكّ أنّ أيّ دراسةٍ تحتاجُ لأنْ تكونَ ممتازةً عنِ غيرِها مِنَ الدّراساتِ الّتي سبقَتْها في الموضوعِ ذاتِهِ، ولا يدّعي الباحثُ أنّه سيأتي بِما لم يأتِ بهِ أحدٌ مِنْ قبلُ، إلا أنّ ما يرجوهُ أنْ تكونَ ورقتُهُ البحثيّةُ هذهِ فاتِحةً لِدراسةٍ لغويةٍ شامِلةٍ للجذر (ن ز ل)؛ ولذا فإنّ ما أفضى إليْهِ البحثُ مِنْ أهدافٍ يكمُنُ في جوانبَ خمسةٍ، وهي:

---

[1] انظر: تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب، 2006م، ص35-36.

أولًا: الوقوفُ على البنى الصّرفيّة للجذر (ن ز ل)، ومُحاولةُ استنطاقِ دلالاتِها الصَّرفيَّةِ والنَّحويَّةِ والمُعجَميَّةِ في السّياق القرآنيّ بالرُّجوعِ إلى أُمّاتِ التّفاسيرِ وكُتُبِ المُعجَماتِ وعلومِ اللُّغَةِ.

ثانيًا: بيانُ التَّعالُقِ اللُّغويّ بينَ المستوى الصّرفيّ والمستوياتِ اللّغويّةِ الأُخرى، ولا سيّما التَّركيبيّ والمُعجميّ.

ثالثًا: استجلاءُ القراءاتِ القُرآنيَّةِ في بعضِ مواضِعِ الجذر (ن ز ل) في القُرآنِ الكريمِ، والوقوفُ على أَثَرِ تعدُّدِ القِراءاتِ في تعدُّدِ المعاني الصَّرفيَّةِ.

رابعًا: الكشفُ عنِ الخِلافاتِ الفِقهيَّةِ النَّاشِئَةِ عنِ الدِّراسَةِ المُعجَميَّةِ للجذر (ن ز ل)، مثالُ ذلكَ "النزول" بينَ الحقيقةِ والمجاز.

خامسًا: دراسةُ بعضِ التَّشكيلاتِ الأسلوبيّةِ للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في القُرآنِ، مِنْ مِثلِ الغَيْبَةِ والحُضورِ والتّقديم والتّأخير والحذفِ والذّكرِ... وغيرها.

وتكمُنُ أهميةُ الدِّراسةِ في أنّها ترتكزُ على أسسٍ أهمُّها أنّ التنزيلَ العزيزَ نوّعَ في تجلّياتِ هذهِ المادّةِ وصيغِها الصّرفيّةِ، فكانَ مِنْها الفعلُ وما يتعدّدُ فيهِ مِنْ تصريفاتٍ، وكانَ منها الاسمُ وما يتنوّعُ فيهِ مِنْ صُورٍ وهيئاتٍ. وأنّ الجذرَ اللُّغويّ (ن ز ل) في القُرآنِ الكريمِ استُعمِلَ في مئتينِ وثلاثةٍ وتسعينَ موضِعًا. وأساسٌ آخرُ تعتمدُهُ الدّراسةُ منهجًا؛ ألا وهو الدّلالةُ المُعجَميَّةُ للجذر (ن ز ل)، وما تُفضي إليهِ مِنْ دلالةٍ مركزيّةٍ ودلالاتٍ هامشيّةٍ يكشفُ عنها السّياقُ القرآنيُّ الشّريفُ في ضَوءِ الدّراسةِ الصّرفيّةِ وتعدُّدِ الأبنيةِ والصّيغِ. ولعلّ في اختلافِ القراءاتِ أساسًا ثالثًا فيهِ ما فيهِ مِنَ البيانِ وتجليةِ المعاني الصَّرفيّةِ والتَّركيبيَّةِ.

منهجُ البحث

اتّبَعَ الباحِثُ في بَحْثِهِ المنْهَجَ الوَصْفِيَّ التَّحليليَّ، وقدْ تتبَّعَ مواضِعَ الجَذْرِ اللُّغويّ "ن ز ل"، ومِنْ ثَمّ توزيعُها وَفْقَ مستويَيْنِ: الصّيغةِ الفِعليّةِ، والصّيغَةِ الاسميَّةِ كما هو جليٌّ في بِنيَةِ البحثِ.

وانحازَ الباحِثُ، في اختيارِهِ، لِلمنهجِ الوصفيَّ، كيْ يُضمّنَ في دراستهِ أهميةَ الدّرسِ الصّرفيّ ودلالتَهُ، ودواعيَ بحثِهِ، والهدفَ مِنْهُ في ضَوءِ الدّراساتِ السّابقةِ، والمنهجَ التّحليليّ. ولَعلَّ ما يرمي إليهِ في منهجِ الدّراسةِ هو إبرازُ ما جاءَتْ بِهِ أُمّاتُ التّفاسيرِ وكُتُبُ علومِ اللُّغَةِ، والوقوفُ على آراءِ القُدُماءِ والمُحدَثينَ؛ كيْ يتسنّى للباحثِ بعدَها مُقارنَةُ الآراءِ وترجيحُ بعضِها قَدْرَ ما يُمكنُهُ ذلكَ، ومِنْ ثَمّ الوصولُ إلى النّتائجِ الّتي يرمي إليها البحثُ.

وفي النّظرِ إلى الدِّراساتِ الّتي تناولتْ تعدّدَ الصّيغِ الصّرفيَّةِ ودلالاتِها المُتباينَةَ، فإنّهُ يُلاحَظُ أنّ معظمَها يقومُ على أساسٍ إحصائيٍّ تصنيفيٍّ؛ لِذا كان على الباحثِ قَبْلًا أنْ يُحصِيَ المواضعَ، ومِنْ ثَمّ يُصنّفها قبلَ أنْ يُعيّنَ ما ترمي إليهِ الصّيغُ مِنْ دلالاتٍ، وهذا الأساسُ الأولُ الّذي يقومُ عليهِ المنهجُ الوصفيُّ التّحليليُّ.

الدّراساتُ السّابِقَةُ

تقدّمَ هذهِ الدراسةَ دراساتٌ سابقةٌ بعضُها تناولَ صيغًا بعيْنِها تناولًا دلاليًا في القرآنِ الكريمِ أو في غيْرِهِ، ومِنها:

1. "دورُ البِنيَةِ الصَّرفِيّةِ في وَصْفِ الظّاهِرَةِ النَّحويَّةِ وتَقعيدِها"، للطيفة إبراهيم النجّار، قُدّمَتْ هذهِ الرّسالةُ استكمالًا لمتطلّباتِ نيْلِ درجةِ الماجستيرِ في تخصّصِ اللّغةِ العربيّةِ وآدابها بكلّية الدراساتِ العليا في الجامعةِ الأردنيّةِ، 1993م.

دراسةٌ تقعُ في مستويينِ لغويّيْنِ: أوّلُهما يعرِضُ لأنواعَ الأبنيةِ في العربيّةِ منْ حيثُ الأقسامُ وضوابطُ الصّوْغ ووسائلُ البناء، كما ويعرضُ لِمظاهرِ التّحوُّلِ الطّارِئ التي قد تُغيّر معنى البِنيةِ الصّرفيّةِ ومبناها. والآخرُ يُبيّنُ دورَ البنيةِ الصّرفيّةِ في تحديدِ الوظيفةِ النّحويَّةِ،

ودورَها في الإعرابِ والنّظمِ، وتأثيرَها في عملية الرّبطِ والوصلِ بين المُفردات، وأثرَها في ظاهرةِ الإيجازِ والاختصار، وفي ظاهرة التّقديم والتأخير وإعادة ترتيب المفردات في التّركيب، وفي ظاهرةِ الحذف والقول بالتّقدير والتأويل.

وتتّخذُ هذهِ الدّراسةُ منهجًا أساسُهُ تقديمُ صورةٍ جليّةٍ للأصولِ العامّةِ التي قام عليها النّظامُ الصّرفيُّ في العربيّة، والضّوابطِ الصّرفيّةِ المجرّدةِ التي تشكّلُ بنيةَ هذا النظامِ. وكيفَ يُمكنُ لهذا النّظامِ الصّرفيّ أنْ يمتدّ أو يتعالقَ بغيرهِ مِنَ الأنظمةِ اللّغويّة مِنْ مِثْلِ الصّوتيّ والتّركيبيّ والدّلاليّ. وبذلكَ تكونُ هذهِ الدّراسةُ سابقةً يقفُ الباحثُ عليها تمثُّلًا ومرجعًا ولا سيّما في الفصل الأخير مِن فصولِ رسالتِهِ حيثُ دلالةُ الأبنيةِ الصّرفيّةِ للجذر (ن ز ل) ومشتقاتهِ في سياقها التّركيبيّ، وتحديدًا في مبحثِ الظّواهرِ الأسلوبيّةِ حيثُ العدولُ والتّقديمُ والتّأخيرُ والقَصْرُ والحذْفُ... .

2. "اسما المكانِ والزّمانِ في القُرآنِ الكريمِ: دراسَةٌ صَرفيّةٌ دلاليّةٌ"، لناصر عقيل الزغلول، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2006م.

عرّف فيها الباحثُ اسميْ المكان والزّمان واشتقاقَهما والأبنيةَ الّتي يأتيانِ عليها قياسيةً وسماعيةً في الفصولِ الثلاثةِ الأُوَلِ، ثمّ عرضَ لِموضوعِ الاشتراكِ في الصّيغ في الفصل الرّابعِ مِن دراسته؛ مِن مثلِ الاشتراكِ الواقعِ بين اسمَيْ المكانِ والزّمانِ والمصدرِ الميميّ مِن الفعلِ الثُّلاثيّ، والاشتراكِ الواقعِ بينهما وبينِ المصدرِ الميميّ واسمِ المفعولِ مِنْ غيرِ الثُّلاثيّ، والاشتراكِ الواقعِ بينَ اسمَيْ المكان والزّمانِ والمصدرِ الميميّ واسمِ الفاعلِ واسمِ الآلةِ في بناءِ (مَفاعِل)... ثمّ تناولَ في فصلِهِ الأخيرِ الحقلَ الدّلاليَّ للأماكنِ والأزمنةِ المرتبطةِ بالإنس والجنّ، وأماكنِ أزمنةٍ أخرى خاصّةٍ بغيرِ الإنسانِ والجانّ والطّبيعةِ في القرآنِ الكريمِ.

وهذهِ الدراسةُ، وإنْ كانتْ لا تتناولُ الجذرَ اللّغويّ، فهي –لا شكَّ– سابقةٌ على موضوعِ البحثِ؛ لِكوْنِها تدرسُ الصّيغةَ الصّرفيّةَ موضوعًا في القرآن. وهذا يُفيدُ في دراسة

الجذر بصفته مادّةَ القالَبِ الصّرفيّ الأساسِ، ثُمّ يكونُ مِنها صيغٌ صرفيَّةٌ دالّةً على معانٍ مشتركَةٍ وأخرى متباينَةٍ.

3. "صيغة "فعّل" في القرآن الكريم: دراسةٌ صرفيَّةٌ دلاليَّةٌ"، لأحلام ماهر حميد، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2008م.

عرضَتِ الباحثةُ الصيغةَ الصرفيّةَ "فعّل" التي وقفتُ عليها في دراستي للصيغةِ "نزّل"؛ وما ينبثقُ عنها من معاني الزّيادةِ عليها مِن مثلِ التكثيرِ والمبالغةِ والتَّضعيفِ والتّعديَةِ، والصَّيرورةِ والدُّعاءِ، وغيرها ممّا عرضت الباحثةُ في كتابها. وما يفيدُني مِن دراستها أنّها تناولتِ الفِعْلَ "نزّل" بدلالةِ الهبوطِ مِنَ الأعلى مِنْ جُملة الأفعال، وهذا في دراستي يحتاجُ إلى بسطٍ وتبيانٍ، ولا سيّما في الدّلالَةِ المُعجمِيّةِ.

وانتظمتْ أطروحةُ أحلام حميد في أربعةِ فصولٍ؛ تناولت في أوّلِها قضايا صوتيةً في دراسةِ الصّيغةِ "فعّل"، وعرضًا مُفصَّلًا لمعانيها بحسْبِ عنايةِ علماء العربيّةِ بها. أما الفصلُ الثّاني فتضمّنَ الأفعالَ الّتي جاءتْ على معنى التّكثيرِ والمُبالغَةِ. وتناولتْ في الفصلِ الثّالثِ معنى الصّيرورةِ لـ "فعّل". أما الرّابعُ فعرضَتْ معانيَ أخرى لم يحوِها الفصلانِ السابقانِ له.

4. "ظاهرة تعدّد المعاني الصّرفيّة في العربيّة بينَ المواضِعِ والبواعِثِ"، لمهدي عرار، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة الكويت، العدد 113/29، 2011م.

مُباحثةٌ صرفيّةٌ في دراسةِ الجذرِ اللُّغويّ على وجهِ الخصوصِ؛ إذ تناولَ فيها الباحثُ ظاهرةَ تعدُّدِ المعاني الصّرفيّةِ، وتمثّلتْ هذهِ المُباحثةُ في مطالِبَ رئيسَةٍ: أوّلُها عرض فيها الباحثُ سؤالًا عن المعنى الصّرفي في كلمة "موعِد" في سياقها القرآنيّ الشّريف: (فاجعلْ بينَنا وبينَكَ موعِدًا لا نخلُفُهُ)؛ ذلك أنّ "موعِدًا" حمّالةٌ لثلاثَةِ معانٍ صرفيّةٍ، وهي مُودَعةٌ في سياقِها الشّريفِ، المصدرِ واسمِ الزّمانِ واسمِ المكانِ. ومِنْ ثَمَّ جلَّى لِهذهِ الظاهرةِ مِن أشعارِ العرب. أمّا المطلبُ الثّاني فبيّن فيهِ مقاصِدَ العُنوانِ، حيثُ ظاهرةُ الاشتراكِ الصّرفيّ، ومنها "المُشترَكُ اللّفظيُّ" الدّالُّ على اتّفاقِ المباني وافتراقِ المعاني. ومِن هذهِ الدّراسةِ أتبيّنُ اللّفظةَ

"نـزل" فـي ضَـوءِ الدِّراسَـةِ الصَّـرفيَّةِ. أمّـا المطلـبُ الثّالِـثُ ففيـهِ استشـرافٌ لِمواضِـعِ الظّـاهِرَةِ وللبواعثِ المُفضيةِ إلى تخلُّقِها.

ومِن هذهِ المُباحثَةِ سأقوم بتدبّرِ ما جاءَ فيها مِنْ عوامِلَ لظاهرةِ المُشترَكِ الصّرفيّ داخليةٍ تتمثّل في تناوبِ الصّيغِ وتعدّدِ معانيها، والعوارضِ التّصريفيَّةِ التي تعتورها، وتعدّد معنى السّوابق واللّواحق، وتعدّد معاني صيغِ الأفعالِ. وعوامِلَ خارجيَّةٍ مكانيَّةٍ كاللّهجاتِ، وزمانيةٍ كالتطوّرِ اللُّغويّ. وبعدَ التدبّرِ وحُسنِ النّظرِ في هذه المُباحثةِ يُصبِحُ لديَّ البواعثُ المهمّةُ في تناولِ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) صرفيًّا ومُعجَميًّا في ضَوءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، وهذا ما أحاولُ جاهدًا الوقوفَ عليه.

بِنيَةُ البَحث

يأتَلِفُ هذا البَحثُ مِنْ مُقدّمةٍ وثلاثَةِ فصولٍ، ويُقفَلُ بِمقولاتٍ كُلّيّةٍ تتضمَّنُ النّتائجَ والتّوصِيَاتِ، ويليها ثبَتٌ بالمصادِرِ والمراجِعِ.

المُقدّمةُ

الفَصْلُ الأوّلُ: الجَذْرُ "ن ز ل": التّجلّياتُ الفِعليَّةُ في الدِّلالَةِ الصَّرفيَّةِ والمُعجَمِيَّةِ

- المَبْحَثُ الأوّلُ: المُجرّد الثّلاثيّ للفِعْلِ "نزل"
- المَبْحَثُ الثّاني: مَزيدُ الثّلاثيّ للفِعْلِ "نزل":
  1. صيغة "أفعل"
  2. صيغة "تفعّل"
  3. صيغة "فعّل"

الفَصْلُ الثّاني: الجَذْرُ "ن ز ل": التّجلّياتُ الاسْمِيّةُ في الدِّلالَةِ الصَّرفيَّةِ والمُعجَمِيَّةِ

- المَبْحَثُ الأوّلُ: دلالَةُ صيغةِ "فُعُل"
- المَبْحَثُ الثّاني: دلالةُ صيغةِ اسمِ المرّة "فَعْلة"

- المَبْحَثُ الثّالثُ: دلالةُ صيغةِ "مَفاعِل"
- المَبْحَثُ الرّابعُ: دلالةُ صيغةِ الاسمِ المُشتَقّ مِن "أفعل"
- المَبْحَثُ الخامسُ: دلالةُ صيغَةِ الاسمِ المُشتَقّ مِن "فعّل"

الفَصْلُ الثالثُ: دلالةُ الأبنيَةِ الصَّرفيَّةِ لِلجذْرِ اللُّغويّ "ن ز ل" في ضَوْءِ السّياقِ القُرآنِيّ

- المَبْحَثُ الأوّلُ: تعدُّدُ المعاني المُعجَميّة: مُشتقّات "نزل" بينَ الحقيقةِ والمَجاز
- المَبْحَثُ الثّاني: دلالاتُ مُشتقّاتِ "نزل" في سياقِها التّركيبيّ
- المَبْحَثُ الثّالثُ: تعدّدُ وجوهِ القراءاتِ: مُشتقّات "نزل" مِنَ الاختلافِ إلى الائتلافِ
- المَبْحَثُ الرّابِعُ: ظواهرُ أسلوبيّةٌ في سياقِ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) التّركيبيّ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الجَذْرُ اللُّغويّ (ن ز ل):

التّجلّياتُ الفِعليّةُ في الدّلالَةِ الصَّرفيَّةِ والمُعْجَمِيَّةِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الجَذْرُ اللُّغويّ (ن ز ل): التّجلّياتُ الفِعْليّةُ في الدّلالَةِ الصَّرفيَّةِ والمُعْجَمِيَّةِ

وَرَدَتْ كلماتُ مادّةِ (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ مئتيْنِ وثلاثًا وتسعينَ مرَّةً، وكانَ مِنها ما وَرَدَ بِلفظِ الماضي نحوَ قولِهِ تعالى: {وَبِالْحَقِّ **أَنْزَلْنَاهُ** وَبِالْحَقِّ **نَزَلَ** وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الإسراء: 105]، ومِنها ما وَرَدَ بلفظِ المضارع نحوَ قولِهِ تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ و**يُنَزِّلُ** لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا} [غافر: 13].

ومِنها ما وَرَدَ بِلفْظِ المصدرِ نحوَ قوْلِهِ تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ **تَنْزِيلًا**} [الإسراء: 106]، ومِنها ما وَرَدَ بِصيغةِ اسمِ الفاعلِ نحوَ قولِهِ تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ **الْمُنْزِلِينَ**} [المؤمنون: 29]، ومنها ما وَرَدَ بِصيغَةِ اسمِ المفعولِ نحوَ قوْلِهِ تعالى: {يَعْلَمُونَ أَنَّهُ **مُنَزَّلٌ** مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [الأنعام: 114]، ومنها ما وَرَدَ بِصيغَةِ الجمْعِ نحوَ قوْلِهِ تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ **مَنَازِلَ** حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس: 39]، وقوْلِهِ تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ **نُزُلًا**} [الكهف: 102]، ومنها ما وَرَدَ بِصيغَةِ المَرَّة نحوَ قوْلِهِ تعالى: {وَلَقَدْ رَآهُ **نَزْلَةً** أُخْرَى} [النجم: 13].

أمّا عنِ الدّلالاتِ السّياقيّةِ التي وَرَدَ فيها الجذْرُ (ن ز ل) في الآياتِ القرآنيّةِ على صيغَتِه الفِعْلِيّةِ فيذكرُها الباحِثُ مُعتمدًا الدّلالةَ المُعْجَمِيَّةَ في ضَوءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، وهي على النّحوِ الآتي:

1) دلالةُ الهُبوطِ مِنْ عُلُوٍّ

وهي الدّلالةُ البُرْزى سياقيًا مِنْ بينِ الدّلالاتِ الأخرى، ومِن الأمثلةِ عليها في التّنزيلِ العزيزِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودا**﴾ **[النساء 61]**.

فَقَوْلُهُ: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا) أي: إذا قيلَ لهم احضُروا، أو ايتُوا، فإنَّ (تعالَ) كلمةٌ تدلُّ على الأمرِ بالحضورِ والإقبال، فمفادُها حرفُ النداء إلا أنّها لا تنبيهَ فيها. واختلفَ أئمةُ

العربيّةِ في أنّه فعلٌ أو اسمُ فعلٍ، والأصحُّ أنّه فِعلٌ؛ لأنّهُ مشتقٌّ مِنْ مادَّةِ العُلوّ. ولذلكَ قالَ الجوهريُّ في صحاحِ الجوهري: والتعالي والارتفاع[1]. ولمّا كانَ مِن معنى العُلُوِّ في لفظِ (تعالَوا) ناسبَ ذلكَ معنى (نزلَ) في صيغةِ (أفعل)، وما فيها مِن تعديةٍ؛ ذلكَ أنّ سياقَ الآيةِ سياقُ ردٍّ وصدٍّ.

وللسّياقِ الشّريفِ أثرٌ يُجلّي معنى الهبوطِ مِن العُلُوّ؛ إذ "لمّا ذكرَ ضلالَهم بالإرادةِ، ورغبتَهم في التّحكُّمِ إلى الطّاغوتِ؛ ذكرَ فِعلَهم فيهِ في نَفْرَتِهم عنِ التّحاكُمِ إلى رسولِ اللهِ –صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّم– فقالَ: (وإذا قيلَ لهم)؛ أي: مِنْ أيّ قائلٍ كان؛ (تعالوا)؛ أي أقبلوا رافعينَ أنفسَكم منْ وِهادِ الجهلِ إلى شرفِ العلمِ؛ (إلى ما أنْزَلَ اللهُ) أي: الذي عِندَهُ كُلُّ شيءٍ؛ (وإلى الرسول)؛ أي: الذي تَجِبُ طاعتُهُ؛ لأجلِ مُرسلِهِ؛ مع أنّهُ أكمَلُ الرّسلِ الذينَ هُم أكمَلُ الخَلْقِ رسالةً؛ رأيْتَهم يصدّونَ مُستكبرينَ، فأظهَرَ الوصْفَ الذي دَلّ على كَذِبهم فيما زعمُوهُ من الإيمان[2].

وفي موضعٍ آخر، يُستدلُّ على دلالةِ الهبوط مِن عُلُوّ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿**خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ [لقمان 10]؛ ذلك أنَّ قَوْلَهُ: (وأنْزَلَنا مِنَ السّماءِ ماءً) يعني المطرَ، والمُرادُ بالسّماءِ جهةُ العُلُوِّ، وجُوّزَ تفسيرُها بالمِظلّةِ، وكونُ الإنزالِ مِنها بِضَرْبٍ مِنَ التّأويلِ، وتركُ التّأويلِ لا ينبغي أنْ يعوَّلَ عليهِ، إلا إذا وُجِدَ مِنَ الأدلّةِ ما يضطرُّنا إليْهِ؛ لأنّ ذلكَ خلافُ المُشاهَدِ، (فأنْبتنا فيها) أيْ بسببِ ذلكَ الماءِ (مِنْ كُلِّ زوجٍ) أيْ صنفٍ (كريمٍ) أيْ شريفٍ كثيرِ المنفعةِ، والالتفاتُ إلى ضميرِ العَظَمَةِ في الفِعليْنِ (أنْزلنا) و(أنْبتنا) لإبرازِ مزيدِ الاعتناءِ بهما لتكرُّرهما مَعَ ما فيهما مِنِ استقامَةِ حالِ

---

[1] انظر: ابن عاشور، محمد الطّاهر، التحرير والتّنوير، الدار التونسيّة للنّشر، تونس، 1984م، 105/5.

[2] انظر: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984م، 314/5.

الحَيوانِ وعِمارَةِ الأرضِ ما لا يخفى[1]. ولا شكّ أنّ في (أنْزلنا) دلالةَ عُلُوِّ المُنزِل في القُدرةِ، حيثُ لا قُدرةَ لمخلوقٍ عليهِ بوجهٍ. وأنّ في (أنْبتنا) عُلُوًّا في الحِكمَةِ وذلكَ بِخَلْطِ الماءِ بِترابِها (مِنْ كُلِّ زوجٍ) بِما لَهُ مِنَ البهجَةِ والنّدرةِ الجالبَةِ للسّرورِ والمنفعَةِ والكثرَةِ الحافِظَةِ لتلكَ الدّوابِّ[2].

ويُنظَرُ في إنزالِ الماءِ مِنَ السّماءِ على سبيلِ المجاز؛ إذْ "يُحتمَلُ أنْ يكونَ على جهةِ أنّ الناسَ هم نباتُ الأرضِ، وأنّ مَنْ دَخَلَ الجنّةَ فهو كريمٌ، ومَنْ دخلَ النّارَ فهو لئيم. ولا يُغفَلُ حقيقةُ المعنى أنّ نباتَ الأرضِ أشجارُها وزرعُها ونوعُها"[3].

وتبرزُ دلالةُ النّزولِ مِنَ العُلُوّ كذلكَ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿**إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة 164]؛ فقوْلَهُ تعالى: (وما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السّماءِ مِنْ ماءٍ) يعني بِهِ المَطَرَ المُنْزَلَ مِنْها، ويأتي غالبًا عِنْدَ الحاجَةِ، وينقطِعُ عنْدَ الاستغناءِ عنْهُ، وذلكَ مِنْ آياتِهِ[4]. وهذا يعني دلالةَ الهبوطِ مِنَ العُلُوِّ للماءِ المُنزَلِ.

وكذلك في قولِهِ تعالى: ﴿**وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ **[الجاثية 5]**، ففي الآيةِ "عِبرَةٌ عِلميّةٌ لِمَنْ يجيءُ مِنْ أهلِ العِلْمِ الطّبيعيّ، ذلكَ أنَّ جَعْلَ الماءِ نازلًا مِنَ السّماءِ يشيرُ إلى أنَّ الماءَ يصيرُ ماءً في الكرةِ الهوائيّةِ عندما يُلامِسُ الطّبقةَ الزّمهريريَّةَ، وهذهِ الطّبقةُ

---

[1] انظر: الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط1، إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ، 81/11.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 153/15.

[3] انظر: الماورديّ، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 330/4 وما بعدها.

[4] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 217/1.

تصيرُ زمهريرًا عندما تقِلُّ حرارةُ أشعةِ الشّمسِ، ولعلَّ في بعضِ الأجرامِ العُلويّةِ، خاصَّةً القمر، أهويَةً باردةً يحصُلُ بِها الزَّمهريرُ في ارتفاعِ الجَوِّ، فيكونُ لها أثَرٌ في تكوينِ البرودةِ في أعلى الجوّ، فأُسنِدَ إليها إنزالُ الماءِ مجازًا عقليًّا... أيْ أنَّ عنصرَ المائيّةِ يتكوّنُ هنالِكَ ويصِلُ بالمُجاورِ حتّى يبلُغَ إلى جوّنا قليلٌ مِنْهُ، فإذا صادَفتْهُ الأرضُ تكوَّنَ مِنْ ازدواجِها الماءُ. وقد قالَ تعالى: **(ويُنزِّلُ مِنَ السّماءِ مِنْ جِبالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ)** [النّور:43][1]".

وثمّةَ معنًى دلاليٌّ سياقيٌّ آخرُ، في قوْلِهِ تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**﴾ [الأحزاب 26]، إذ "الإنزالُ: الإهباطُ، أيْ مِنَ الحصون أو مِنَ المُعتصمَاتِ كالجبالِ، والصّياصي والحُصونُ"[2]. ولمّا أتمَّ أمرَ الأحزابِ، أتبعَهُ حالَ الذينَ ألَّبوهم، وكانوا سببًا في إتيانِهم كحُييّ بنِ أخطب والذينَ مالؤوهُم على ذلكَ، ونقضوا ما كانَ لهم مِنْ عهْدٍ، فقالَ: **(وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم)** أيْ عاونُوا الأحزابَ، ثُمّ بيّنهم بقولِهِ مُبغّضًا: **(مِنْ أهلِ الكِتابِ)**، وهم بنو قريظةَ ومَنْ دَخَلَ معهُم في حِصنِهم مِنْ بني النّضيرِ كحُييّ، وكانَ ذلكَ بعدَ إخراجِ بني قُنيقاع وبني النّضير **(مِن صياصيهم)** أي حصونِهم العاليةِ...[3]، و"لمّا كانَ الإنزالُ مِنْ مَحلِّ التّمنُّعِ عجبًا، وكانَ على وجوهٍ شتّى، فلمْ يكُنْ صريحًا في الإذلالِ، فتشوَّفَتِ النّفسُ إلى بيانِ حالِهِ، بيّنَ أنّهُ الذُّلُّ، فقالَ عاطِفًا بالواوِ لِيَصلُحَ لِما قَبْلُ ولِما بَعْدُ: **(وقذفَ في قلوبِهم الرّعبَ)**، أيْ: بعدَ الإنزالِ كما كانَ قذفُهُ قبلَ الإنزالِ، فلو قدَّمَ القذفَ على الإنزالِ لَما أفادَ هذهِ الفوائِدَ، ولا اشتدّتْ مُلاءَمةُ ما بعدَهُ للإنزالِ"[4].

وفي قوْلِهِ تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾ [البقرة 99] دلالةٌ سياقيّةٌ للنُّزولِ جليّةٌ؛ إذ "المُرادُ بالآياتِ البيّناتِ: آياتُ القرآنِ معَ سائرِ الدّلائلِ مِنَ

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 83/2.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 312/21.

[3] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتنوير، 311/21

[4] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 333/15.

المباهَلَةِ[1]، ومِن تمنّي الموتِ وسائرِ المعجزاتِ نحوَ: إشباعِ الخَلْقِ الكثيرِ مِنَ الطّعامِ القليلِ، ونبعِ الماءِ مِنْ بيْنِ أصابِعِهِ، وانشقاقِ القَمَرِ. وقال بعضُهم: الأَوْلى تخصيصُ ذلكَ بالقُرآنِ؛ لأنَّ الآياتِ إذا قُرِنتْ بالتّنزيلِ كانتْ أخصَّ بالقرآنِ. فإنْ قيلَ: الإنزالُ عبارةٌ عن تحريكِ الشّيءِ مِن أعلى إلى أسفل، وذلك محقّقٌ في الأجسامِ ومُحالٌ في الكلام، فجوابُهُ: أنَّ جبريلَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ لمّا نَزَلَ مِنَ الأعلى إلى الأسفلِ وأخبرَ بِهِ سُمّيَ ذلك إنْزالًا[2]، وأيًّا كانَ المُنزَلُ: الآياتُ القرآنيةُ، أو الآياتُ الكونيّةُ والمعجزاتُ الحسّيّةُ، فإنَّ لاستعمالِ كلمةِ "أنزلنا" معنًى ذا فرادةٍ؛ إذ هي علويّةٌ إلهيّةٌ فيها معنى علوّ المكانةِ لا المكانِ، وسموّ المعجزةِ ورفعتها.

ودلالةُ الهبوطِ مِن جهةِ العلوّ بيّنةٌ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ**﴾ [الرعد 17]؛ إذ إنّ قوْلَهُ عزَّ وجلَّ: "(أنْزَلَ مِنَ السَّماءِ) أيْ مِنْ جِهتِها على ما هُو المُشاهَدُ وقيلَ: مِنْها نفسِها، ولا تجوُّزَ في الكلامِ، واستُدِلَّ لَهُ بآثارٍ اللهُ تعالى أَعْلَمُ بِصِحتها. وقيلَ: أَنْزلَ مِنْها نفسِها (ماءً) كثيرًا أو نوعًا مِنْهُ، وهو ماءُ المطرِ، باعتبارِ أنَّ مَبادِيَهُ مِنْها؛ وذلكَ لتأثيرِ الأجرامِ الفَلَكيّةِ في تصاعُدِ البُخار"[3].

وبمتابعةِ سياقِ الآيةِ مَعَ سابقتِها، إذ يقولُ تعالى: ﴿**قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ**﴾ [الرعد 16]؛ يستشرِفُ الباحثُ

---

[1] المُباهلة: المُلاعنة. يُقالُ: باهلْتُ فلانًا أي لاعَنْتُهُ، ومعنى المُباهَلَةِ أنْ يجتَمِعَ القَوْمُ إذا اختلفوا في شيءٍ فيقولوا: لعنَةُ اللهِ على الظّالمِ مِنّا. ابن منظور، لسانُ العرب، مادّة (بهل).

[2] انظر: ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 317/2.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 122/7.

دلالةَ الهبوطِ مِنَ العلوّ؛ إذ "لمّا كانَ حَمْلُ الماءِ في العُلوّ لا يُمكِنُ إلا عنْ قَهْرٍ، وإنزالُهُ في وقتٍ دونَ غيرِهِ أتبَعَ هذا الخَتْمَ قولَهُ دليلًا شاهدًا مُشاهَدًا عليْهِ: (أنْزَلَ)، ولمَا كانَ الإنْزالُ قد يتجوَّزُ بِهِ عنْ إيجادِ ما يعظُمُ إيجادُهُ حقَّقَ أمرَهُ بقَوْلِهِ: (مِنَ السّماءِ)، ولمّا كانَ المُنزَّلُ مِنْها أنواعًا شتّى قالَ: (ماءً فسالَتْ)، فتسبّبَ عنْ إنزالِهِ لكثرتِهِ أنْ سالتْ (أوديةٌ) مياهُها مِنها الكبيرُ والصّغيرُ[1].

وتأتي دلالةُ الهبوطِ مِنَ العلوّ مرتّبةً بعدَ مراحلَ يحكمُها السّياقُ، وتضبطُها الدلالةُ الكلّيّةُ العامّةُ؛ وذلك مثلًا في قولِهِ تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ* ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ**﴾ [البقرة 21–22]؛ إذ رُتّبتْ هذهِ النِّعَمُ الدّالّةُ على الخالِقِ الدّاعِيَةِ إلى شُكْرِهِ أَحْكَمَ ترتيبٍ؛ فقَدَّمَ الإنسانَ لأنَّهُ أعرَفُ بِنفسِهِ، والنّعمَةُ عليْهِ أَدْعى إلى الشُّكْرِ، وثنّى بِمَنْ قبْلَهُ لأنَّهُ أَعرَفُ بنوْعِهِ، وثَلَّثَ بالأرضِ لأنّها مَسْكَنُهُ الّذي لا بُدّ لَهُ مِنْهُ، وربَّعَ بالسّماءِ لأنَّها سقْفُهُ، وخمَّسَ بالماءِ لأنَّهُ كالأثَرِ والمنْفَعَةِ الخارِجَةِ منْها وما يخرُجُ بسبَبِهِ مِنَ الرّزقِ كالنَّسْلِ المُتولِّدِ بيْنهما، فقالَ: (وأَنْزَلَ)، وقال الحَرالّيُّ[2]: مِنَ الإنزالِ، وهو الإهواءُ بالأمرِ مِنْ عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ[3].

وفي سياقٍ آخرَ متعلّقٍ بالسّماء التي هي جهةُ العلوّ وابتداءُ النّزولِ يقولُ تعالى: ﴿**وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ**﴾ [الحجر 22]؛ "(فأنْزَلْنا) أيْ: بِعَظَمتِنا؛ بسبَبِ تلكَ السّحائِبِ التي حَمَلَتْها الرّياحُ (مِنَ السّماءِ)؛ أيْ: الحقيقيّة؛ أو جهتها؛ أو السّحاب؛ لأنَّ الأسبابَ المُتراقيةَ بسندِ الشّيء تارةً إلى القريبِ مِنْها؛

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 315/10.

[2] الحَرَالِّي (ت 638 هـ) علي بن أحمد بن الحسن الحرالي التجيبي، أبو الحسن: مفسّر؛ من علماء المغرب. أطالَ الغبريني في الثناء عليه وإيراد أخباره، وقال: ما مِن علمٍ إلا له فيه تصنيف. أصلُهُ مِنْ "حرالة" من أعمال مرسية، ولد ونشأ في مراكش. ورحل إلى المشرق وتصوّف، ثم استوطن بجاية، وعاد إلى المشرق، فأخرج من مصر. وتوفي في حماة (بسورية). انظر: الزّرِكْلِيّ، خير الدّين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 2007م، 256/4-257.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 147/1.

وتارةً إلى البعيد؛ وأخرى إلى الأبعَدِ؛ (ماءً)؛ وهو جسمٌ مائِعٌ سيّالٌ، بِهِ حياةُ كُلِّ حيوانٍ مِنْ شأنِهِ الاغْتذاء"[1]. فالسّماءُ كما أنَّها ابتداءُ الماء هي انتهاءً مصدرُ الاغتذاء.

وثمّة لفتةٌ عجيبةٌ سابِقَةٌ لهذِهِ الآيةِ في قولِهِ تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الحجر 21]، مفادُها أنَّ للهِ خزائنَ السّماواتِ والأرضِ يُمسِكُ ما يشاءُ مِنْها ويُرسِلُ ما يشاءُ، بيدِهِ كلُّ شيءٍ، فليسَ بمقدورٍ لأحَدٍ أنْ يكونَ خازنًا لشَيْءٍ مِنْ خزائنِ السّماواتِ والأرضِ؛ فاللهُ عزيزٌ بقدرتِهِ العَليّةِ على الإمساكِ والإرسالِ (الإنزال)، وهو الحكيمُ بتصرُّفِهِ بِما يُرسِلُ بالقَدَرِ المعلومِ المَحدودِ. "**(وما أنْتُم لهُ بخازنين)** أي: بقادرينَ على إيجادِهِ؛ تنبيهًا على عِظَمِ قُدْرَتِهِ، وإظهارِ العَجْزِ. ولستُمْ بِقادرينَ عليْهِ حينَ احتياجِكُم إليْهِ"[2].

2) دلالةٌ في الخَلْقِ والإنشاءِ

ومِن مُثُلِ هذهِ الدّلالةِ في التّنزيلِ قوْلهُ تعالى: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**﴾ [الزمر 6]؛ إذ في الجذرِ (ن ز ل) معنًى مفادُهُ الجَعلُ والخلقُ؛ إذ "في قوْلِهِ (وأنزلَ) وجهانِ:

أحدُهما: يعني "جَعَلَ".

والآخرُ: أنزلَها بعدَ أنْ خَلَقَها في الجنّةِ"[3].

وللسّياقِ أثرٌ جليٌّ في الكشفِ عن دلالةِ الخلقِ والإنشاءِ؛ إذ إنّهُ "لمّا كانَ تنويعُ الحيوانِ إلى أنواعٍ مُتباينةٍ أدلَّ على القدرةِ؛ التي هي مَنشأُ القَهرِ؛ وكانَ –سبحانَهُ– موصوفًا

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 37/11.

[2] انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عبد المجيد النوتي وأحمد الجمل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، 474/6.

[3] انظر: الماورديّ، النّكت والعيون، 115/5.

بالعُلوِّ؛ وكانَ أكثرُ الأنعامِ أشدَّ مِنَ الإنسانِ؛ فكانَ تسخيرُهُ لهُ؛ وتذليلُهُ إنزالًا عنْ قوَّتِهِ؛ وإيهانًا لِشدَّتِهِ؛ قالَ –دالًّا على ذلكَ الإنشاءِ والجَعلِ بِلَفظِ الإنزالِ–: **(وَأَنزَلَ لَكُم)**[1].

وفي الموضعِ القرآنيِّ السّابقِ وجهٌ يستدعي دلالةَ النزولِ الأُولى، وهي السّقوطُ مِنَ العُلوِّ؛ ذلكَ أنَّ الإنزالَ "نقلُ الجسمِ مِنَ علوٍّ إلى سُفلٍ، ويُطلَقُ على تذليلِ الأمرِ الصَّعبِ كما يُقالُ: نزلوا على حُكمِ فُلانٍ، لأنَّ الأمرَ الصَّعبَ يُتخيَّلُ صعبَ المَنالِ كالمُعتصِمِ بِقمَمِ الجِبالِ؛ فإطلاقُ الإنزالِ هنا بمعنى التّذليلِ والتّمكينِ على نحوِ قوْلِهِ تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحديد ٢٥] أي سخّرناهُ للنّاسِ فألهمناهم إلى معرفةِ قيْنِهِ[2] يتّخذونَهُ سُيوفًا ودروعًا ورِماحًا وعتادًا معَ شدّةِ صلابتِهِ. ويجوز أن يكونَ إنزالُ الأنعامِ إنزالَها الحقيقيَّ، فيكونُ الإنزالُ هو الإهباطَ"[3].

وفي سياقٍ آخرَ يُستدلّ بالإنزالِ على دلالةِ الخلقِ والإيجادِ، يقولُ تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [الفتح 4]؛ إذ إنّ في هذا السّياقِ بيانًا لِما أفاضَ سبحانَهُ عليْهم مِنْ مبادِئِ الفتحِ. والمُرادُ بالسّكينةِ الطُّمأنينةُ والثّباتُ؛ وهي مِنَ السّكونِ؛ أيْ: أَنْزَلها في قلوبِهم بِسبَبِ الصُّلْحِ والأمْنِ إظهارًا لِفضلِهِ تعالى عليْهم بتيسيرِ الأمْنِ بعدَ الخوفِ. والمُرادُ بإنزالِها خَلْقُها وإيجادُها[4].

وفي التّعبيرِ عنْ ذلكَ بالإنْزالِ إيماءٌ إلى عُلُوّ شأنِها أوّلًا، والاستعلاءِ ثانيًا، وإنزالُ اللهِ تعالى نِعمَهُ ونِقَمَهُ على الخَلْقِ، وإعطاؤهم إيّاها، إمّا بإنزالِ الشّيءِ نفْسِهِ كإنزالِ القُرآنِ، وإمّا بإنزالِ أسبابِهِ والهِدايةِ إليْهِ، كإنزالِ الحديدِ واللّباسِ. وعلى ذلكَ يكونُ المعنى في الآية: حطَّ السَّكينةَ في قلوبِهم، فكانَت قلوبُهم مَنزِلًا لها ومأوًى. وقيلَ: السَّكينةُ مَلَكٌ يسكُنُ قلبَ المؤمِنِ

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 457/16.

[2] القَيْنُ: الحَدّادُ، وقيلَ: كُلُّ صانعٍ قيْنٌ، والجمعُ أَقيانٌ وقُيُونٌ. (ابن منظور، لسان العرب، مادّة "قين").

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتّنوير، 332/23.

[4] انظر: الألوسي، روح المعاني، 246/13.

ويُؤمِّنُهُ كما رُوِيَ أنَّ عليًّا –رضِيَ اللهُ تعالى عنْهُ وكرّمَ وجهَهُ– قالَ: إنَّ السَّكينةَ لَتَنْطِقُ على لِسانِ عُمَرَ، وأمرُ الإنْزالِ عليْهِ ظاهِرٌ جِدًّا. وقدْ وردَ في تفسيرِ روحِ المعاني أنَّ السَّكينَةُ هِيَ الرَّحْمَةُ. وقيلَ: هيَ العَقْلُ، ويُقالُ لَهُ سكينةٌ إذا سَكَنَ عنِ الميلِ إلى الشّهواتِ وعنِ الرّعبِ، وقيلَ: هي الوقارُ والعَظَمَةُ للهِ تعالى ولِرسولِهِ –صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ–. وقيلَ: هي مِنْ سَكَنَ إلى كذا مال إليْهِ؛ أيْ أنْزَلَ في قلوبِهم السّكونَ والمَيْلَ إلى ما جاءَ بِهِ الرّسولُ –صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ– مِنَ الشّرائِعِ[1].

3) دلالةٌ في القول

ويقفُ الباحثُ في هذهِ الدلالةِ على موضعٍ مخصوصٍ في التّنزيلِ العزيزِ؛ وهو قولُهُ تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الأنعام 93]؛ ففي هذا الموضِعِ تتبيّنُ دلالةٌ سياقيّةٌ مفادُها القولُ؛ لِما وردَ في الدّرِّ المنثورِ أنّها "نزلتْ في مُسيلمةَ فيما كانَ يسجَعُ ويتكهّنُ بِهِ، **(وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)** قال: نزلتْ في عبدِ اللهِ بنِ سعدِ بنِ أبي سرْحٍ، كانَ يكتبُ للنّبيّ –صلّى الله عليهِ وسلّم– فكانَ فيما يُملى: "عزيزٌ حكيمٌ" فيكتبُ: "غفورٌ رحيمٌ" فيُغيّرُهُ، ثمَّ يقرأُ عليهِ كذا وكذا لِما حوَّلَ فيقولُ: نعم سواءٌ، فرجعَ عنِ الإسلامِ ولحِقَ بقريشٍ"[2].

ويُنبِئُ عن دلالةِ القوْلِ سببُ النّزولِ كما تبيّن سابقًا، ولعلّ تعدّدَ المعاني النّحويّة للفظةِ "مِثلَ" يُنبئُ كذلكَ عنِ تلك الدّلالة؛ إذ يجوزُ في اللّفظةِ (مِثلَ) وجهانِ:

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 246/13.

[2] انظر: جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، 318-317/3.

"**أحدُهما:** أنّه منصوبٌ على المفعولِ بِهِ أي: سأُنزِلُ قرآنًا مثلَ ما أنزلَ اللهُ، و"ما" على هذا موصولةٌ اسميّةٌ أو نكرةٌ موصوفةٌ أي: مثلَ الذي أنزلهُ أو شيء أنزله.

والآخرُ: أن يكونَ نعتًا لمصدرٍ محذوفٍ تقديرُهُ: سأُنزِلُ إنزالًا مثلَ ما أنزلَ اللهُ، و"ما" على هذا مصدريّةٌ؛ أي: مثلَ إنزالِ اللهِ"[1]. وفي كلا الوجهيْنِ تتجلّى دلالةُ القوْلِ في النّزولِ؛ إذ في "ما" موصولةً كانتْ أو مصدريّةً إيحاءٌ للقوْلِ المُتقوّل الذي قيلَ على ما نزلَ قولًا وحيًا منزّهًا مِنَ الله جلّ في عُلاه؛ لذا كانَ المُتقوّلُ ظلمًا وافتراءً وكذبًا.

4) دلالةٌ في البسط

وتأتي دلالةُ النّزولِ في سياقِ البسطِ؛ بسطِ الرّزقِ للعبادِ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿۞ **وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ**﴾ [الشورى 27]. وفي هذهِ الآيةِ تعدّدٌ في القراءةِ في قوْلِه تعالى: (ينزل)؛ إذ هي بالتّشديدِ، وقد وردَ في تفسيرِ روحِ المعاني أنّه قد قرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو بالتّخفيفِ مِنَ الإنزالِ، فالبسطُ مقدّرٌ بتقديرِ اللهِ الحكيمِ سواءٌ أكانَ بتنزيلٍ أم بإنزالٍ، بحسبِ ما تقتضيهِ حكمتُهُ جلَّ شأنُهُ (**إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ**)، فهو بيدِهِ أنْ يُفقِرَ وأنْ يُغنيَ، أو أنْ يمنعَ وأنْ يُعطيَ، أو أنْ يقبضَ وأنْ يبسُطَ، وتتجلّى دلالةُ البسط في أنّ البغيَ معَ الفقرِ أقلُّ، أمّا معَ البسطِ فأكثرُ وأغلبُ، وكلاهما سببٌ ظاهرٌ للإقدامِ على البغيِ والإحجامِ عنهُ، فلو عمَّ البسطُ لغلبَ البغيُ[2]. وبهذا تعلم أنّ بسطَ الرّزقِ يُفضي إلى واحدٍ مِن طريقيْن: صلاحٍ، وفسادٍ، فإمّا أنْ تكونَ النّفسُ غنّيةً رزقًا وصلاحًا، وإمّا أنْ تكونَ نفسًا خبيثةً يُفضي بسطُ الرّزقِ لها إلى فسادٍ في الأرض[3].

---

[1] انظر: السّمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، 41/5.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 38/13.

[3] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 94/25.

5) دلالةٌ في الإيصالِ والإبلاغِ

تتجلّى دلالة الإيصال في مواضِعَ، منها ما دلّتْ عليه دلالةُ النزول في قوْلِهِ تعالى: ﴿**فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ**﴾ [الصافات 177]؛ ذلكَ أنّ النّبيَّ –صلّى الله عليهِ وسلّم– عندَ نزولِهِ بساحةِ أعداءِ اللهِ وصلَهم بعدَ ما كانَ مِن بلاغِ التّهديدِ والوعيد في سياقِ الآية التي سبقتها: ﴿**أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ** [الصافات 176]، وعُبّرَ بالإنزالِ؛ "لأنَّ ذلكَ شأنُ النّازلِ بالشّيءِ، مِن غيرِ إذنِ صاحِبِهِ، ولا يغلبُ عليها إلّا وقد غلبَ على أهلِها، فبركَ عليهم بروكًا لا يقدرونَ معهُ على البروزِ إلى تلكَ السّاحةِ، وهي الفِناءُ الخالي عن الأبنيةِ؛ كأنّهم مُتحدَّثُ القومِ، وموْضِعُ راحتهم في أي وقتٍ كانَ بروكُهُ"[1].

وفي موضعٍ آخرَ، يقول تعالى: ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الأنفال 41]؛ "فالمُرادُ بِما أُنْزِلَ عليْهِ –عليه الصّلاةُ والسَّلامُ– مِنَ الآياتِ والملائِكَةِ والنَّصْرِ، على أنَّ المُرادَ بالإنْزالِ مُجرَّدُ الإيصالِ والتَّيْسيرِ، فيشمَلُ الكُلَّ شُمولًا حقيقيًّا، فالموصولُ عامٌّ ولا جَمْعَ بيْنَ الحقيقةِ والمجازِ خلافًا لِمَنْ توهَّمَ فيهِ، وجَعَلَ الإيمانَ بِهذهِ الأشياءِ مِنَ مُوجِباتِ العِلْمِ بِكَوْنِ الخُمُسِ للهِ تعالى على وجْهِ المَذْكورِ مِنْ حيثُ إنَّ الوحيَ ناطِقٌ بذلكَ وإنَّ الملائِكَةَ والنَّصْرَ لَمّا كانا مِنْهُ تعالى وَجَبَ أنْ يكونَ ما حَصَلَ بِسَبَبِهما مِنَ الغنيمَةِ مَصروفًا إلى الجِهاتِ الّتي عيَّنَها اللهُ سبحانَهُ"[2].

(وما): أي: وبالّذي. ودلالةُ (أَنْزَلنا) في سياقِ الآيةِ هي كونُ الإنزالِ إنْزالًا واحِدًا سريعًا لِأجلِ التّفريجِ عنْكُم مِنَ القُرآنِ والجُنودِ والسَّكينَةِ في قلوبِكم وغيرِ ذلكَ ممّا تقدَّمَ وصْفُهُ (على عبْدِنا): أيْ الّذي يرى دائِمًا أنَّ الأفعالَ كُلَّها لَنا فلا يَنْسُبُ لِنَفْسِهِ شيئًا إلّا بِنا[3].

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 316/16.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 203/5.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 284/8.

"والإنْزالُ: هو إيصالُ شيءٍ مِنْ عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ وأُطْلِقَ هُنا على إبلاغِ أمرٍ مِنَ اللهِ ومِنَ النِّعَمِ الإلهيةِ إلى الرَّسولِ –صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ– والمسلمينَ، فيجوزُ أنْ يكونَ هذا المُنَزَّلُ مِنْ قبيلِ الوحي؛ أيْ والوحيُ الّذي أنْزَلناهُ على عبْدِنا يومَ بدرٍ... ويجوزُ أنْ يكونَ مِنْ قبيلِ خوارِقِ العاداتِ، والألطافِ العجيبَةِ، مِثْلَ إنزالِ الملائِكَةِ للنَّصْرِ، وإنزالِ المَطَرِ عِنْدَ حاجَةِ المسلمينَ إليْهِ، لِتعبيدِ الطَّريقِ، وتثبيتِ الأقْدامِ، والاستقاءِ. وإطلاقُ الإنزالِ على حُصولِهِ استعارةٌ تشبُّهًا لَهُ بالواصلِ إليْهم مِنْ عُلُوٍّ تشريفًا لَهُ كقوْلِهِ تعالى: ﴿**فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الفتح 26]"[1].

ويمكنُ القولُ بأنّ ما أُنزِلَ على الرَّسولِ الكريمِ مِنْ وحي ربّهِ قرآنًا وتشريعَ حياةٍ قد وصلهُ وبُلِّغَ بِهِ مِن ربّهِ ابتداءً وانتهاءً وإليهِ –صلّى الله عليه وسلّم– انتهاءً؛ لِما أفادَه حرفُ الجرّ (مِن) في قوْلِه تعالى: ﴿**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ**﴾ [البقرة 285]؛ "تعظيمًا لنبيّهِ –صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم– وأتباعِهِ وتأكيدًا وفَذْلَكَةً لجميعِ ذلك المذكورِ مِنْ قَبْلُ، يعني أنَّ هذا انتقالٌ مِنَ المواعِظِ والإرشادِ والتّشريعِ وما تخلَّلَ ذلكَ مِمّا هوَ عونٌ على تلكَ المَقاصِدِ، إلى الثّناءِ على رسولِهِ، والمُؤمنينَ في إيمانِهم بجميعِ ذلكَ إيمانًا خالصًا يتفرّعُ عليهِ العَمَلُ؛ لأنَّ الإيمانَ بالرّسولِ والكِتابِ يقتضي الامتثالَ لِما جاءَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ"[2]. وجملةُ المواعظِ والإرشادِ والتّشريعِ مُوكّلٌ بإيصالها –صلّى الله عليهِ وسلّم– كما وصلتْ إليهِ وآمَن بها.

وتبرزُ دلالةُ الإيصالِ والبلوغِ للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في قوْلِهِ تعالى: ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة 136]؛ ذلك أنّ المأمورَ في الآيةِ السّابقةِ هم المؤمنونَ الذينَ وصلَ إليهم ما وصلَ

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 14/10.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 132/3.

عن طريقِ الرّسُلِ عليهم –الصلاة والسّلام– فناسبَ ذلك حرف الجرّ (إلينا– إلى)؛ تعبيرًا عن وصولِ التّشريعاتِ لهم ليؤمنوا. أمّا في قوْلِهِ تعالى: ﴿**قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ**﴾ [آل عمران 48]، فناسبَ السّياقَ حرفُ الجرّ (علينا– على)؛ ذلك أنّ المأمورَ هو الرّسولُ –صلّى الله عليه وسلّم–، وأنّ الرّسالةَ نزلت عليْهِ كما نزلت على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط عليهم السّلام. ولعلّ تعالقًا في الدّلالةِ السّياقيّةِ بين دلالةِ الإيصال ودلالةِ جهةِ العلّو في قوْلِهِ: (وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا)؛ إذ "عُدِّيَ الإنزالُ هنا بـ(على)، وفي البقرةِ بـ(إلى)؛ لأنّهُ لهُ جهةُ عُلُوٍّ باعتبارِ ابتدائِهِ وانتهاءً باعتبارِ آخرِهِ، وقدْ جُعِلَ الخِطابُ هنا للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– فناسبَهُ الاستعلاءُ، وهناكَ للعمومِ فناسبَ الانتهاءَ... وفرَّقَ الرّاغبُ بأنَّ ما كانَ واصلًا مِنَ الملأ الأعلى بلا واسطةٍ كانَ لفظُ (على) المختصّ بالعلوِّ أَوْلى بِهِ، وما لم يكن كذلكَ كانَ لفظُ (إلى) المختصّ بالإيصالِ أَوْلى بِهِ"[1].

وثمّة موضعٌ آخرُ تبرزُ فيه دلالةُ الإيصالِ والإبلاغِ للجَذْرِ اللُّغويّ (ن ز ل)، وذلك في قولِهِ تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا**﴾ [الطلاق 5]، إذ نلاحظُ في هذا الموضعِ أنّ للسّياقِ أثرًا في الكشفِ عنِ الدّلالةِ؛ ذلكَ أنّهُ "لمّا كانَ تكريرُ الحثِّ على التّقوى للسّؤالِ عنْ سببِهِ، استأنَفَ قولَهُ كالتّعليلِ لَهُ: (ذلكَ) أيْ الأمر المذكور مِنْ جميعِ هذهِ الأحكامِ العاليةِ المراتِبِ (أمرُ الله): أيْ الملكِ الأَعلى الذي لَهُ الكَمالُ كُلُّه، ونبَّهَ على عُلُوّ رُتْبَةِ الأَمْرِ بِقوْلِهِ: (أَنْزَلَهُ إليْكُم)[2]. والأمرُ في قوْلِهِ: (أمرُ الله): حُكمُهُ وشرعُهُ لكُم كما قالَ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ**﴾ [الشورى 52]. وإنْزالُهُ: إبلاغُهُ إلى النّاسِ بواسطةِ الرّسولِ –صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–؛ أطلَقَ عليْهِ الإنزالَ تشبيهًا لِشَرَفِ معانيه وألفاظِهِ بالشّيء الرَّفيعِ؛ لأنَّ الشّريفَ يُتَخيَّلُ رفيعًا.

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 207/2.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 158/20.

وهو استعارةٌ كثيرةٌ في القُرآنِ. ففي قوْلِهِ (أَنْزَلَهُ) استعارَةٌ مكنيّةٌ، والكلامُ كِنايةٌ عنِ الحثِّ على التّهمُّمِ برعايتِهِ والعَمَلِ بِهِ وبَعثِ النّاسِ على التّنافُسِ في العِلْمِ بِهِ؛ إذْ قد اعتنى اللهُ بالنّاسِ حيثُ أَنْزَلَ إليْهم ما فيهِ صلاحُهم[1].

ويتبيّنُ في موضعٍ آخرَ أنّ لمناسبةِ النّزولِ أثرًا في الكشفِ عنْ دلالةِ الإيصالِ للجذرِ (نزل)، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ**﴾ [البقرة 159]؛ إذ نزلَتْ في أحبارِ اليهودِ الذينَ كتموا ما في التّوراةِ مِنْ نعوتِ النّبيِّ –صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ–؛ وغير ذلكَ مِنَ الأحكامِ. وعن ابنِ عبّاسٍ أنَّها نَزَلَتْ في أهلِ الكِتابِ مِنَ اليهودِ؛ والنّصارى. وقيلَ: نَزَلَتْ في كُلِّ مَنْ كَتَمَ شيئًا مِنْ أحكامِ الدِّيْنِ؛ لِعمومِ الحُكمِ لِلكُلِّ؛ والأقرَبُ هو الأوَّلُ؛ فإنَّ عُمومَ الحُكْمِ لا يأبى خُصوصَ السَّبَبِ... أمّا قوله تعالى: **(مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ)** فيعني: مِنَ الآياتِ الواضِحَةِ الدّالَّةِ على أمرِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، والآياتِ الهاديةِ إلى كُنْهِ أمْرِهِ، ووُجوبِ اتّباعِهِ؛ والإيمانِ بِهِ[2].

وفي قوله تعالى: **(مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ)** قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ البيّناتِ هي الحُجَجُ الدّالَّةُ على نبوّةِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، والهدى: الأمرُ باتّباعِهِ. والآخرُ: أنَّ البيّناتِ والهدى واحِدٌ، والجمعُ بيْنهما تأكيدٌ، وذلكَ ما أبانَ عنْ نبوّتِهِ وهَدى إلى اتّباعِهِ[3].

وفي كلا القوْليْنِ تتجلّى دلالةُ الإيصال والتبليغ؛ تبليغِ ما نزلَ مِنَ الحججِ القاطعة بنبوّتِهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم، وهو خيرُ المرسَلينَ وخيرُ مَنْ بُلّغَ وبلّغَ، والأُسوةُ الحسنةُ لأمّتهِ مِنَ بعدِهِ، ولا سيّما العالِمِ منهم؛ إذ إنّ "العالِمَ يَحرُمُ عليْهِ أنْ يكْتُمَ مِنْ عِلْمِهِ ما فيهِ هدًى للنّاسِ؛ لأنَّ كَتْمَ الهدى إيقاعٌ في الضّلالَةِ سواءٌ في ذلكَ العِلْمِ الذي بَلَغَ إليْهِ بِطريقِ الخبرِ

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 324/28.

[2] انظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، 182/1.

[3] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 214/1. وأبو حيّان، البحر المحيط، 69/2.

كالقُرآنِ والسُّنَّةِ الصّحيحَةِ، والعِلْمِ الذي يحصُلُ عنْ نَظَرٍ كالاجتهاداتِ إذا بَلَغَتْ مَبْلَغَ غَلَبَةِ الظّنِّ بأنَّ فيها خيرًا للمسلمينَ، ويحرُمُ عليْهِ بِطريقِ القِياسِ الذي تومِئُ إليهِ العِلّةُ أنْ يبُثَّ في النّاسِ ما يُوقِعُهم في أوهامٍ بأنْ يُلقِّنَها، وهو لا يُحسِنُ تنزيلَها ولا تأويلَها"[1].

6) دلالةٌ في الفرض

ولعلّ مِن المواضِعِ التي تتجلّى فيها دلالةُ الفرضِ للجَذْرِ اللُّغويّ (ن ز ل) قولَهُ تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾ [النساء 140]؛ إذ يُخاطبُ فيها مَن أظهرَ الإيمانَ مِن مُحقّقٍ ومُنافقٍ؛ لأنَّهُ إذا أظهرَ الإيمانَ فقد لزِمَهُ أنْ يمتثلَ أوامرَ كتابِ الله تعالى. والإشارةُ بهذهِ الآيةِ إلى قولِهِ تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [الأنعام 68]. وفي هذه الآيةِ دليلٌ قويٌّ على وجوبِ تجنُّبِ أهلِ البدعِ وأهل المعاصي، وألّا يُجالَسوا[2].

وإلزامُ النهي وفرضُهُ سببُهُ ما فعله المنافقون –بطريقِ الالتفاتِ– "مِن موالاةِ أعداء الله تعالى معَ تحقُّقِ ما يمنعهم مِن ذلك، وهو ورودُ النّهي عنِ المُجالسةِ المُستلزَمِ للنّهي عنِ الموالاةِ على آكَدِ وجهٍ وأبلغِهِ إثرَ بيانِ انتفاءِ ما يدعوهم إليْهِ بالجملةِ المعترضةِ كأنَّهُ قيلَ: تتّخذونهم أولياءَ! والحالُ أنَّهُ تعالى (نزّل عليكم) قبلَ هذا بمكّة ما نزّل من سورة الأنعام"[3]. وعليه فإنّ في الموضعِ السّابقِ بيانًا للدلالةِ السّياقيّةِ الفرضِ والأمرِ.

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 69/2.

[2] انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، 125/2. والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 439/5.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 165/3.

7) دلالةٌ في العِلْم بالشيء

ويحدثُ أن يكونَ في السّياقِ قرينةٌ تجلّي الدلالةَ وتكشفُ عنها، ومِن مُثُلِ دلالة العلمِ بالشيء قوْلُهُ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ**﴾ [لقمان 34]، فقد سبقَ تنزيلَ الغيثِ علمُ السّاعةِ؛ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف ١٨٧]، ولحِقَهُ عِلمُ ما في الأرحامِ مِنْ ذكرٍ أو أنثى، يصدُقُهُ قوْلُهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد ٨]، وأنّ قوْلَهُ **(وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ)** يعني: "في إبّانِهِ الذي قدّرَهُ، وإلى مَحَلّهِ الذي عيَّنَهُ في عِلْمِهِ"[1]

والمُتدبّرُ للآيةِ السّابقةِ يجدُ أنّ علمَ اللهِ لا يحيطُهُ شيءٌ، وأنّ علمَهُ تعالى في الوجوهِ السّابقةِ يدفعُنا لأنْ نقولَ بأنّ الدلالةَ الأظهرَ للنزولِ في قوْلِهِ تعالى: **(وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ)** هي دلالةُ العلمِ بنزولِ الغيثِ زمانًا ومكانًا ومشيئةً؛ إذ "المقصودُ أنّهُ عندَهُ علمُ وقتِ نزولِ الغيْثِ، وليْسَ المقصودُ مُجرَّدَ الإخبارِ بأنَّهُ يُنزّلُ الغيْثَ؛ لأنَّ ذلكَ ليْسَ ممّا يُنكرونَهُ ولكنْ نُظِمتِ الجُملَةُ بأُسلوبِ الفِعلِ المُضارعِ ليحصُلَ معَ الدّلالةِ على الاستئثارِ بالعِلمِ بِهِ الامتنانُ بذلكَ المعلومِ الذي هو نِعمةٌ، وفي اختيارِ الفعلِ المضارعِ إفادةُ أنَّهُ يُجدّدُ إنزالَ الغيْثِ المرَّةَ بعدَ المرّةِ عندَ احتياجِ الأرضِ"[2].

8) دلالةُ الوحْي أو الإلهام

ثمّةَ دلالاتٌ سياقيّةٌ أخرى للجذر اللُّغويّ (ن ز ل)، إذ لا يدّعي الباحثُ أنّهُ جاء عليها جميعًا، ومِن هذهِ الدلالاتِ دلالةُ الوحي، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ**

---

[1] انظر: أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم، 78/7.

[2] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 197/21.

ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى 17]؛ إذ ألهم الله تعالى نبيّهُ الكتابَ؛ جنسَ الكتابِ أو الكتابَ المعهودَ أو جميعَ الكُتُبِ، مُلتبسًا بالحقِّ بعيدًا مِن الباطلِ في أحكامِهِ وأخبارِهِ، أو مُلتبسًا بما يحقُّ ويجبُ مِنَ العقائدِ والأحكامِ[1]. وهذا الوحيُ الرّبّانيّ إنّما تحقّقَ بوجهيْنِ اثنيْن:

أحدُهما: بالمُعجزِ الدّالِّ على صحّتِهِ.

والآخرُ: بالصّدقِ فيما أُخبِرَ بِهِ مِن ماضٍ ومُستقبلٍ[2].

9) دلالةُ إظهارِ الآيةِ (المُعْجِزة)

وتبرزُ دلالةٌ سياقيّةٌ أخرى في قوْلِهِ تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ**﴾ [يونس 20]، ألا وهي إظهارُ الآية (المُعجزةِ) على يدِهِ صلّى الله عليْهِ وسلّمَ؛ إذ أرادَ كفّارُ مكّةَ "آيةً مِنَ الآياتِ الّتي اقترحوها كآيةِ موسى وعيسى عليهِما السّلامُ، ومعنى إنزالها عليهِ: إظهارُ اللهِ تعالى لها على يدِهِ صلّى الله تعالى عليْه وسلّم، وطلبوا ذلك تعنّتًا وعِنادًا"[3]. ولم يعتدّوا بالآيةِ الباقيةِ الصّالحةِ لكلّ زمانٍ ومكانٍ؛ آيةِ القرآنِ العظيمِ، "وكانوا لا يعتدّون بما أنزلَ عليهِ منَ الآياتِ العِظامِ المُتكاثرةِ التي لم ينزِلْ على أحدٍ مِنَ الأنبياءِ مثلُها. وكفى بالقرآنِ وحدَهُ آيةً باقيةً على وجهِ الدّهرِ بديعةً غريبةً في الآياتِ، دقيقةَ المسلكِ مِنْ بينِ المُعجزاتِ، وكأنّهُ لمْ ينزِلْ عليهِ آيةٌ قطُّ حتّى قالوا لولا أُنْزِلَ عليهِ آيةٌ واحدةٌ من ربّهِ، وذلك لفَرْطِ عِنادِهم وتَماديهم في التّمرُّدِ، وانهماكهم في الغَيّ"[4].

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 26/13.

[2] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 200/5.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 88/6.

[4] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 337/2. وأبو حيان، البحر المحيط، 29/6.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

المُجرَّدُ الثّلاثيُّ لِلفِعْلِ "نزل"

وَمِنْ مُثُلِ ما جاءَ مِنَ الذّكرِ الحكيمِ على صيغَةِ الفِعْلِ "نزل" المُجرّدِ الثُّلاثيّ ما يأتي:

1. قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء 193]

وقد سبقَ هذهِ الآيةَ قولُهُ تعالى: (وإنّه لتنزيلُ ربِّ العالمين)، وفي ذلكَ إرجاعٌ للضّميرِ المتَّصلِ (الهاء) في (بِهِ) الدّالِّ على القرآنِ الذي إنّما هو مِنْ عِندِ اللهِ تباركَ وتعالى، و(الرّوح الأمين) جبريلُ –عليه السّلامُ– بإجماع، ونَزَلَ باللّفظِ العربيّ والمعاني الثّابتةِ في الصّدرِ والمصاحِفِ. وثمّةَ في هذهِ الآيةِ اختلافٌ في القراءاتِ، وذلكَ في لفظِ المُجرّدِ الثّلاثيّ "نزل"؛ إذ قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وعاصِمٌ –في رواية حفص–: "نزل" خفيفة الزّاي، و"الروح" بالرفع. وقرأ ابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عنْ عاصِمٍ وحمزةَ والكسائيّ بشدّ الزاي، و"الرّوح" بالنّصبِ[1].

واختلافُ القراءةِ في لفظِ الفِعْلِ "نزل" يُفضي بالتأكيدِ إلى اختلافٍ في وظيفةِ الكلمةِ وما بعدَها، ذلك أنّ الوظيفةَ التّركيبيّةَ تتباينُ بتباينِ البنيةِ الصّرفيّةِ. ويرى الطّبريُّ أنّ القراءتينِ مستفيضتانِ في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فأيَّتهما قرأَ القارئُ فمُصيبٌ، ذلك أنّ الروحَ الأمينَ إذا نزلَ على محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم– بالقرآنِ لم ينزلْ عليه إلّا بأمرِ الله إيّاه بالنّزول، ولن يجهلَ أنّ ذلك كذلك ذو إيمانٍ بالله، وأنّ الله إذا أنزله به نزل[2].

كما أنّ الباءَ اللّاحقةَ للفعلِ (نزل) باءٌ للتّعديةِ، بمعنى أنزله[3]، وهي عند أبي حيّان وابنِ عطيّة للمُصاحبةِ، والجارّ والمجرور في موضعِ حالٍ كما في قوْلِهِ تعالى: (وقد دخلوا

---

[1] انظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، النّشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، 336/2.

[2] انظر: الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ، 533/5.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 120/19.

بالكفر)، أي: نزلَ مصاحبًا له[1]. ويرجّح الباحثُ أنّ الباءَ للمُصاحبةِ؛ لِما في ذلك مِن حُسنِ بيانٍ وتقارُبٍ في الدّلالةِ الكلّيّةِ للمعنى الصّرفي سواءٌ أقُرِئَ الجذر (ن ز ل) أمْ قُرِئَ (نزَّل).

2. قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسراء 105]

في هذهِ الآيةِ معنًى للإنزالِ سياقيٌّ مفادُهُ ما ذكرَهُ الطّبريُّ في جامِعِ البيانِ في تفسيرِ قَوْلِهِ تعالى: (وبالحقّ أنزلناه) أي: وبالحقّ أنزلنا هذا القرآن نأمرُ فيهِ بالعدلِ والإنصافِ والأخلاقِ الجميلةِ والأمورِ المستحسَنةِ الحميدةِ، وننهى فيه عنِ الظُّلمِ والأمورِ القبيحَةِ والأخلاقِ الرّديئةِ، والأفعالِ الذّميمةِ. (وبالحقّ نزل) وبذلك نزلَ مِنْ عندِ اللهِ على نبيّهِ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم[2].

وفي الآيةِ لفتةٌ أسلوبيّةٌ عِمادُها التّقديمُ والتأخيرُ؛ ذلكَ أنَّ المتعلّقَ (بالحقّ) مقدَّمٌ على الفِعلِ في الحالَيْنِ: (وبالحقّ أنزلناهُ)، (وبالحقّ نزل). ففي الأُولى "حديثٌ عن القرآنِ الكريمِ بأنَّهُ مِن عندِ اللهِ، لا مِريةَ في ذلكَ، وهذا معنى قوْلِهِ: (وبالحقّ أنزلناهُ)، وفي الأُخرى أنَّ كُلَّ ما جاءَ في هذا الكتابِ الكريمِ حقٌّ لا مريَةَ فيهِ؛ قصصِهِ، وتشريعاتِهِ، وعلومِهِ، وعقائدِهِ. كلّها حقّ، وهذا معنى قوْلِهِ سبحانَهُ: (وبالحقّ نزل)، فذِكرُ المُتعلّقِ (بالحقّ) إنّما جاءَ لزيادةِ التّقريرِ والفائدةِ"[3].

ومن المعلوم أنّ الفعلَ (أنزل) فعلٌ متعدٍّ، و(نزل) فعلٌ لازمٌ، كونه نزلَ من تلقاءِ نفسِهِ. وثمّة مَنْ يقولُ إنَّ (أنزل) دالٌّ على أنَّهُ أُنزِلَ كلُّهُ جملةً واحدةً، و(نُزّلَ) مُنجّمًا، لكنّ قسمًا مِنَ النّحاةِ ردّوا على هذا القولِ وقالوا: ربُّنا تعالى قال: **﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾** [الفرقان 32]. ومنهم من

---

[1] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 243/4.

[2] انظر: الطّبري، جامع البيان، 113/15.

[3] انظر: فضل عبّاس، أساليب البيان، ط2، دار النّفائس للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، 2009م، ص122.

قال (أنزل) عامٌّ و(نزّل) خاص[1]. ويُحتمَلُ فيما ذكرَ الماورديُّ أنّ في الآيةِ السابقةِ وجهيْنِ: أحدُهما أنّ إنزالَه حقٌّ. والآخرُ أنّ ما تضمّنه من الأوامرِ والنّواهي والوعدِ والوعيدِ حقٌّ. وكذلك قوْلُهُ –جلَّ في عُلاه–: (وبالحقّ نزل) يَحتمِلُ وجهينِ اثنينِ: أحدُهما وبوحينا نزل. والآخرُ على رسولنا نزل[2]. وفي المبحثِ الثاني من هذا الفصلِ فضلُ بيانٍ وتجليةٌ للفرقِ بين (أنزل) و(نزّل)، ودلالةِ كلِّ صيغةٍ صرفيةٍ منهما في ضَوْءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ.

3. قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات 177]

وفي سياقٍ آخرَ، تدلّ صيغة المجرّد الثلاثيّ (نزل) دلالةً حتميةً على مصيرِ المشركينَ، حيثُ العذابُ الشّديدُ، وهي دلالةٌ مُعجميَّةٌ للنّزولِ الذي هو بمعنى النّازلةِ والشّدّةِ والمصيبةِ؛ والنازلةُ الشديدةُ مَن تنزلُ بالقومِ أو الشدّةِ مِن شدائدِ الدّهرِ تنزلُ بالنّاس[3]. ومِنَ المُلاحَظِ أنّ تعلُّقَ حرفِ الجرّ الباء بالفعل (نزل) يحتمِلُ معنييْنِ اثنيْنِ في السّياقِ التّركيبيّ، كما ذهبَ إليْهِ الطّبريّ: أحدُهما معنى الظّرف أي نزلَ بدارِهم، والآخرُ معنى الإلصاق؛ إلصاقِ العذاب ووقوعِهِ بالمشركينَ المستعجلينَ بعذاب الله[4].

فالملاحَظ إذن ممّا سبق أنّ انفتاحًا دلاليًّا قد اعترى الجذرَ اللُّغويّ (ن ز ل) دلَّ عليْهِ السّياقُ والتّركيبُ؛ ليفضيَ ذلك كلُّهُ إلى دلالةٍ عامةٍ مفادُها استعمالُ العذابِ –على جهةِ التوبيخِ– سواءٌ أكانَ الفعلُ مبنيًّا للمعلوم، وهو بالتأكيد معلومُ مصدرِ العذابِ مصداقًا لقوله تعالى: (أفبعذابنا يستعجلون) تبارك الله العزيز الجبّار ذو الانتقام، أم كان الفعلُ مبنيًّا للمجهول؛ ذلك أنّ حدثَ العذابِ لا يخرجُ إلا مِنْهُ جلَّ جلالُه، معلومٌ ذلك مِنَ السّياقِ القرآنيّ كلّه في تتابعِ الآياتِ دونَ ذكرِ فاعلٍ معلومٍ للفعلِ (نزل).

---

[1] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 279/3.

[2] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 279/3 وما بعدها.

[3] انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، مادة (نزل).

[4] انظر: الطّبري، جامع البيان، 660/19.

وقد ذكر الزّمخشريّ حديثَ رسولِ اللهِ المتّفقِ عليه: "اللهُ أكبرُ خربتْ خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرين"[1]، وذلك في يوم خيبر. وما فصحتْ هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحسُّ بها ويروقك موردُها على نفسِكَ وطبعِكَ، إلا لمجيئِها على طريقَةِ التّمثيلِ[2].

4. قال تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد 16]

ويظهر في هذه الآيةِ مناسبةٌ للفعلِ المجرّدِ "نزل" في سياقه القرآني تُوافقُ مناسبةَ نزولِ الآية، ذلك أنّ المؤمنين كانوا مُجدبينَ بمكّةَ، فلمّا هاجروا أصابوا الرّزقَ والنّعمةَ وفتروا عمّا كانوا عليه فنزلت. وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: ما كان بين إسلامنا وبين أنْ عُوقبنا بهذه الآية إلا أربعُ سنين. و(ما نزل من الحق) أي القرآن هو عطف على ذكر الله، فإنْ كان هو المرادَ بِهِ أيضًا فالعطفُ لتغايرِ العنوانين فإنّهُ ذكرٌ وموعظةٌ كما أنّهُ حقٌّ نازلٌ من السماء[3].

وقرأ الجمهور: وما نزل مشددًا؛ ونافع وحفص: مخفّفًا؛ والجحدريّ وأبو جعفر والأعمش وأبو عمرو في رواية يونس وعباس عنه: مبنيًا للمفعول مشدّدًا؛ وعبد الله: (أنزل) بهمزة النقل مبنيًّا للفاعل[4].

---

[1] انظر: البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، باب غزوة خيبر، تحقيق محمد زهير بن ناصر، ط1، 1422هـ، دار طوق النّجاة، 131/5.

[2] انظر: الزمخشري، الكشاف، 701/3.

[3] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 208/8.

[4] انظر: شهاب الدين الدّمياطي، أحمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق أنس مهرة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ، 533/1.

5. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ 2]

وتأتي صيغةُ الفِعل المجرّد (نزل) –كما جاءت في الآية السّابقة– للدّلالةِ على المُضارَعَةِ والاستمرار؛ وذلك لِما يتناسَبُ وسياقَ الآيةِ ومعناها الكُلّي. وعلمُ اللهِ –جلَّ في عُلاهُ– لا يُدرَك ولا يُحاطُ به، إنّما يشملُ العلمُ كلَّ ما يدخلُ في الأرضِ وكلَّ ما يخرجُ منها. وقيلَ: "ما يدخلُ فيها من الأموات وما يخرجُ فيها مِنْ جواهِرِ المعادِنِ، والأولى التعميم في الموصولين فيشملان كلَّ ما يلجُ في الأرض ولو بالوَضْعِ فيها، وكلَّ ما يخرجُ منها حتى الحيوان فإنّهُ كلّه مخلوقٌ من التراب"[1].

وممّا ينزلُ منَ السّماءِ الأرزاقُ والملائكةُ وأنواعُ البركات والمقادير، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات 22]، وما يعرجُ فيها منَ الملائكةِ وأعمالِ العبادِ، وهو مَعَ كثرةِ نِعَمِهِ وسبوغِ فضلِهِ الرّحيمُ الغفورُ للمفرّطينَ في أداءِ مواجبِ شكرها[2]. وقد قرأ عليٌّ والسّلميّ: "وما ينزّل" بضمّ الياء وفتح النون وشدّ الزّاي، أي: الله تعالى[3]. وفي الكشّاف عن عليٍّ –كرّم اللهُ تعالى وجهَهُ– أنّهُ قَرَأَ "ننزل" بالتّشديدِ ونون العظمةِ[4]، وفي هذهِ القراءةِ التفاتٌ مِن ضميرِ الغائبِ في (يعلمُ) إلى المتكلّمِ بالعظَمَةِ في (ننزّل) إشارةً إلى أنّهُ وحَدَهُ –جلَّ في عُلاهُ– المُتصرّفُ بِعظَمَتِهِ فيما يُنزّل مِنَ السّماءِ مِنَ النّعمِ والأرزاقِ لعبادِهِ.

---

[1] انظر :الألوسي، روح المعاني، 104/22.

[2] انظر: الزمخشري، الكشّاف، 591/3.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 104/22.

[4] انظر: الزمخشري، الكشاف، 591/3.

المَبْحَثُ الثّاني

الفِعْلُ "نزل" بِصيغَةِ الثُّلاثيّ المزيدِ

ويعتمدُ الباحثُ في هذا المبحثِ الزّيادةَ الصّرفيّةَ مِن منطلقِ أنَّ كُلَّ تغييرٍ في المبنى يُؤدّي إلى تغييرٍ في المعنى، ويرتبطُ هذا المعنى بالسّياقِ الذي يجيءُ فيهِ، ومِن ثَمّ يكونُ لهذهِ الزّيادةِ معنًى وظيفيٌّ في التّركيبِ يُستعانُ بهِ في الكشفِ عن جُملةِ المعاني الأُخرى. وبناءً على ما أحصاهُ الباحثُ في المواضِعِ المودَعِ فيها الجذر (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ، فإنَّ الزّوائدَ الصّرفيّةَ التي جاءتْ على صيغةِ هذا الجذرِ الفعليّة كانتْ على النّحوِ الآتي:

1- المَزيدُ بالهمزةِ: صيغة (أفعَلَ).

2- المَزيدُ بالتّضعيفِ: صيغة (فعَّلَ).

3- المَزيدُ بالتّاءِ والتّضعيفِ: صيغة (تفعَّلَ).

ومعلومٌ أنّ الزّيادةَ الصّرفيةَ في الفعلِ الجذرِ تؤدّي إلى دلالةٍ وظيفيّةٍ، وأنَّ هذهِ الزّيادةَ مُلْحَقَةً كانتْ أمْ لاصِقَةً "علامةٌ على مورفيمٍ ما، أو مورفيمٍ ذي دلالةٍ مُحدَّدةٍ، وقد تكونُ في صدْرِ الكلمةِ فتكونُ سابقةً (Prefix)، وقد تكونُ في وسط الكلمةِ فتكونُ حشوًا (Infix)، وقد تكونُ في آخرِ الكلمةِ فتكونُ عجزًا (Suffix). وهذهِ المُلحقاتُ تقومُ بدورٍ وظيفيٍّ لا علاقةَ لهُ بالمُعجَمِ، فالمُعجَمُ لا يهتمُّ بدراسةِ ألف الاثنيْنِ أو واوِ الجماعةِ أو نون التّوكيدِ ونحو ذلك؛ إذ ليسَ لهذهِ المُلحقاتِ مَدخلٌ مُعجميٌّ خاصٌّ، وتتحدّدُ معانيها الوظيفيّةُ في إطار دراسةِ النّحوِ والصّرف"[1].

وللمورفيمِ -لِكَوْنِهِ وحدةً صرفيّةً- أثرٌ جليٌّ في المعنى، ولا سيّما في أبنيةِ الأفعالِ الماضيةِ؛ إذ يبدو أثرُ زيادتها "مِن خلالِ المعاني الفَرعيةِ التي يكتسِبُها كلُّ بناءٍ في التّركيبِ اللُّغويّ والسّياقِ الذي يُوضَعُ فيهِ، بالإضافةِ إلى المعنى العامّ الذي يكونُ للفِعلِ، وربّما يكونُ

---

[1] انظر: محمد عبد الوهاب شحاتة، مفهوم المورفيم في علم اللغة الحديث، دراسة نظرية ومحاولة تطبيقية في العربيّة، مجلة علوم اللغة، القاهرة، المجلّد الأول، العدد الأول، 1998م، ص191.

الزّائدُ في بِنيةِ الفِعْلِ حرفًا، أو حرفيْنِ، أو ثلاثةً"[1]. ونستطيعُ القولَ بأنّ هذهِ الوَحداتِ الصّرفيّةَ وسائلُ يُستعانُ بها في الكشفِ أو الإبانةِ عنِ المعاني، وهذا ما يسعى الباحثُ إليهِ جاهدًا في هذا المبحث.

أمّا الزّوائدُ المتعلّقةُ بالجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ، فإنّ الباحثَ يحصُرُها في الآتي:

1) صيغة (أفعل)

ومِنْ معاني صِيغَةِ (أَفْعَلَ)، بزيادَةِ الهمزةِ "التّعديةُ كأخرَجْتُ زيْدًا. والصّيرورةُ كأَغَدَّ البعيرُ أي صارَ ذا غُدّة. والسَّلبُ كأشكيْتُهُ أي أزلْتُ شكايَتَهُ. والتّعريضُ كأقتلْتُ فلانًا إذا عرَّضْتُهُ للقتْلِ، وأبعْتُ الشّيءَ إذا عرَّضْتُهُ للبيْعِ. ووجودُ الشيءِ على صِفَتِهِ كأحمدْتُ فلانًا، وأبْخَلْتُهُ، وأجْبَنْتُهُ، أي وجَدْتُهُ متّصفًا بالحَمْدِ، والبُخْلِ، والجُبْنِ"[2]. ومِن معانيها أنْ تكونَ (أَفْعَلَ) بِمعنى (استَفْعَلَ) نحوَ: "أَعْظَمْتُهُ، أيْ: اسْتَعْظَمْتُهُ، وأنْ تكونَ مُطاوِعَةً لِصيغَةِ "فَعَّلَ" بالتّشديدِ نحوَ: فطَّرْتُهُ فَأَفْطَرَ وبشَّرْتُهُ فأَبْشَرَ. ومِنْ معانيها معنى التّمكينِ، كأَحْفَرْتُهُ النَّهْرَ، أيْ: مَكَّنْتُهُ مِنْ حَفْرِهِ"[3].

2) صيغة (فَعَّل)

ومِن معاني الزّيادةِ في هذهِ الصّيغةِ "التّعديةُ نحوَ: أدَّبْتُ الصّبيَّ. والتّكثيرُ كَفَتَّحْتُ الأبوابَ، وذبَّحْتُ الغَنَمَ. والسَّلبُ كقرَّدْتُ البعيرَ، أي أزلْتُ قرادَهُ"[4]. ومِنْ معانيها المبالغةُ

---

[1] انظر: محمد عبد الوهاب شحاتة، مفهوم المورفيم في علم اللغة الحديث، دراسة نظرية ومحاولة تطبيقية في العربيّة ص 250.

[2] انظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدّين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م، 3/265-266.

[3] انظر: الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف، ط12، دار الكيان للطّباعة والنّشر، الرياض، 1957م، ص77-78.

[4] انظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع 3/266.

والتّكثيرُ، ومِثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾ [يوسف 23]، إذ يمكنُ أنْ تكونَ الزّيادةُ فيها بمعنى التّأكيدِ على حدوثِ الفعلِ وذلكَ في (**غَلَّقَتِ**). ويُمكنُ أنْ تكونَ زيادَةُ التّضعيفِ في صيغةِ (فَعَّلَ) بِمعنى التّدرُّجِ، أو أنْ تكونَ حمّالةً لِأكثرَ مِن معنًى.

و"تشترِكُ صيغَةُ "فَعَّلَ" معَ صيغَةِ (أَفْعَلَ) في معنيَيْنِ اثنيْنِ: التّعديَةِ والإزالَةِ، وتنفرِدُ عنْها بِمعانٍ أخرى مِنها: التّكثيرُ في الفِعلِ، كجَوَّلَ: أكثرَ الجَوَلان، أو في المَفعولِ، كغَلَّقَتِ الأبوابَ، أو في الفاعِلِ كموّتَتِ الإبلُ وبرَّكَتْ. وصيرورةُ شيءٍ شِبْهَ شيءٍ كقَوَّسَ زيدٌ وحَجَّرَ الطّينُ. ونِسبةُ الشّيءِ إلى أَصلِ الفِعلِ ككَفَّرْتُهُ. والتَّوجُّهُ إلى الشّيءِ كشَرَّقْتَ أو غَرَّبْتَ. واختصارُ حِكايَةِ الشّيءِ كهَلَّلَ وسَبَّحَ. وقَبولُ الشّيءِ كشَفَّعْتُ زيدًا: أي قَبِلْتُ شفاعَتَهُ. وربّما وَرَدَتْ صيغةُ (فَعَّلَ) بِمعنى الأصْلِ (فَعَلَ) أو بمعنى (تَفَعّلَ) نحوَ: وَلَّى: تَوَلَّى، وفَكَّر: تَفكَّر"[1].

3) صيغة (تَفعَّل)

ومِن معاني الزّيادةِ في هذهِ الصّيغةِ "مُطاوعةُ (فعَّلَ) ككَسَّرْتُهُ فتكَسَّرَ، وعلَّمْتُهُ فَتَعلَّمَ. والتّكَلُّفُ كتَحَلَّمَ، وتَصَبَّرَ، وتَشَجَّعَ إذا تَكَلَّفَ الحِلْمَ، والصَّبْرَ، والشّجاعةَ وكانَ غيْرَ مطبوعٍ عليْها. والاتّخاذُ كَتَبَنَّيْتُ الصّبيَّ: اتّخَذْتُهُ ابنًا، وتوَسَّدْتُ التُّرابَ: اتّخَذْتُهُ وِسادةً. والتّكوينُ بِمهلةٍ كَتَفَهَّمَ، وتبَصَّرَ، وتَسَمَّعَ، وتعرَّفَ، وتجرَّعَ، تحسّى. والتّجنُّبُ كتأثَّمَ، وتَحَرَّجَ، وتَهَجَّدَ: إذا تَجَنَّبَ الإثمَ، والحَرَجَ، والهجودَ. والصّيْرورةُ كَتأيَّمت المرأةُ، وتَحَجَّرَ الطّينُ، وتَجَبَّنَ اللَّبَنُ. وبمعنى (استفعَلَ) كتكَبَّرَ، وتَعَظَّمَ. وبمعنى (فَعَل) كتَعَدّى الشيء وعَداهُ إذا جاوَزَهُ"[2].

وثَمَّةَ قِسمةٌ لِلفعلِ مِنْ حيثُ التّعدي واللُّزومُ، وهي إمّا أنْ يكونَ مُتعدّيًا ويُسمّى مجاوزًا، أو لازِمًا ويُسمّى قاصِرًا. والمُتعدّي: ما يُجاوِزُ الفاعِلَ إلى المفعولِ بِهِ بِنَفسِهِ، نحو:

---

[1] انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص79–80.

[2] انظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 268/3.

حفِظَ محمّدٌ الدَّرسَ. و"علامَتُهُ أنْ تتّصِلَ بِهِ هاءٌ تعودُ على غيْرِ المصدَرِ نحوَ: زيدٌ ضَرَبَهُ عمروٌ، وأنْ يُصاغَ مِنْهُ اسمُ المفعولِ تامًّا أيْ: غيرَ مقترنٍ بحرفِ جرٍّ أو ظرفٍ، نحوَ: مضروب... واللّازمُ: ما لم يُجاوِزِ الفاعِلَ إلى المفعولِ بِهِ، كقَعَدَ محمّدٌ"[1].

ولِتعدّي الفِعلِ اللّازمِ أسبابٌ مِنها ما هو وسيلةٌ أو إضافَةٌ على الصّيغَةِ تُحوّلُها مِنْ حالَةِ اللُّزومِ إلى حالَةِ التَّعدّي، ومِنْ ذلكَ: الهمزةُ في (أفْعَل)، والتّضعيفُ في (فعَّل) وزيادةُ الهمزةِ والسّينِ والتّاءِ في (استَفْعَل). ومِنَ الأسبابِ التّضمينُ النَّحويُّ وهو أنْ يُشرَبَ فِعْلٌ لازِمٌ معنى فِعْلٍ مُتعدٍّ؛ لِيَتعدّى تعدِيَتَهُ نحوَ: ﴿**وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ**﴾ **[البقرة ٢٣٥]**، فإنّ مِنْ وجوهِ إعرابِ (عقدة) أنْ تكونَ مفعولًا بِهِ على تضمينِ "عَزَم" معنى ما يتعدّى بِنفسِهِ، وهو: تنْوُوا أو تُباشِروا[2].

وكذلكَ مِنْ أسبابِ لزومِ الفعلِ المُتعدّي التّضمينُ نحوَ قولِهِ تعالى: ﴿**لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ **[النور ٦٣]**؛ ذلكَ أنَّ (يخالفون) يتعدّى بِنفسِهِ، وأنَّهُ ضُمِّنَ معنى صَدَّ وأعْرَضَ، أيْ: صدَّ عنْ أمرِهِ وأَعْرَضَ عنْهُ مُخالِفًا لَهُ[3].

أما الصّورةُ الأولى فجاءتْ في القرآنِ مِئةً وثمانِيًا وثلاثينَ مرةً، يذكُرُ الباحِثُ مِنها:

1. قوْلُهُ تعالى: ﴿**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ**﴾ [الكهف 1]. يكثرُ في القرآنِ الكريمِ المُثُلُ على نعمةِ إنزالِ اللهِ القرآنَ على نبيّه محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم–؛ ليخرجَ الناسَ من الظّلماتِ إلى النّورِ، ويعلّمَهم دينَهم وأمورَ دنياهم، ويرشدَهم إلى

---

[1] انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص87.

[2] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 485/2.

[3] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 449/8.

الصّراطِ المستقيم الذي لا اعوجاجَ فيهِ، ويهديَهم إلى سبلِ الرّشادِ. ونعمُ الله تعالى على عبادِهِ كثيرةٌ لا يحيطُها عَدَدٌ ولا تبلُغُها عدّةٌ؛ فاللهُ تعالى الكريمُ الجوادُ، ومنها نعمةُ نزولِ القرآن. و"ما أشيرَ له هنا من عظيمِ الإنعامِ والامتنانِ على خَلْقِهِ بإنزالِ القرآنِ العظيمِ، منذرًا مَن لم يعمل به، ومبشّرًا مَن عمِلَ بِهِ، ذكرُ الله تعالى تلكم النّعمةَ في مواضِعَ كثيرةٍ مِنَ القرآنِ[1]، ومنها:

- قولُهُ تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا**﴾ [النساء 174].

- وقوْلُهُ تعالى: ﴿**أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ**﴾ [العنكبوت 51].

والآياتُ الكريمَةُ السّابقةُ تتجلّى فيها نعمةُ نزولِ القرآنِ بِصُوَرٍ مُتعدّدةٍ، وفيها أنّ القرآنَ برهانٌ وحجةٌ على النّاسِ يومَ الدّين، والبرهان –عند الجمهور– هو محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، وسمّاه برهانًا؛ لأنّ مِنْهُ البرهانَ، وهو المعجزةُ. وقال مجاهدٌ: البرهانُ هنا الحجّةُ، وقيلَ الإسلامُ، والنّورُ المبينُ هو القرآنُ[2]. وهو النّورُ الذي يسعى بيْنَ أيدينا إذا ما تمسّكنا به ووعيناهُ حقّ وعيهِ، وهو العِصمَةُ مِن دخولِ النّارِ والهدايةُ إلى الصّراطِ المستقيمِ والمنهَجِ القويمِ. والقرآنُ الرّحمةُ مِن عذابِ اللهِ، وهو الذّكرى لِكُلّ مدّكرٍ والعبرةُ لكلّ معتبرٍ. وهو الشفاءُ مِنْ كلِّ مرضٍ. فالحمدُ للهِ الذي أَنْزَلَ على عبدهِ محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم– الكتابَ ولم يجعلْ لَهُ عِوَجًا.

---

[1] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 4/5–6.

[2] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 6/93–94.

2. وقوْلُهُ تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة 185].

وأما قوله –تقدّستْ أسماؤه–: (الذي أنزل فيه القرآن) فإنّه ذِكرٌ أنّه نزلَ في ليلة القدر من اللّوحِ المحفوظ إلى السّماء الدنيا، في ليلة القدر من شهرِ رمضانَ. ثمّ أُنزلَ إلى محمّد –صلّى الله عليه وسلم– على ما أراد الله إنزالَهُ إليه[1].

ورُويَ عن واثلةَ بنَ الأسقعِ أنَّ رسولَ اللهِ –صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم– قالَ: "أُنزِلتْ صحفُ إبراهيمَ عليْهِ السّلامُ في أوّلِ ليلةٍ مِن رمضانَ، وأُنزِلَتِ التّوراةُ لِستٍّ مضيْنَ مِنْ رمضانَ، والإنجيلُ لثلاثَ عشرةَ خلَتْ مِن رمضانَ، وأُنزِلَ الفرقانُ لأربعٍ وعشرينَ خلَتْ مِنْ رمضانَ"[2].

ويُذكر في القرآن الكريم نزوله في شهرِ رمضانَ في موضعيْنِ آخريْنِ: أحدُهما قوْلُهُ تعالى: **﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾** [الدخان 3]، والآخرُ قوْلُهُ –عزّ وجلّ–: **﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾** [القدر 1]، ولِذكْرِ صيغةِ الإنزالِ دونَ التّنزيلِ فضلُ بيانٍ فيما ذكرَهُ الرّاغبُ في مُعجَمِهِ أنّه خُصّ لفظُ (الإنزال) دونَ (التّنزيل)...، ففي قوله –عزّ مِن قائل–:**﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة 97]. خَصَّ لفظَ (الإنزال)؛ ليكونَ أعمّ. وقوله تعالى: **﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الحشر 21]، ولم يقُلْ: لو نزّلنا، تنبيهًا أنّا لو خوّلناهم مرّةً ما خوّلناك مرارًا لرأيته خاشعًا.

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان، 188/3.

[2] انظر: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، مُسنَد أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط– عادل مرشد، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001م، 191/28–192.

وقوله: ﴿**أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا * رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا**﴾ [الطلاق 10-11]، فقد قيل: أراد بإنزال الذّكرِ ههنا بعثةَ النبيّ -عليه الصّلاةُ والسّلامُ- وسمّاه ذِكرًا كما سُمّيَ عيسى -عليه السّلامُ- كلمةً[1].

وثمّةَ مواضِعُ تتّفقُ فيها دلالةُ صيغةِ (أفعل) المتعدّيةِ الصّرفيّةُ والمُعجميّةُ يُوردُها الباحثُ في هذا المبحثِ مجتمعةً، وهي على النّحو الآتي:

1. قال تعالى: ﴿**وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ**﴾ [البقرة 57].

2. قال تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف 26].

3. قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا**﴾ [النساء 174].

4. قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا**﴾ [الفرقان 48].

5. قال تعالى: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَاجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ**﴾ [الزمر 6].

---

[1] انظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داودي، ط4، دار القلم، دمشق، 2009م، ص800.

6. قال تعالى: ﴿**لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ**﴾ [الحديد 25].

7. قال تعالى: ﴿**قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ [المائدة 114].

والباعِثُ على ذكرِ الآياتِ السّابقةِ مجتمعةً أنّ ثمّةَ اتّفاقًا في الدّلالةِ الصّرفيةِ الكُلّيّةِ العامّةِ فيها، ذلك أنّها تدلّ على الإنزالِ الحقيقيّ أو المجازيّ يكونُ مسبّبًا لحقيقيّ، "فإنزالُ الله تعالى نعمةٌ ونقمةٌ على الخلق، وإعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسِهِ كإنزالِ القرآنِ، وإمّا بإنزالِ أسبابِهِ والهدايةِ إليهِ كإنزالِ الحديدِ واللّباسِ والأنعامِ والمائدةِ والماءِ الطّهورِ، ونحو ذلك"[1].

أمّا قوْلُهُ تعالى: **(وأَنْزَلنا مِنَ السّمَاءِ ماءً طَهُورًا)**، فالماءُ الطّهور هنا هو المطرُ، أو الأنهارُ النّازلةُ مِنَ الجنّةِ، قيل هي خمسة أنهار: سيحون نهر الهند، وجَيحون نهر بلْخ، ودجلة والفرات نهر العراق، والنيل نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عينٍ واحدةٍ مِن عيون الجنة فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعلَ منها منافِعَ للنّاسِ في فنونِ معايشِهم. وتتجلّى الدّلالةُ المُعجميّةُ في لفتةٍ عجيبةٍ مفادُها التّقديمُ والتأخير؛ إذ إنّ (مِن) ابتدائية متعلّقة بـ(أنزلنا)، وتقديمُها على المفعولِ الصّريحِ مِنَ الاعتناءِ بالمقدَّمِ والتّشويقِ إلى المؤخَّرِ والعدولِ عنِ الإضمارِ؛ لأنّ الإنزال لا يُعتبر فيهِ عنوانُ كونِها طرائقَ بل مجرّد كونِها جهةَ العلوّ[2].

والمتأمّلُ للموضِعِ السّابقِ يجدُ تقديمًا للجار والمجرورِ وتأخيرًا للمفعول بهِ، وهذا جليٌّ في مواضِعَ أُخرَ، إذ يُمكنُ أنْ يُفصَلَ بينَ الفِعلِ (أنزل) ومفعولِهِ بحرفِ مِن حروفِ الجرّ: (مِن)، و(على)، و(اللّام)، و(إلى)، وأحيانًا لا يُفصَلُ بينهما. ففي قوله تعالى: **(وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا)** مُلاحَظٌ أنّ حرف الجرّ (إلى) معَ ضميرِ الخِطابِ قد فُصِلَ بينَ الفعلِ (أنزل)

---

[1] انظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص799.

[2] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 224/6.

ومفعولِهِ. و(إليكم) متعلّقٌ بـِ(أنزلنا)؛ ذلك أنّ إنزالَهُ بالذّاتِ، وإنْ كانَ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولكنّهُ مُنْزَلٌ إليهم أيضًا بواسطته عليه الصّلاةُ والسّلامُ، وإنّما اعتُبرَ حالهُ بالواسطة دونَ حاله بالذات، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا**﴾ [النساء 105]. أمّا تقديمُ الجارّ والمجرور على المفعول؛ فإنّ الباحث يذهب إلى ما ذهب إليه أبو السعود، وهو الاهتمام بما قُدِّم، والتّشويق إلى ما أُخِّر، وللمحافظة على فواصل الآي الكريمةِ[1].

ويستدلُّ القرآنُ الكريمُ على نوعٍ آخرَ مِنَ النّزولِ، يكونُ فيهِ الإنزالُ مجازًا عن القضاء، والقسمة؛ لأنّه تعالى إذ قضى وقسَّم أثبت ذلك في اللّوح المحفوظ، ومثال ذلك قولُهُ تعالى: **(وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ)**، ونزلَتْ به الملائكةُ الموكَّلَةُ بإظهارِهِ، ووصفَهُ بالنُّزولِ مَعَ أنّهُ معنىً شائعٌ متعارفٌ كالحقيقةِ، والعلاقَةُ بيْنَ الإنزالِ والقضاءِ الظهورُ بعدَ الخفاءِ، ففي الكلامِ استعارةٌ تبعيَّةٌ، وفي هذا لفتةٌ بلاغيّةٌ عجيبةٌ، وجُوِّزَ أنْ يكونَ فيهِ مجازٌ مُرسلٌ، ويجوز أنْ يكونَ التجوُّزُ في نسبةِ الإنزالِ إلى الأنعامِ، والمنزَّلُ حقيقةً أسبابُ حياتِها كالأمطار، ووجهُ ذلكَ المُلابسةُ بينَهما، وقيلَ: يُرادُ بالأزواجِ أسبابُ تعيُّشها، أو يجعلُ الإنزالُ مجازًا عن إحداثِ ذلكَ بأسبابٍ سماويّةٍ[2].

كما أنّ قولَهُ تعالى: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ) يحملُ مدلولًا آخرَ تؤدّيهِ الصِّيغَةُ الصَّرفيَّةُ (أفعل)؛ ذلكَ أنّ الهمزةَ فيها للتّعدية، وأنَّهُ لا بُدَّ مِن مُنزِّل حتى يحدثَ واقعُ النُّزولِ، وهو الله جلّ في علاه. وقيل: معناه: أنّ المخلوقَ الأوّلَ مِن هذهِ الأنعامِ خُلق في السّماءِ وأهبِطَ إلى الأرضِ، وقالت فِرقةٌ: بل لمّا نزل الأمر بخَلْقِهِ، وإيجاده من عند الله، وكانت العادةُ في نِعَمِ الله ورحمتِهِ وأمطارِهِ وغير ذلك أنْ يُقال إنّها مِنَ السّماء، عبّر عن هذه بـِ(أَنْزَلَ)، وقالتْ فِرقةٌ: لمّا كانتِ

---

[1] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 263/2.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 240/23.

الأمطارُ تنزلُ، وكانتِ الأعشابُ والنباتُ عنها، كانت هذه الأنعامُ عن النّباتِ في سِمْنِها ومعاشِها قال فيها: (أَنْزَلَ)، فهو على التّدريج[1].

ومِن ذلك النّوع مِنَ النّزولِ قوْلُهُ تعالى: ﴿**قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ [المائدة 114]؛ ذلك أنّ الفعل (أنزل) جاءَ على صيغة الأمر على لسان النّبيّ عيسى عليه السّلام، الأمر الذي كان جوابًا لسؤال الحواريّين الذين سألوا عيسى عليه السلام، فكان الخطاب: ﴿**إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة 112]، ردّ بها عيسى عليه السلام قولتهم (هل يستطيع ربّك) بدعائه الله عزّ وجل: (اللّهمّ ربنا)، "إذ نادى ربّه أولًا بالعلم الذي لا شِرْكَةَ فيهِ، ثمّ ثانيًا بلفظِ (ربّنا) مطابقًا إلى مُصلِحنا ومُربّينا ومالِكنا"[2]. وربّما يكونُ العدولُ عن صيغةِ الأمرِ (نزّلْ) إلى صيغةِ الأمرِ (أنزلْ) وما في ذلكَ مِن لُطفِ الطَّلَبِ وأدَبِ الدّعاءِ؛ مُناسبةً وردًّا على لغةِ خطابِ الحواريّين.

ومِنَ النُّزولِ الدالّ على النِّعَمِ التي هي في الأصْلِ انحطاطٌ مِنْ عُلُوٍّ[3]:

قولُهُ تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا**﴾ [النبأ 14]، وقولُهُ تعالى: ﴿**يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف 26]، وقولُهُ تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [البقرة 57].

ومِنْ إنزالِ العذابِ والنّقمِ قولُهُ تعالى: ﴿**إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ**﴾ [العنكبوت 34]. والمتدبّر في معاني الآياتِ السّابقةِ يجدُ أنّ ثمّةَ فرقًا جليًّا بينَ ما أنْزَلَهُ الله –جلّ في عُلاه– إنزالَ الشّيء نفسِهِ مِن مِثْلِ ما أنزل القرآن، وبين ما أنزل إنزالًا مُسبّبًا كإنزال الحديد واللّباس والأنعام والمنّ والسلوى. أو أنّ الإنزال مجازٌ من

---

[1] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 520/4.

[2] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 60/4.

[3] انظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص799.

إطلاقِ السّببِ على مسبّبه[1]، ومنه أنزل الله تعالى المطر، وهو سببُ ما يتهيّأ من اللّباس. ولمّا كانت السّماءُ سببًا للنّعم فإنّها جُعِلَتْ للعذابِ والنّقم يسيّرها الله كيفَ يشاء؛ لقوله تعالى: ﴿**يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا**﴾ [الإنسان 31].

أمّا ما يدلُّ في التّنزيلِ الحكيمِ على الإنزال الحقيقيّ، فَمشهدُ قتالِ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وصحابته الكرام لقبيلة هوازن يومَ حُنين، يوم اغترّ المسلمون بكثرتهم، فكان حقًّا عليهم أن يحتموا برسول الله، ويلجؤوا إلى الله بالدّعاء لهم بالنّصر؛ يقول تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [التوبة 26]، أي: رحمته التي تُسكَنُ بها القلوبُ، وتطمئنُّ إليها اطمئنانًا كليًّا مُستتبعًا للنّصرِ القريب. أمّا دلالةُ توسُّطِ الجارّ بين (رسوله) و(المؤمنين)، وذلك لما بينَهما مِنْ تفاوُتٍ، أي: المؤمنين الذين انهزموا، وقيل: على الذين ثبتوا مع النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أو على الكُلّ، ولا ضيرَ في تحقُّقِ أصلِ السّكينةِ في الثابتينَ من قبلُ، والتعرُّضُ لوصفِ الإيمانِ للإشعارِ بعِلية الإنزال[2].

ويرى الباحِثُ –بنظرِ المُمْعِنِ في الآيةِ– أنّهُ لمّا اغترَّ المسلمونَ بعدّتهم وعددهم، والتجؤوا إلى الله –عزّ وجلّ– بالدّعاء، واحتموا برسوله الكريم –صلّى الله عليه وسلّم– كان حقًّا على الله –جلّ في علاه– أن يوسّعَ عليهم ما ضاقَ أيّما توسِعةٍ، ويمدَّهم بجنودٍ لم يرَوْها. وصدقَ اللهُ وعدَهُ: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [الروم 47].

---

[1] انظر: مهدي عرار، المشترك اللغوي في القرآن الكريم، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2012م، ص403.

[2] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 56/4.

(ب) صيغة "تفعّل"

ووَرَدتْ صيغةُ "تفعّل" للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ سبْعَ مرّاتٍ، يوضِّحُ الباحثُ مِنها الآتي:

1- قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القدر: 4].

ولمّا كانت ليلةُ القدر التي هي خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، تنزّلتِ الملائكةُ، وهذا "استئنافٌ مُبينٌ لِمناطِ فضلِها على تلكَ المُدَّةِ المديدةِ، وأنّ ثمَّةَ عوْدًا وإرجاعًا للضّمير في الآية، فالضّمير (ها) في لفظِ (فيها) عائدٌ على اللّيلةِ، وأنَّ الجُملَةَ صِفَةٌ لألْفِ شهْرٍ، وجوَّزَ بعضُهم كونَ الضَّميرِ للملائكةِ على أنّ (الرّوح) مبتدأٌ لا معطوفٌ على (الملائكة)، و(فيها) خبرُه لا متعلّقٌ بِـ"تنزَّلُ"، والجملةُ حالٌ من "الملائكة"، وهو خلافُ الظّاهر[1].

ولا شكّ أنَّ صيغةَ المُضارعِ (تَنَزَّلُ) تُفضي إلى دلالَةِ الاستمرارِ في الحدوثِ أو النُّزولِ، "فالتّعبيرُ بالفعل المضارع مُؤذِنٌ بأنّ هذا التنزُّلَ متكرّرٌ في المستقبلِ بعدَ نزولِ هذهِ السّورةِ. وذكرُ نهايتها بطلوعِ الفجرِ لا أثرَ له في بيانِ فضلِها، فتعيّن أنّهُ إدماجٌ للتّعريفِ بمُنتهاها؛ ليَحْرصَ النّاسُ على كثرةِ العَمَلِ فيها قبلَ انتهائِها[2]. وفي هذا دلالةٌ مُعجميَّةٌ بائنةٌ عنِ الصّيغةِ المضارعةِ (تنزَّلُ).

وعند أبي حيّان، التنزُّل إمّا إلى الأرضِ، وإمّا إلى السّماءِ الدّنيا، و(بإذن ربهم) و(مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) متعلّقانِ بـ(تنزّلُ). أمّا حرف الجرّ (مِن) فهو للسّببِ؛ أي تتنزَّلُ مِن أجلِ كُلِّ أمْرٍ قضاهُ اللهُ لِتلكَ السَّنَةِ إلى قابِل[3].

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 194/30.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 461/30.

[3] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 493/8.

وفي موضِعٍ آخرَ، تأتي صيغة المضارع للمزيدِ (تفعّل) على النّحوِ الآتي:

2- قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: 64].

ولعلَّ مِنْ مصادِرِ تكشُّفِ البيانِ المُعجِز في آياتِ الذكْرِ الحكيمِ، معرِفَةَ سببِ النّزولِ. ومُخطِئٌ مَن يزعُمُ أنّ "معرفةَ أسبابِ النّزولِ" لا طائِلَ تحتَهُ؛ لِجَرَيانِهِ مُجرى التّاريخِ، وليسَ كذلك، بل لهُ فوائِدُ جمَّةٌ منها: الحكمةُ من تشريعِ الأحكامِ، وتخصيصُ الحُكم، والوقوفُ على المعنى...[1]. ففي هذه الآيةِ حِكايةٌ لقولِ جبريلَ -عليه السلامُ- حينَ استبطأه الرّسولُ -صلّى الله عليه وسلّم- لمّا سُئلَ عن أصحابِ الكهفِ وذي القرنين، فلم يدرِ كيفَ يُجيبُ؟ حتى إنّ المشركين -لمّا شقّ ذلك على النّبيّ الأكرم- قالوا: ودَّعه ربُّهُ وقلاهُ. ثم نزلَ بِبيانِ ذلكَ، وأنزلَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- هذهِ الآيةَ، وسورةَ الضّحى[2]. وقد سبقَ صيغةَ (تفعّل) نونُ المضارَعَةِ للدّلالةِ على أنَّ الخِطابَ مِنَ العظيمِ -جلَّ جلالُهُ- إلى جبريلَ -عليْهِ السّلامُ- لِيبلّغَهُ للنبيّ -صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ- قرآنًا، "فالنّظمُ نظمُ القرآنِ، وضميرُ الخِطابِ لجبريلَ والملائكة، أعلمَ اللهُ نبيَّهُ على لسانِ جبريلَ أنَّ نزولَ الملائكةِ لا يقعُ إلّا عنْ أمرِ الله تعالى، وليسَ لهم اختيارٌ في النّزولِ ولقاءِ الرُّسُلِ، قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء 27][3].

والمتدبّرُ للآيةِ السّابقةِ يجدُ مُناسبةً بليغةً لاختيارِ صيغةِ (تفعّل) بالتّشديدِ دونَ غيرِها؛ ذلكَ أنَّ التّفعُّل -وهو مصدرُ الصّيغةِ (تفعَّلَ)- يدلُّ على التّدريجِ والمرّة بعدَ المرّة وليسَ دفعةً واحدةً، ولذلكَ قالَ اللهُ تعالى: (وما نتنزَّلُ) ولم يقُل (وما ننزِل). وربّما يكونُ للتنزُّلِ -ههنا- معنًى آخرُ، ألا وهو التّكلُّف، كما ذهبَ إليْهِ ابنُ عاشورٍ بقوْلِهِ: "وأصلُ التنزُّلِ

---

[1] انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1972م، 22/1.

[2] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 273/5.

[3] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 139/16.

تكلُّفُ النّزولِ. فأُطلِقَ ذلكَ على نزولِ الملائكةِ مِنَ السّماءِ إلى الأرضِ؛ لأنّهُ نزولٌ نادرٌ وخروجٌ عنْ عالمِهم فكأنَّهُ مُتكلَّفٌ"[1].

(وَمَا نَتَنَزَّلُ)، على ما ذكرَ القُرطبِيُّ، تحتمِلُ وجهيْنِ: أحدُهما تقديره: إنّا إذا أُمِرْنا نَزَلنا عليْكَ. والآخر تقديرهُ: إذا أمرَك ربُّك نَزَلْنا عليك. فيكونُ الأمرُ على الوجْهِ الأوَّلِ متوجّهًا إلى النّزول، وعلى الوجْهِ الآخر متوجّهًا إلى التّنزيل[2].

ويُشيرُ الباحِثُ هنا إلى أنّ ثمّةَ دلالةً عائِمةً لِلفظِ النُّزولِ يُجلّيها السّياقُ القرآنيّ؛ ذلكَ أنَّ مِنْ بواعِثِ تعدُّدِ المعاني في المُشترَكِ الأُسلوبيّ في القرآنِ الكريمِ أنْ تكونَ دلالةُ التَركيبِ عائِمةً تحتمِلُ معانيَ متباينةً[3].

3- قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء 210]

تتجلّى في الآيةِ السّابقةِ صورةُ النّزولِ في صيغةِ (التنزُّل) في أطهَرِ صورةٍ وأسمى دلالةٍ؛ إذ "تترفّعُ عن كُلِّ نجاسَةٍ أو شائبةٍ، فكيفَ للشياطينِ أنْ تحمِلَ ما نُزِّل أو تنزّل به؟ لذا، كان النفيُ مُنزّهًا لِهذا التنزُّلِ، وما ينبغي للشياطينِ أنْ ينزلوا بِهِ عليْهِ، ولا يصلُحُ لهم ذلكَ، وما يستطيعونَ أنْ يتنزَّلوا بِهِ؛ لأنَّهم لا يصلون إلى استماعِهِ في المكانِ الذي هو بِهِ مِنَ السّماءِ؛ ﴿**إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**﴾ [الشعراء 212]"[4].

والتّعبيرُ القرآني بالتّفعيل؛ لأنَّ التّنزُّلَ لو وَقَعَ لكانَ تدريجيًّا، وقد يكونُ النّفيُ مُطابقًا لِواقِعِ الحالِ الذي هو "تنزّل"، إذ تنزَّلَ القرآنُ على النّبيّ منجّمًا مرّةً بعدَ مرّةٍ لا دُفعةً واحدةً، بل على الكَرّةِ، فاستعملَ الحقُّ الفِعلَ "تنزّلتْ" نافيًا أنْ يكونَ مِنَ الشّياطينِ، مُثبِتًا أنْ يكونَ مِنَ اللهِ الحقّ جلَّ جلالُهُ، دالًّا على الهيئةِ التي تُستقى مِن دلالةِ "تفعّل"، وهي دلالةُ التّدريجِ والموالاةِ.

---

[1] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 140/16.

[2] انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنة وآي القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م، 482/13.

[3] انظر: مهدي عرار، المشترك اللغوي في القرآن الكريم، ص383.

[4] انظر: الطبري، جامع البيان، 652/17.

ويحدُثُ أنْ يكونَ في صيغةِ (تفعّل) المزيدة بالتّضعيفِ تعدُّدٌ في القِراءةِ يُفضي إلى انفتاحٍ في الدّلالةِ الصّرفيّةِ والمُعجميَّةِ، ومثالُ ذلكَ:

4- قولُهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق 12]، ففي لفْظِ (يَتَنَزَّلُ) قراءتانِ: أولاهما مُضارعُ (تنزَّلَ)، وهي قراءةُ الجمهورِ. وأُخراهما (ينزّل) مُضارِعُ (نزل) مُشدّدًا، والأخرى بالنّصب، وهي قراءة عيسى وأبي عمرو في رواية[1]. وقيلَ في (يتنزّل الأمرُ بينَهُنَّ): يتنزَّلُ الأمرُ مِنَ السّماواتِ السبْعِ إلى الأرضينَ السبْعِ. وقيلَ: بينَ كلّ سماءيْنِ أرضٌ وأمرٌ. والأمرُ هنا الوحيُ. وقيل: يتنزّلُ الأمرُ بينهنَّ بحياةِ بعضٍ وموْتِ بعْضٍ، وغنى قوْمٍ وفقرِ قوْمٍ. وقيل: هو ما يُدبّرُ مِنهنَّ مِن عجيبِ تدبيرِهِ، فيُنزِّلُ المطرَ، ويُخرجُ النباتَ، ويأتي باللّيلِ والنّهارِ، والصّيْفِ والشّتاءِ، ويخلُقُ الحيواناتِ على اختلافِ أنواعِها وهيئاتِها، فينقلُهم مِن حالٍ إلى حالٍ[2].

ولعلّ في النزولِ ههنا معنى القضاء؛ قضاءِ أمرِ الله تعالى ونفاذِهِ. وبهذا يصبحُ معنى (يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ): يجري أمرُهُ وقضاؤُهُ بينهنّ، وينفُذُ ملكُهُ فيهنَّ. وهو ما ذهبَ إليْهِ أبو السّعود[3].

(جـ) صيغة "فعّل"

وقد تقدَّمَ قبلًا ذِكرٌ لِبعضِ المعاني التي تخرجُ إليْها صيغةُ (فعّل) المزيدة بالتّضعيفِ، ووَرَدَ ذِكْرُ هذهِ الصّيغَةِ في القرآنِ الكريمِ اثنتيْنِ وستّينَ مرَّةً. وممّا أنا خائضٌ فيه فضلُ بيانٍ وتجليةٌ للمعنى الصّرفيّ لصيغةِ (نزّل) في مواضِعَ مخصوصةٍ مِنَ الذّكرِ الحكيمِ، وهي على النّحوِ الآتي:

---

[1] انظر: إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1984م، 330/6.

[2] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 65/11.

[3] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 265/8.

1- قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر 9]

والإتيانُ بالملائِكَةِ على وجْهِ التّنزيلِ "إتيانٌ يليقُ بشأنِهم، حيثُ النّزولُ مِنْ مقامِهم العالي، وكوْنُ ذلكَ بطريقِ التّنزيلِ مِن جَنابِ الرّبِّ الجليل[1]. ويرى الباحِثُ أنَّ صيغةَ (فعّلنا- نزّلنا) حمّالةٌ لِثلاثةِ معانٍ:

- **أوّلُها التّأكيدُ**؛ تأكيدٌ على أنّهُ الذّكرُ الحكيمُ، والقرآنُ المحفوظُ نزلَ وبلَغَ، وأنَّ اللهَ هو المُنزّلُ على القَطْعِ والبتات، وأنَّهُ محفوظٌ مِنَ الشّياطينِ في كُلِّ وقتٍ مِن كُلّ زيادةٍ ونقصانٍ وتحريفٍ وتبديلٍ بِخلافِ الكُتُبِ المُتقدّمَةِ[2]. خبرٌ مؤكَّدٌ بثلاثةِ مؤكّداتٍ: حرفِ التّوكيدِ (إنَّ)، وضميرِ الفصْلِ (نحنُ)، والتّضعيفِ في الفعلِ (نزّلنا).

- **وثانيها التّكثيرُ**؛ تكثيرُ الحدثِ ذاتِهِ (التّنزيل) لزيادةِ الحفظِ، ونبذِ الباطلِ مِن شياطينِ الإنسِ والجِنّ، ويعضُدُ هذا المعنى مجيءُ الصّيغةِ المُضعّفةِ ذاتِها (فعّل) في الآيتيْنِ السّابقتيْنِ، وذلك في قوْلِهِ تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر ٨]، وقوْلِهِ تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر ٦].

- **وثالثُها التّدرُّجُ**؛ لِما في الذّكرِ الحكيمِ مِن أحكامٍ وتشريعاتٍ تنزَّلُ مرّةً بعدَ مرّةٍ بالتّدريجِ على لسانِ جبريلَ عليْهِ السّلامُ[3].

أمّا في موضِعِ آتٍ، فثمّةَ بيانٌ للتبايُنِ الحاصِلِ بينَ صيغتيْ (أفعلَ) و(فعّل)، ومناسبة السّياق في اختيارِ الصّيغةِ المُناسبةِ له:

2- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد 20]

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 16/14.

[2] انظر: الزمخشري، الكشاف، 553/2.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسُبِ الآياتِ والسُّورِ، 21/11.

لا شكّ في أنّ للتّضعيفِ وظيفةً مفادُها أنّها تصرِفُ بنيةَ الفعلِ مِنَ اللّزومِ إلى التّعدّي، وهي بمنزلةِ لاصقةِ الهمزةِ نحوَ: فَرِحَ وفرّحْتُهُ، وكَذَبَ وكَذّبْتُهُ، وإنْ شئتَ قُلْتَ: أَفْرَحْتَهُ وأَكْذَبْتَهُ[1]. ومِنَ الشّواهدِ الدّالّةِ المُعجِبةِ على معنى التّعدية الآتي مِنْ صيغتيْ (أَفْعَلَ) و(فَعَّل) ما يلفتُ إليهِ السّيوطي مِن إعجازٍ وبيانٍ في قوْلِهِ: "وقدْ قُلْتُ في إعجازِ القرآنِ وجهًا ذهبَ عنهُ النّاسُ، وهو صنيعُهُ في القلوبِ وتأثيرُهُ في النّفوس... إذا قَرَعَ السّمْعَ خَلُصَ لهُ القلبُ مِنَ اللّذةِ والحلاةِ. قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ**﴾ [الحشر 21]. وقال أيضًا: ﴿**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾ [الزمر 23][2].

وفي قولِهِ –عزّ وجلّ–: ﴿**وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ**﴾ [محمد 20] فضلُ بيانٍ مُحكَمٍ في أنّ "أنزل" بالهمزة تعني النّزولَ جملةً واحدةً، فدلالةُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ (نُزّلتْ) تُوحي بأنَّ المؤمنينَ في اشتياقٍ شديدٍ لتلقّي العِلمِ بآياتِ اللهِ –عزَّ وجلَّ– وأوامرِهِ، ومِنها أمرُ القتالِ، فالتّشديدُ في (نُزّلتْ) ناسَبَ التّشديدَ في انتظارِهم وشوْقِهم لِما سيُنزَّلُ. أمّا قوْلُهُ تعالى: **(فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ)** فاختبارٌ وكشفٌ للمُنافقينَ الذينَ في قلوبِهم مرضٌ، ولذلكَ ناسَبَ أنْ تكونَ الصّيغةُ دالّةً على النُّزولِ جُملةً واحدةً، فقالَ –عزَّ مِن قائلٍ–: **(أُنزِلَتْ)**.

أمّا "نزّل" بالتّضعيفِ فصيغةٌ تُفيدُ التدرّجَ بالنُّزولِ، ومِن ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ**﴾ [آل عمران 3]. أمّا

---

[1] انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، 55/4. وانظر: ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، شرح المفصّل للزمخشري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، 65/7.

[2] انظر: جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، 121/2–122.

قولـه: **(لَـوْلَا نُزِّلَـتْ سُـورَةٌ فَـإِذَآ أُنزِلَـتْ)** فذكرَ فـي الأولـى "نُزِّلَ" وفـي الثانيـة "أُنزِلَ"؛ "تنبيهًا أنّ المُنافقينَ يقترحونَ أنْ ينزلَ شيءٌ فشيءٌ في الحثِّ على القتالِ ليتولّوْه، وإذا أُمِروا بذلكَ مرةً واحدةً تحاشوا منهُ فلمْ يفعلوه، فهم يقترحونَ الكثيرَ ولا يفونَ منهُ بالقليل"[1]. وعليهِ يُمكِنُ القوْلُ إنَّ للسّياقِ الشّريفِ دورًا في تناسُبِ الصّيغةِ الصّرفيّةِ المذكورةِ دونَ غيرِها؛ إذ فيهِ حِرصٌ مِن المؤمنينَ على فريضةِ الجهادِ التي هي سنامُ العملِ، ولها مِن الثّوابِ الجزيلِ الشيءُ العظيم. وبسببِ حرصِهم الشّديدِ قالوا: **(لولا نُزِّلتْ سورةٌ)**. أي: هلّا أُنزلتْ سورةٌ يُؤمَرُ فيها بالجهادِ، فلولا: تحضيضيّة. (فإذا أُنزِلتْ سورةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فيها القتال) أي: بطريقِ الأمرِ، والمُرادُ بـ"مُحكَمة" مبيّنة لا تشابُهَ ولا احتمالَ فيها لوجهٍ آخرَ سوى وجوبِ القتالِ[2]. فإنّكَ سترى الذينَ هم أدعياءُ الإيمانِ مِنَ المُنافقينَ ولا يصدقونَ الله يخافونَ مِنَ القتالِ كحالِ المغشيّ عليهِ مِنَ الموتِ.

وتتحقّقُ الوظيفةُ النّحويّةُ في الآيةِ السّابقةِ، مِنْ جهةِ القراءاتِ، مِن وجوهٍ؛ "فالقراءةُ المعروفةُ: **(لولا نُزِّلتْ)** بِضَمِّ النّونِ، وَكَسْرِ الزّايِ وتَشديدِها. وقَرَأَ اليمانيُّ: (نَزَلَتْ) بِفَتْحِ النّونِ واللّامِ والزّاي، وتخفيفِهما فيهما"[3]. وفي "السّورة" قولانِ:

أحدهما: أنّها التي يُذكرُ فيها الحلالُ والحرامُ.

والثّاني: أنّها التي يُذكَرُ فيها القتالُ، وهي أشدُّ القرآنِ على المنافقينَ.

ويُحتمَلُ، ثالثًا، أنّها التي تضمّنتْ نصوصًا لم يُعقّبْها ناسخٌ ولم يختلف فيها تأويل[4]. ويذهبُ الباحثُ، ترجيحًا، مذهبَ أنّ السّورةَ تضمّنتْ ذكرَ القتالِ؛ لِمناسبةِ الآيةِ التي نزلَتْ في حِرْصِ المؤمنينَ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وليميزَ اللهُ المؤمنينَ ويفضحَ المُنافقينَ. ولعلّ

---

[1] انظر: الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص800.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 66/26.

[3] انظر: النَّوْزاوازِي، محمد بن أبي نصر، المُغني في القراءاتِ، تحقيق محمود بن كابر الشّنقيطي، ط1، سلسة الرسائل العلميّة، الجمعيّة العِلميّة السّعوديّة للقرآنِ الكريمِ وعُلومِهِ، 2018م، ص1690.

[4] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 300/5-301.

انفتاحًا دلاليًّا في الآيةِ السّابقةِ أفضى إليهِ تعدُّدُ القراءاتِ الذي بدورِهِ أدّى إلى تعدُّدِ الصّيغةِ الصّرفيَّةِ، ومِن ثَمَّ تعدّد المعنى.

وممّا يبيّنُ الفرقَ بيْنَ (نزّل) بالتّفعيل و(أنزلَ) بالإفعال قولُهُ تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء 136]؛ إذ تختصُّ (نزّل) في الآيةِ بِما نزلَ على رسولِ اللهِ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم، وهو ما يحتاجُ إلى التّدريجِ في النّزولِ. أمّا الكتبُ التي نزلتْ مِن قَبلِ الفرآنِ، فناسبَها صيغةُ (أفعل)؛ لأنّها نزلتْ وانتهتْ، وكانَ نزولُها جملةً واحدةً.

والمرادُ بالكتاب الذي أُنزَلَ من قبلُ الجنسُ، والتعريفُ للاستغراق، أي: والكتبُ التي أنزَلَ اللهُ مِنْ قبلِ القرآن. ويؤيّدُهُ قولُهُ بعدَه: (وكتُبِهِ ورُسلِهِ). وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وخَلَفٌ: (نزَّل) و(أنزل) كليْهما بالبناءِ للفاعلِ، وقرأهُ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرو بالبناءِ للنائبِ[1].

وجيءَ بِصلةِ وصفِ الكتابِ الذي نزّلَ على رسولِهِ بصيغةِ التفعيلِ، وبِصلةِ (الكتابِ الذي أنْزَلَ مِنْ قبْلُ) بصيغةِ الإفعالِ؛ تفنُّنًا، أو لأنّ القرآنَ حينئذٍ بِصدَدِ النزولِ نجومًا، والتوراةَ والإنجيلَ يومئذٍ قد انقضى نزولُهما. أمّا قوْلُهُ **(والكتابِ الذي نزَّلَ)** فيعني أنَّهُ نزَّلَهُ "مُفرّقًا بحَسَبِ المصالحِ تدريجًا؛ تثبيتًا وتفهيمًا؛ (على رسوله) أي: لأنّهُ المُفصّلُ لشريعتِكم المُتكفّلُ بما تحتاجونَ إليهِ مِنَ الأحكامِ والمواعظِ وجميعِ ما يُصلِحُكم، وهو القرآنُ الواصلُ إليكم بواسطةِ أشرَفِ الخَلْقِ، (والكتابِ الذي أنْزَلَ)؛ أيْ أُوجِدَ إنزالُهَ ومضى. ولمّا لمْ يكنْ إنزالُهُ مُستغرقًا للزّمانِ الماضي، بيَّنَ المُرادَ بقولِهِ: (مِنْ قَبْلُ)؛ مِن الإنجيلِ والزّبورِ والتّوراةِ وغيرها؛ لأنّ رسولَكُم بلَّغَكُم ذلك؛ فلا يحصُلُ الإيمانُ إلا بتصديقِهِ في كلّ ما يقولُهُ[2].

---

[1] انظر: شهاب الدين الدّمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 246/1.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 435/5.

3- قال تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [البقرة 90]

ففي قوْلِهِ (بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) "تفخيمٌ للقرآنِ إنْ لم يحصُلْ مضمرٌ، بل أُظهِرَ موصولًا بالفعل الذي هو أَنْزَلَ المُشعِر بأنَّه مِنَ العالَمِ العُلويّ، ونُسِبَ إسنادُهُ إلى الله، ليحصُلَ التوافُقُ مِنْ حيثُ المعنى بين قوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ **كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ** مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة 89]، وقوْلِهِ: **(بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)**"[1].

و(أَنْ يُنَزِّلَ) نُصِبَ على المفعولِ لأجلِهِ، أو في موضِعِ خفضٍ بتقديرِ: بأنْ ينزلَ. وقرأ أبو عمرو، وابن كثير: (أَنْ يُنَزِّلَ) بالتّخفيف في النّون والزّاي[2].

أَمّا في كونِ صيغةِ "التّفعيل" في الفِعْلِ (ينزل) على صيغة "الإفعال" في الفِعْلِ (يُنَزِّلَ)، فذلكَ أنّ الإنزالَ لا يكونُ إلّا مِنْ عُلُوٍّ ومكانةٍ رفيعةٍ، وهذا ما يتناسبُ مع فوقيّة الله العليم على عباده القائل: **﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف 76]**. أما إيثار صيغة (التفعيل) ههنا فللإيذان بتجدُّدِ بغيِهم، حَسَبَ تجدّدِ الإنزال، وتكثّرِهِ، حَسَبَ تكثّرِهِ[3]. ويخلُصُ الباحثُ ممّا سبقَ إلى أنَّ صيغةَ (التّفعيل- التّنزيل) احتملتْ معنييْ التّدرُّجِ الآتي مِن تجدُّدِ الإنزالِ، والتّكثيرِ الآتي مِن تكثُّرِهِ بما يتناسبُ والسّياقَ القرآنيَّ الشّريفَ.

4- قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام 37]

وتشابه موضِعُ **(لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ)** مع مواضِعَ أُخرَ في التّنزيلِ العزيزِ نحوَ:

---

[1] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 473/1.

[2] انظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، 187/1. وانظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 179/1.

[3] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 129/1.

- قوْلِهِ تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ**﴾ [يونس 20].
- وقوْلِهِ تعالى: ﴿**وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد 7].
- وقوْلِهِ تعالى: ﴿**وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ**﴾ [الرعد 27].
- وقوْلِهِ تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ [العنكبوت 50].

إلّا أنَّ الفِعلَ (نزل) وردَ على صيغةِ (فعَّلَ) في الأنعامِ، ووَرَدَ على صيغةِ (أفعل) في المواضعِ الأربعةِ الأُخرى. وللسّياقِ أثرٌ جليٌّ في اختيارِ الصّيغةِ الصّرفيّةِ المُودَعِ فيها الجذر (ن ز ل)؛ ذلكَ أنَّ سياقَ الأنعامِ فيهِ مِنَ الآياتِ الكوْنيّةِ التي يطلبُ المكذّبونَ بنبوّتِهِ –صلّى الله عليْهِ وسلّمَ– الإتيانَ بِمثلِها فتبهرهم، ويعضدُ مجيءَ الفعلِ (نزل) مضعّفًا قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ**﴾ [الأنعام 35]. وعدمُ تنزيلِ الآيةِ لِحكمةٍ يريدُها اللهُ تعالى القائلُ: **(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)**، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ "تركَ ذلكَ لِتظهَرَ فائدةُ التّكليفِ الذي هوَ الابتلاءُ والامتحانُ، وأيضًا لو نزَّلَ آيةً كما طلبوا لمْ يُمهلْهم بعدَ نزولِها، بل سيُعاجِلُهم بالعقوبةِ إذا لم يُؤمِنوا"[1]؛ ولذلكَ كلِّهِ ناسبَ أنْ يأتيَ بالصّيغةِ المُضعّفةِ (نُزّل) الحمّالةِ لدلالةِ التّكليفِ، ودلالةٍ أُخرى للمبالغةِ والتّكثيرِ تتناسبُ ومُبالغةَ عِنادِهم في طلبِ الحُجّةِ.

أمّا المواضِعُ الأُخرى التي قالَ تعالى فيها: **(لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ)** فكانتْ **أوّلًا** في سورةِ يونسَ، حيثُ سياقُ بيانِ منهجِ المشركينَ في الحياةِ، وعبادَتِهم ما لا يضُرُّ ولا ينفَعُ، وفي ذلكَ

[1] انظر: الشّوكاني، محمّد بن علي (ت1250هـ)، فتح القدير، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ، 129/2.

ضلالُهم وتعطيلُ عقولِهم. **وثانيًا** في سورةِ الرَّعدِ، حيثُ سياقُ بيانِ منهجِ الكافرينَ في الرّدّ على دعوةِ الحقِّ، وكذلك بيانُ حالِ الكافرينَ بالحياةِ الدُّنيا وقد فَرِحوا بها، وأنّهم استحقّوا عذابَ الله بسبب نقضِهم عهدَ الله –عزّ وجلّ–، وقطعِ ما أمرَ اللهُ بهِ أنْ يُوصَلَ، وإفسادِهم في الأرضِ إلى أنْ طلبوا معجزاتٍ على هواهم. **وثالثًا** في سورةِ العنكبوت، حيثُ سياقُ أمّيةِ النّبيّ محمّدٍ –صلّى الله عليْهِ وسلّمَ– وفي هذا السّياقِ ردٌّ على ضلالِ المُشركينَ بما أنزَلَ اللهُ –عزّ وجلّ– مِن فصاحةٍ وبيانٍ مُعجزيْنِ في التّنزيلِ العزيزِ.

ولمّا كانَ سياقُ الأنعامِ لتفصيلِ الآياتِ الكونيّة، وكانَ سياقُ المواضِعِ السّابقةِ بيانًا لمنهجِ الكافرينَ الضّالّينَ المُضلّينَ الفاسِدينَ المُفسِدينَ تباينتِ الصّيغةُ الصّرفيّةُ وَفقًا للسّياقِ القرآنيّ المُبين؛ ولذا ناسبَ أنْ تكونَ صيغةُ (نزّل) لسياقِ الأنعامِ الذي هو سياقُ ادّعاءٍ وتشكيكٍ بالأنبياءِ، وأنْ تكونَ صيغةُ (أنزل) لسياقِ المواضِعِ الأُخرِ التي تلتقي على سياقِ الرّدِّ على ضلالاتِ المُشركينَ بالقرآنِ الفصيحِ المُعجِز.

5– قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان 25]

تأتي صيغةُ (فعّل) في الآيةِ السّابقةِ مبنيّةً للمفعول، وفي قوْلِهِ عزّ وجلّ: **(وَنُزِّلَ)** تعدُّدٌ في القراءَةِ يُفضي إلى تعدُّدٍ في الدّلالةِ الصّرفيّةِ والمُعْجَميَّةِ؛ "فالقراءَةُ المعروفةُ: **(وَنُزِّلَ)** بِنونٍ واحدةٍ، وتشديدِ الزّاي، وفَتْحِ اللّامِ، و(الملائكةُ) رفْعٌ. وقَرأَ مكيٌّ، وشُعيْبٌ، وخالدٌ، وعَدِيٌّ عنْ أبي عمرٍو: (ونُنْزِلُ) بِنونَيْنِ الثّانيةُ ساكِنةٌ، ورَفْعِ اللّامِ، و(الملائكة) نَصْبٌ... وقَرَأَ أبو رجاءٍ: (وَنَزَلَ) بالفَتْحاتِ الثّلاثِ، مَعَ تشديدِ الزّاي، و(الملائكة) نَصْبٌ. وقرَأَ ابنُ مسعودٍ، والأعمشُ: (وَأُنْزِلُ) بِزيادَةِ الألفِ المضمومَةِ، وَإسكانِ النّونِ، وكَسْرِ الزّايِ وتخفيفِها، ورَفْعِ اللّامِ، و(الملائكة) نَصْبٌ"[1].

[1] انظر: النَّوْزاوازِي، المُغني في القراءاتِ، ص1356–1358.

وثمّةَ دلالةٌ لغويّةٌ في صيغةِ الفعلِ الماضي (نُزِّلَ) في القرآن، مِن جُملةِ الدّلالاتِ التي معنى الحدوثِ فيها الزمنُ المستقبلُ كورودِ صيغةِ الماضي بعدَ همزةِ التّسويةِ أو بعدَ (ما) المصدريةِ الظّرفيةِ أو في سياقاتِ الوَعْدِ والقَسَمِ والرّجاءِ والأَمرِ والتَّمنّي، ومِن هذهِ السّياقاتِ أنْ تَرِدَ الصّيغةُ في سياقِ حِكايةِ الحالِ الآتيةِ[1]، ومثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان: 25]؛ ذلك أنَّ أحداثَ تشقُّقِ السّماءِ، ووجودِ الغيومِ، ونزولِ الملائكةِ أحداثُ يومِ القيامَةِ الذي يلتقي فيه أهلُ السّماءِ وأهلُ الأرضِ. وقوْلُهُ: **(وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا)** يعني أنّ الملائكة تنزلُ فيه يومَ القيامَةِ، وهو يومُ التّلاقي، وفي نزولِهم قوْلانِ:

أحدُهما: ليبشّروا المؤمِنَ بالجنّةِ، والكافرَ بالنّارِ.

و**الآخرُ:** ليكونَ مَعَ كُلِّ نفْسٍ سائقٌ وشهيدٌ[2].

(وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا) يعني تنزيلًا عجيبًا غيرَ معهودٍ، نحوَ: تنشقُّ سماءً سماءً، ويُنزِلُ الملائكةَ خلالَ ذلكَ الغَمام بصحائِفِ أعمالِ العبادِ[3]. كما أنّ قوْلَهُ: ﴿**وَقُرْءَانا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلا**﴾ [الإسراء 106] يُبين أنّ المصدرَ **(تَنْزِيلًا)** جاءَ مؤكدًا لِفعلِهِ السّابِقِ **(نَزَّلْنَاهُ)**، وقد جيءَ بالمصدرِ لتوكيدِ الفِعْلِ وتقويةِ المعنى وإقراره[4]، وعليْهِ فإنّ الباحثَ يخلُصُ إلى أنَّ المصدرَ **(تَنْزِيلًا)** المؤكّدَ للفعلِ **(نَزَّلْنَاهُ)** في صيغتهِ المُضعّفةِ أفادَ دلالتيْنِ أساسيّتيْنِ: إحداهما للمبالغة، والأُخرى للتّأكيد، وعِمادُ هاتيْنِ الدّلالتيْنِ الصّيغةُ الصّرفيّةُ.

---

[1] انظر: محمد رجب الوزير، الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربيّة دراسة في ضوء السياق القرآني، مجلة علوم اللغة، المجلّد الأول، العدد الثاني، 1998م، ص148.

[2] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 142/4.

[3] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 213/6.

[4] انظر: ابن مالك، جمال الدين، شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ، تحقيق عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1977م، 690/2.

ويأتي سياقُ حكايةِ الحالِ الآتيةِ في القرآنِ الكريمِ على أوجهٍ مِنها: الإخبارُ عمّا سيحدُثُ في الدّنيا، والإخبارُ عمّا سيأتي يومَ القيامةِ[1]. ومِن مُثُل حكايةِ الحالِ الآتيةِ المرادفةِ للنزولِ ما كانَ في صيغة الماضي مِن (أُلقي)، و(وُضِعَ)، و(وَقَعَ) على سبيلِ تمثُّلِ مواضعَ محدّدةٍ لا إحصائِها، والمواضعُ هي:

- قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ **أُلۡقِيَ** فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [الملك 8].
- وقال تعالى: ﴿**وَوُضِعَ** ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف 49].
- وقال تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا **وَوُضِعَ** ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الزمر 69].
- وقال تعالى: ﴿**وَوَقَعَ** ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل 85].
- وقال تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ **وَقَعَتِ** ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة 15].

أمّا آيةُ سورةِ الكهفِ فجاءتْ استئنافًا لِسياقٍ يُبرِزُ صورًا مِنْ يومِ القيامةِ؛ إذ يقولُ تعالى: ﴿**وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا* وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۖ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا**﴾ [الكهف 47–48]، حيثُ الحشرُ والحِسابُ وحضورُ البَشَرِ كلِّهم وعدمُ تغيّبِ أحدٍ منْهم عنْ موعدِ الله، والعدلُ أساسُ حسابِ أعمالِهم في الآخرة. "وفي قولِهِ عزَّ وجلَّ: (ووُضِعَ الكِتابُ) وجهانِ:

أحدُهما: أنّها كُتُبُ الأعمالِ في أيدي العِباد.

---

[2] انظر: محمد رجب الوزير، الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربيّة دراسة في ضوء السياق القرآني، ص159 وما بعدها.

والآخرُ: أنَّهُ وُضِعَ الحِسابُ، فعبَّرَ عنِ الحسابِ بالكِتابِ؛ لأنَّهم يُحاسَبونَ على أعمالِهِمُ المكتوبةِ"[1].

وفي آيةِ سورةِ الزّمرِ بيانٌ لِصباحِ يومِ القيامةِ، حيثُ النّفخُ في الصّورِ للموتِ والبعثِ ومحاسَبةُ كلِّ نفسٍ بِما عمِلتْ، إذ يقول تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر 68]. "ولمّا كانَ العِلمُ هو النّورَ في الحقيقةِ؛ وكانَ الكتابُ أساسَ العِلمِ؛ وكانَ لذلكَ اليومِ مِنَ العَظَمَةِ ما يفوقُ الوصْفَ؛ ولذلك كذَّبَ بِهِ الكُفّارَ؛ أتى فيما يكونُ فيهِ بإذنِهِ بصيغةِ المجهولِ؛ على طريقةِ كلامِ القادرينَ؛ إشارةً إلى هوانِهِ؛ وأنَّهُ طَوْعُ أمرِهِ؛ لا كُلْفَةَ عليْهِ في شيءٍ مِنْ ذلكَ؛ وكذا ما بعدَهُ مِنَ الأفعالِ؛ زيادةً في تصويرِ عَظَمَةِ اليوم بِعَظَمَةِ اليومِ فيهِ؛ فقال: (وَوُضِعَ الكِتابُ)؛ أي: الذي أُنْزِلَ إلى كُلِّ أُمَّةٍ لِتعمَلَ بِهِ"[2].

وفي آيةِ سورةِ النّملِ استئنافٌ لِمشهدٍ عظيمٍ؛ مشهدِ خروجِ الدّابةِ التي هي علامةٌ مِنْ العلاماتِ الكُبرى لِيومِ القيامَةِ، إذ يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ [النمل 82]. "والتّعبيرُ بالماضي في قولِهِ عزَّ وجلَّ: (وَقَعَ) هنا على حقيقتِهِ، وأُعيدَ ذِكرُهُ تعظيمًا لِهَوْلِهِ، وأنَّهُ مُحَقَّقُ الحُصولِ في المستقبَلِ، فَجُعِلَ كأنَّهُ حَصَلَ ومضى"[3].

وفي قولِهِ تعالى: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ**﴾ [الحاقة 15] ثلاثةُ أقاويلَ:

أحدُها: القيامةُ.

والثّاني: الصّيحةُ.

---

[1] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 312/3.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 562/16.

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 42/20.

والثّالثُ: أنّها السّاعةُ التي يَفنى فيها الخَلْقُ[1]. وفي الأقاويلِ الثّلاثةِ دلالةٌ على أنَّ السّياقَ سياقُ حكايةٍ للحالِ الآتيةِ، كما تقدّمَ ذِكرُه آنِفًا، وهو ما دلّتْ عليهِ صيغةُ الفِعلِ الماضي (وقعتْ).

ويخلُصُ الباحِثُ إلى أنّ ثمّ بوْنًا في استعمالِ الصّيغِ الفعليّةِ للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في القرآن، ذلكَ بحسب اعتمادِ صيغةِ المجرّدِ الثّلاثيّ أو المزيد الثّلاثيّ، وفي كلٍّ تعدُّدٌ في الدّلالةِ الصَّرفيَّةِ التي يُنبِئُ عنها السّياقُ القرآنيّ في ضَوْءِ معرفَةِ سببِ النُّزولِ، أو اختلافِ القراءاتِ، أو تبايُنِ المستوى التّركيبيّ مِنْ موْضعٍ لآخرَ. كما أنّ لسياق حكايةِ الحالِ الآتيةِ أثرًا في اختيارِ الصيغةِ الصّرفيّة للفِعلِ، وقد تحقّق ذلكَ في ألفاظِ الحقلِ الدّلاليّ الواحدِ مِن مِثلِ (أُلقي)، و(وُضِعَ)، و(وَقَعَ).

ويتعّدى الفِعلُ (أنزل) المبنيُّ للمجهولِ بحرفيْ جرٍّ مختلفيْنِ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران 84]. فقد ذُكر الفعل (أُنْزِلَ) مع حرف الجرّ (على). أمّا في قوله تعالى: ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة 136] فقد ذُكر الفعلُ (أُنْزِلَ) مَعَ حرفِ الجرّ (إلى).

وبالاعتمادِ على الموضعيْنِ السّابقيْنِ فإنَّ الباحثَ يُلاحِظُ أنَّ المعنى يتردّدُ بينَ الحقيقةِ والمجازِ، "فإذا كانَ الأمْرُ للجميعِ وجرى على حقيقته فإنّما أنزل إليهم؛ لأنّ المُنزَّل عليهِ حقيقةً هو الرّسول لا المؤمنون. وإذا قُلْتَ على المؤمنينَ مجاز، كما أنّهُ إذا قُلْتَ (أُنْزِلَ إلى الرّسولِ) لم يقعْ موقِعَ (أُنزِلَ عليه)، وإنْ كانَ كلٌّ منْهما جائزًا، إلّا أنّهُ إذا أخذْتَ الكلامَ على أنْ لا تضمينَ، ولا تقديرَ فإنّما تقولُ: أُنزل على الرّسول، وأُنزل إلى المؤمنين، مع فصاحةِ (أُنْزِلَ إلى الرّسول) وورودِه في القرآن. فلمّا قال في سورة البقرة: **(قولوا)** وأمرَ الجميعَ

[1] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 81/6.

ناسبَهُ الجارّ (إلينا) كما وردَ في قوله تعالى: ﴿**وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ**﴾ [العنكبوت 46] حين خوطب الجميع، ولمّا قال في آل عمران: **(قل)**، وكان الخطاب للرّسول ناسبَهُ الجارّ (علينا)؛ لأنّه أُنْزِلَ عليْهِ، فجاءَ كلٌّ على ما يجِب"[1].

6- قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان 23]

في ضَوْءِ سياقِ الآيةِ مَعَ ما قبْلَها مِنَ الآياتِ يُلاحِظُ الباحِثُ أنّهُ -سبحانَهُ وتعالى- "ذَكَرَ أوّلًا حالَ الإنسانِ وقسّمَهُ إلى الطّائِعِ والعاصي، وأمعنَ -جلّ شأنُهُ- فيما أعدّهُ للطّائِعِ مُشيرًا إلى عظَمِ سِعَةِ الرّحمَةِ، كما ذكَرَ ما شرّفَ بِهِ نبيَّهُ -صلّى اللهُ عليه وسلَّم- إزالةً لوحشتِهِ وتقويةً لقلبِهِ، فقال -عزّ قائلًا-: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) أي: أنزلناه مفرّقًا منجّمًا في نحو ثلاثٍ وعشرينَ سنةً لِحِكَمٍ بالغةٍ مقتضيةٍ له"[2]. وَإِيثَارُ فِعْلِ (نَزَّلْنا) الدَّالِّ عَلَى تَنْزِيلِهِ مُنَجَّمًا آيَاتٍ وَسُوَرًا تَنْزِيلًا مُفَرَّقًا؛ "لِلإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَوْمَأَ إِلَيْهَا تَأْكِيدُ الْخَبَرِ بِـ(إِنَّ)، وَتَأْكِيدُ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ، فَاجْتَمَعَ فِيهِ تَأْكِيدٌ عَلَى تَأْكِيدٍ، وَذَلِكَ يُفِيدُ مُفَادَ الْقَصْرِ؛ إِذْ لَيْسَ الْحَصْرُ وَالتَّخْصِيصُ إِلَّا تَأْكِيدًا عَلَى تَأْكِيدٍ كَمَا قَالَ السَّكَّاكِيُّ، فَالْمَعْنَى: مَا نَزَّلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ إِلَّا أَنَا. وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: (لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً) [الْفرْقَان:32]، فَجَعَلُوا تَنْزِيلَهُ مُفَرَّقًا شُبْهَةً فِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَالْمَعْنَى: مَا أَنْزَلَهُ مُنَجَّمًا إِلَّا أَنَا وَاقْتَضَتْ حِكْمَتِي أَنْ أُنْزِلَهُ عَلَيْكَ مُنَجَّمًا"[3].

وجيءَ بالمصدرِ القياسيّ للفعل (نزَّل): (تنزيلاً) على ما فيه مِن بيانِ معنى "التّدريجِ بالحكمةِ جوابًا للسّائِلِ، ورِفقًا بالعباد، فدرّجهم في وظائفِ الدّينِ تدريجًا موافِقًا للحِكمَةِ، ولم يدَعْ لهم شبهَةً إلّا أجابَ عنها، وعلَّمَهم جميعَ الأحكامِ، وآتاهُم مِنَ المواعِظِ والآدابِ والمعارفِ ما ملأَ الخافقيْنِ...، فلمّا كانَ بتنزيلِنا كانَ جامِعًا للهدى لِما لنا مِنْ إحاطَةِ العِلْمِ

---

[1] انظر: الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، 53/1.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 182/15.

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 403/29.

والقدرة، فلا عَجَبَ في كونِهِ جامِعًا لِهُدى الخلْقِ كلِّهم، لم يدَعْ لهم في شيءٍ مِنَ الأشياءِ لَبْسًا"[1].

ولأسبابِ النّزولِ أهميّةٌ عظيمةٌ في الكشفِ عن دلالةِ الصّيغةِ الصّرفيّةِ (فعّل) في صيغتها المُضارعة، ومثالُ ذلك قوْلُهُ تعالى:

7- ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء 153].

وفي هذا الموضِعِ يتجدَّدُ سؤالُ المُكذّبينَ لِنبوّةِ سيّدِنا محمّدٍ -صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم- زيادةً في العِنادِ، وكُفرًا، وفي سؤالِهم تتكشّفُ دلالةُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ المُضعّفةِ (فعّل- نزّل)، حيثُ اختصاصُهم دونَ غيرِهم بالكِتابِ المُنزَّلِ، وتكليفُهم بِهِ كما نُزِّلَ على موسى -عليْهِ السّلامُ- مِن قبلُ. ويُحتمَلُ في ذلكَ أنَّ "اليهودَ سألوا النّبيَّ صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ:

- أنْ يُنزِّلَ عليْهم كتابًا مِنَ السّماءِ مكتوبًا، كما نُزِّلَ على موسى الألواحَ، والتّوراةَ مكتوبةً مِنَ السّماءِ.
- أو أنْ يُنزِّلَ ذلكَ عليْهم خاصَّةً؛ تحكُّمًا في طلَبِ الآياتِ.
- أو أنْ يُنزِّلَ على طائفةٍ مِن رؤسائهم كتابًا مِنَ السّماءِ بِتصديقِهِ"[2].

وثمّةَ لفتةٌ صرفيّةٌ سياقيّةٌ عجيبةٌ في الآيةِ السّابقةِ؛ ذلكَ أنّهُ تعالى "لَمَّا ذَكَرَ مَعَاذِيرَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ فِي إنْكَارِهِمْ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَعْقَبَهَا بِذِكْرِ شَيْءٍ مِنِ اقْتِرَاحِهِمْ مَجِيءَ الْمُعْجِزَاتِ عَلَى وَفْقِ مَطَالِبِهِمْ. وَالْجُمْلَةُ اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ. وَمَجِيءُ الْمُضَارِعِ هُنَا: إمَّا لِقَصْدِ اسْتِحْضَارِ حَالَتِهِمُ الْعَجِيبَةِ فِي هَذَا السُّؤَالِ حَتَّى كَأَنَّ السَّامِعَ يَرَاهُمْ، وإمّا

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 152/21-153.

[2] انظر: الماورديّ، النّكت والعيون، 540/1.

للدّلالةِ على تَكرارِ السُّؤالِ وتجدُّدهِ المرَّةَ بعدَ الأُخرى بأنْ يكونوا ألحُّوا في هذا السّؤالِ لِقصدِ الإعناتِ[1].

8- قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة 105].

وثمّةَ علاقةٌ بيْنَ سببِ النّزولِ والتّركيبِ اللّغويّ (أنْ ينزّلَ)، واختيار الصّيغة الصّرفيّة "التّنزيل" دونَ "الإنزال"؛ ذلك أنَّ سببَ نزولِ الآيةِ "أنَّ المسلمينَ قالوا لِحُلفائهم مِنَ اليهودِ: آمِنوا بِمحمّدٍ، فقالوا: ودِدْنا لو كانَ خيرًا ممّا نحنُ عليْهِ فنتّبَعَهُ، فأكذبهم اللهُ تعالى بذلك، وقيلَ: نزلتْ تكذيبًا لِجمْعٍ مِنَ اليهودِ يُظهِرونَ مودَّةَ المؤمِنينَ، ويزعمونَ أنّهم يودّون لهم الخيرَ"[2].

وارتباطُ سببِ النّزولِ باختيارِ صيغةِ (التّنزيل) دونَ (الإنزال) أساسُهُ ترجّي هؤلاءِ الذينَ كفروا مِن أهلِ الكتابِ والمُشركينَ أنْ ينزَّلَ عليهم مِنَ الخيْرِ؛ وذلكَ "رعايةً للمُناسبةِ بِما هو الواقِعُ مِن تنزيلِ الخيْراتِ على التّعاقُبِ، وتجدُّدها لا سيّما إذا أُريدَ مِن خيرٍ في قوْلِهِ تعالى: **(مِّنۡ خَيۡرٖ)** الوحي. وبناءُ الفِعلِ (يُنزّل) للمفعولِ للثِّقةِ بتعيينِ الفاعلِ وللتّصريحِ بِهِ فيما بعدُ"[3].

ولعلَّ لِسياقِ الآيةِ معَ مجموعِ الآياتِ التي سبقتْها أثرًا في الكشفِ عن الدّلالةِ الكليَّةِ؛ إذ "إنَّ هذهِ الآيةَ رجوعٌ إلى كشفِ السّببِ الذي دعا لامتناعِ اليهودِ مِنَ الإيمانِ بالقرآنِ لمّا قيلَ لهم: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾** [البقرة 91]، أي ليسَ الصّارفُ لهم تمسُّكَهم بِما أُنزِلَ إليهم، بل هو الحَسَدُ على ما أُنْزِلَ على النّبيّ والمسلمين مِن خيرٍ، فبيَّنَ أدلّةَ نفي كوْنِ الصّارفِ لهم هو التّصلّبَ والتّمسُّكَ بدينهم، بقولِهِ تعالى: **(قُلۡ**

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13/6.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 349/1.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 349/1.

فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [البقرة 91]، وما تخلّلَ ذلكَ ونشأَ عنهُ مِن المجادلاتِ وبيانِ إعراضِهم عن أوامرِ دينهم واتّباعهم السِّحر"[1].

9- قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف 31].

ومعلومٌ أنَّ الكفّارَ أنكروا أوَّلَ ما أنكروا أنْ بعثَ اللهُ فيهم رسولًا، ثمّ لمّا وصلتْهم مِن النبيّ الرّسولِ الأدلّةُ؛ أدلّةُ نبوّتِهِ وعلاماتُ رسالتِهِ أنكروا تنزيلَ القرآنِ على رجلٍ ليس مِن الرجلينِ اللّذيْنِ زعموا أنّهما عظيمانِ سواءٌ مِن مكّةَ، وقيلَ: هو الوليدُ بنُ المغيرةِ، أو قيلَ: هو عُتبةُ بنُ ربيعةَ[2]. والقرآنُ كتابُ الرّحمةِ المُنزَّلُ مصداقًا لقوْلِهِ تعالى: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [الزّخرف 32].

والظّاهرُ المُتبادِرُ للذِّهنِ أنّ المُرادَ برحمةِ ربّكَ النّبوّةُ وإنزالُ الوحي. وإطلاقُ الرّحمةِ على ذلكَ مُتعدِّدٌ في القرآنِ[3]، كقوْلِهِ تعالى: **﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ* رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾** [الدخان 5-6]، وقوْلِهِ تعالى: **﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾** [القصص 86]، وقوْلِهِ تعالى: **﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾** [الأنبياء 107]، وقوْلِهِ تعالى: **﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْما﴾** [الكهف 65].

ويُلاحِظُ الباحثُ مِنَ الآياتِ السّابقةِ أنَّ حقلًا دلاليًّا يَجمَعُ الأحداثَ: مُرسلينَ، يُلقى إليْكَ، أرسلناكَ، آتيْناهُ... وغيرها في تنزيلِ الرّحمةِ. وأنَّ هذهِ الأحداثَ وإنْ كانتْ تجمعُها دلالةٌ كلّيّةٌ للنّزولِ فإنّها تنفرِدُ كُلُّ لفظةٍ مِنها بمعنًى خاصٍّ تمتازُ بِهِ وتنزاحُ عنِ الدّلالةِ الكُلّيّةِ

---

[1] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 652/1.

[2] انظر: محمّد الشنقيطي، أضواء البيان، 111/7 وما بعدها.

[3] انظر: محمّد الشنقيطي، أضواء البيان، 111/7.

العامّة، وهي الإتيانُ والنّزولُ. فسياقُ آيةِ الدُّخانِ تأكيدٌ لإنكارِ دعوى المُشركين الذينَ أنكروا رسالةَ محمّد –صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم– بزعمهم أنَّ اللهَ لا يُرسِلُ رسولًا مِنَ البشَرِ؛ يقولُ تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ**قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام 91]، فكانَ مُناسبًا لفظُ (مُرسَلين)؛ لأجلِ رحمةِ اللهِ سبحانَهُ بعبادِهِ المُرسَلِ إليْهم؛ "لأنَّ الإرسالَ بالإنذارِ رحمةٌ بالنّاسِ؛ ليتجنّبوا مهاويَ العذابِ ويكتسبوا مكاسِبَ الثّواب"[1]. وهذا ما يَعضُدُهُ قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [الأنبياء 107].

أمّا في قوْلِهِ تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [القصص 86] ففي لفظِ الإلقاءِ معنًى ليسَ في الإرسالِ أو الإنزالِ، ذلكَ أنّ الإلقاءَ "عبارةٌ عن إعلانِ النّبوّةِ وتبليغِ القرآنِ، كما نقول: ألقى فلانٌ إلى فلانٍ بالرّياسةِ، ونحو هذا"[2].

واختيرَ لسياقِ الرّحمةِ في الآيةِ السّابقةِ ما يُناسبُهُ مِن لفظِ الكتابِ المُلقى إنزالًا "على وجهٍ لم يُقدَرْ على ردِّهِ؛ لأنَّهُ أُلقيَ إلى النّبيّ محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّمَ–، فلا كانَ هذا مِن شأنِهِ، ولا سَمِعَهُ أحدٌ مِنْهُ يومًا مِنَ الأيّامِ، ولا تأهَّبَ لذلكَ أُهْبَتَهُ العاديّةَ مِنْ تعلُّمِ خطٍّ أو مُجالسةِ عالمٍ ليتطرَّقَ إليْهِ نوعُ اتّهام"[3].

وفي لفظِ (**ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ**) معنًى مُغايرٌ لِما كانَ عليْهِ معنى كلٍّ مِنَ الإرسالِ والإلقاءِ، وذلكَ ما يحكمُهُ سياقُ قوْلِهِ تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا**﴾ [الكهف 65]. وهذا المعنى المُغايرُ معنى الوهبِ والعطاء؛ ذلكَ أنَّ "الرّحمةَ" المأتيةَ تحتمِلُ أربعةَ تأويلاتٍ:

---

[1] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 281/25.

[2] انظر: ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، 303/4.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 378/14.

أحدُها: النّبوّةُ.

والثّاني: النّعمةُ.

والثّالثُ: الطّاعةُ.

والرّابعُ: طولُ الحياةِ[1].

وخُلاصةُ القوْلِ أنَّ في الإرسالِ معنًى ليسَ في الإلقاءِ ولا في الإتيانِ، وأنَّ كلًّا منها يلتقي على دلالةٍ كلّيّةٍ عامّةٍ، وهيَ دلالةُ النّزول، إذ في نزولِ الرّحمةِ أو إلقائها أو إرسالها معانٍ مُحتَمَلَةٌ احتمالَ معاني الرّحمة؛ حيثُ الوحيُ، والنّبوّةُ أو الرّسالةُ، والرّزقُ أو النّعمةُ، والطّاعةُ... إلى أنْ تتجلّى في السّياقِ فتبرزَ بدلالةٍ تخصُّهُ وتُناسبُهُ.

10- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر 23].

تقدَّمَ هذهِ الآيةَ الكريمةَ قوْلُهُ تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الزمر 22]، والقارئ المُتدبّرُ يقرأُ سياقًا تقابليًّا: مؤمِنٌ يشرحُ اللهُ صدرَهُ للإسلامِ فهو نورٌ على نورٍ، وكافرٌ يضيقُ صدرُهُ عن كلامِ اللهِ تعالى ويقسو قلبُهُ وهو في ضلالٍ مُبينٍ. "ولمّا كانَ مِنَ المُستبعَدِ جدًّا أنْ يقسوَ قلْبٌ مِنْ ذِكرِ اللهِ، بيَّنَهُ اللهُ؛ وصوّرَهُ في أعظمِ الذِّكْرِ، فإنَّهُ كانَ للذينَ آمنوا هدًى وشفاءً، وللّذينَ لا يؤمِنونَ في آذانهم وقْرًا؛ وفي أبصارهم عمًى، فقالَ مُفخِّمًا للمُنزِّلِ الفعّالِ لِما يُريدُ، الذي لهُ مجامِعُ العَظَمةِ والإحاطةِ بصفاتِ الكمالِ إنّهُ (نزَّلَ) بالتّدريجِ؛ للتّدريبِ؛ ولِلجوابِ عن كلِّ شُبهةٍ (أحسنَ الحديثِ) وهو القرآن الكريم"[2].

واختيارُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ (فعَّلَ) المُودَعةِ في الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) فيهِ ما فيهِ مِن أداءِ المعنى المحكومِ بالسّياقِ القرآني للآية السّابقةِ؛ ذلكَ أنَّ سياقها سياقُ جوابٍ لِمَن "يُثيرُهُ

---

[1] انظر: الماورديّ، النّكت والعيون، 324/3.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 488/16.

سؤالُ سائلٍ عنْ وجهِ قسوةِ قلوبِ الضّالّينَ مِن ذِكْرِ اللهِ"[1] فكانتِ الصّيغةُ هنا دالّةً على التّدريجِ في النّزولِ والإحكامِ في النّظمِ المُعجِزِ، مُبيّنةً أنَّ قساوةَ قلوبِ الضّالّينِ مِن سماعِ القرآنِ إنّما هي لِرَيْنٍ في قلوبهم وعقولهم لا لِنقصٍ في هدايتِهِ.

11- قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت 63].

والمتدبّرُ في الآيةِ الكريمةِ يقرأُ موضوعَها؛ كيفَ أنَّ المشركينَ جحدوا نِعَمَ اللهِ ومُسبّباتها، واستكبروا وكفروا بها، فناسَبَ الموضوعَ صيغةُ التّنزيلِ؛ للتّدريجِ وتجدُّدِ العطاءِ والإنماءِ، وإنكارًا على المُشركينَ جحودَهم. "ولمّا ثبتَ بهذا شمولُ عِلمِهِ، لزِمَ تمامَ قدرتِهِ كما برهَنَ عليْهِ في سورة طه؛ إذ يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه 53]، فقالَ مُشيرًا إلى ذلكَ ذاكرًا السّببَ القريبَ في التّرزيقِ بعدما ذكَرَ البعيدَ، فإنَّ الاعترافَ بأنَّ هذا السّببَ مِنْهُ يستلزِمُ الاعترافَ بأنَّ المُسبّبَ أيضًا مِنهُ: **(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ)** بحَسَبِ التّدريجِ على حَسَبِ ما فعلَ في التّرزيق، وأنَّ هذا الماءَ مضبوطٌ مِن جهةِ العلوِّ **(مِنَ ٱلسَّمَآءِ)**"[2].

ويظهرُ في سياقِ الآيةِ معنى التّدريجِ والتّجدُّدِ في النّزولِ المُتمثَّلِ في صيغةِ (فعَّلَ)؛ ذلكَ أنَّ المسؤولينَ "مُعترِفونَ بأنَّهُ عزَّ وجلَّ المُوجِدُ لِلمُمكناتِ بأسْرِها؛ أُصولِها وفَرْعِها، ثمّ إنَّهم يُشركونَ بِهِ سبحانَهُ بعضَ مخلوقاتِهِ الذي لا يكادُ يُتوَهَمُ مِنْهُ القُدرةُ على شيءٍ ما أصْلًا"[3].

---

[1] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 383/23.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 472/14.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 13/11.

12- قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق 9].

وفي سياقِ هذهِ الآيةِ الكريمةِ عرضٌ لآيةٍ مِن آياتِ اللهِ -جلّ وعَلا- في إثباتِ صِدقِ يومِ القيامةِ، كما أنّها آيةٌ على قدرةِ اللهِ -عزَّ وجلّ- في الإنباتِ والبعثِ؛ حيثُ تنزيلُ الماءِ مِنَ السّماءِ وإحياءُ النّباتِ بِهِ. "ولمّا كانَ إنزالُ الماءِ أبهرَ الآياتِ وأدلَّها على أنَّهُ أجلَّ مِن أنْ يُقالَ: إنّهُ داخلَ العالَمِ أو خارجَهُ، أو مُتّصلٌ بِهِ أو مُنفصِلٌ عنْهُ، معَ أنَّ بهِ تكونُ النباتُ وحصولُ الأقواتِ، وبِهِ حياةُ كُلِّ شيءٍ، أفردَهُ تنبيهًا على ذلك فقال: (ونزَّلنا) أي: شيئًا فشيئًا في أوقاتٍ على سبيلِ التّقاطُرِ"[1]. ولذلكَ جاءتْ الصّيغةُ (فعّل- نزّل) التي تدلُّ على تدرُّجِ النّزولِ، ففي تدرُّجِهِ تتجلّى الحكمةُ، ويكونُ الإنباتُ بالقِسمَة بِما يتناسَبُ والعَظمَة، فسُبحانَ اللهِ العظيمِ المُتعالي!

وفي لفظِ (المنزَّل) مِنَ السّماءِ دلالةٌ مُعجميّةٌ كلّيّةٌ، إذ "يعني الماءُ المُبارَكُ جميعَ المطرِ، كلُّهُ يتّصفُ بالبركةِ، وإنْ ضرَّ بعضُهُ أحيانًا، ففيهِ معَ ذلكَ الضُّرِّ الخاصّ البركةُ العامّةُ. وقيلَ: يُريدُ بِهِ ماءً مخصوصًا خالصًا للبركةِ يُنزِّلُهُ اللهُ تعالى كُلَّ سنةٍ، وليسَ كلُّ المطرِ يتَّصِفُ بذلك"[2].

وفي سياقِ هذهِ الآيةِ الكريمةِ عرضٌ لآيةٍ مِن آياتِ اللهِ -جلَّ وعَلا- في إثباتِ صِدقِ يوْمِ القيامةِ، كما أنَّها آيةٌ على قدرةِ اللهِ عزّ وجلّ في الإنباتِ والبعثِ حيثُ تنزيلُ الماءِ مِنَ السَّماءِ وإحياءُ النّباتِ بِه.

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 411/18.

[2] انظر: ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، 158/5.

الفَصْلُ الثّاني

الجَذْرُ اللُّغويّ (ن ز ل):

التّجلّياتُ الاسْمِيَّةُ في الدّلالةِ الصَّرفيَّةِ والمُعْجَمِيَّةِ

الفَصْلُ الثّاني

الجَذْرُ اللُّغويّ (ن ز ل): التّجلّياتُ الاسْمِيَّةُ في الدّلالَةِ الصَّرفِيَّةِ والمُعْجَمِيَّةِ

للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في تجلّياتِهِ الاسميّةِ صورٌ خمسٌ وضعَها الباحثُ في خمسةِ مباحثَ، ثمّ بيّنَ دلالاتِها الصّرفيّةَ والمُعجميّةَ في ضَوْءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ. وقد قدّمَ الباحثُ في فصلِ دراستِه الأوّلِ التجلّياتِ الفعليّةَ على الاسميّةِ؛ لأنَّ مواضِعَ (نزل) الفعليّةَ أكثرُ في التّنزيلِ العزيزِ، وحتى يسهُلَ عليْهِ استعراضُ الدّلالاتِ السّياقيّةِ مِن الفِعلِ، ثمّ يعرضَ للاسمِ في فصلِها الثّاني.

وليسَ الاسمُ كالفعلِ؛ ذلكَ أنّ "الفعلَ يدلُّ على الحدثِ والتّجدّدِ، وأنَّ الاسمَ يدلُّ على الثّبوتِ والاستقرارِ. وقدِ استعملَ القرآنُ الفِعلَ والاسمَ استعمالًا فنيًّا في غايةِ الفنِّ والدّقّةِ"[1]، ومِن ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**﴾ [العنكبوت 34]، ففي صيغةِ اسمِ الفاعلِ (مُنزِلونَ) معنًى ليسَ في الفِعلِ (أنْزلنا)؛ ذلك أنَّ سياقَ الآيةِ معَ ما قبلَها "استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ ما أُشيرَ إليْهِ بوعدِ التّنجيةِ مِن نزولِ العذابِ عليهم. والرّجزُ العذابُ الذي يُقلِقُ المُعذَّبَ ويُزعِجُهُ"[2]، فعَدَلَ عنِ الفِعلِ إلى الاسمِ لإثباتِ العذابِ على قومِ لوطٍ ووقوعِهِ، واستُثنِيَ مِنَ العذابِ مَن آمَنَ مِنهم، مصداقًا لِقوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ **إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ**﴾ [العنكبوت 33]. وكما أنّهُ عَدَلَ عنِ صيغةِ الفِعلِ في (أنزل) إلى صيغةِ الاسمِ (مُنزلونَ)، عَدَلَ كذلكَ عنِ صيغةِ الفِعلِ (أنجى) إلى صيغةِ الاسمِ (مُنجّوكَ).

وفي سياقٍ آخرَ تتقابلُ الصّيغةُ الاسميّةُ والصّيغةُ الفعليّةُ في موْضِعٍ واحدٍ، ومِن ذلكَ قوْلُهُ –تعالى–: ﴿**ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ**﴾ [الواقعة 69] موافقةً للسّياقِ ومُناسبةً لهُ؛ ذلكَ أنّ الفِعلَ (أنزلتموه) ليسَ فيهِ حالةُ الثّبوتِ والاستقرارِ التي في دلالةِ الاسمِ

---

[1] انظر: فاضل صالح السّامرائي، التّعبير القرآنيّ، ط4، دار عمار، عمّان، الأردن، 2006م، ص10.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 360/10.

(المُنزلون)، "ووجهُ الاستدلالِ إنشاءُ ما بِهِ الحياةُ بعدَ أنْ كانَ معدومًا بأنْ كوَّنَهُ اللهُ –تعالى– في السّحابِ بحكمةِ تكوينِ الماءِ. فكما استدلَّ بإيجادِ الحيِّ مِن أجزاءٍ ميّتةٍ في خلقِ الإنسانِ والنّباتِ استُدِلَّ بإيجادِ ما بِهِ الحياةُ عن عَدَمٍ تقريبًا لإعادةِ الأجسامِ بحكمةٍ دقيقةٍ خفيّةٍ... وقد تمّ الاستدلالُ على البعثِ عندَ قوْلِهِ **(أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ)**"[1]. وليسَ بمقدورِ المُخاطَبينَ أنْ يُنزِلوا الماءَ مِنَ السّحابِ، فكيفَ بمقدورهم أنْ يكونوا مُنزِلينَ أو قادرينَ على البعثِ وإعادةِ الحياةِ مِنَ العَدَمِ؟!

ومِن مُثُلِ التّقابلِ السّابقِ في التّنزيلِ العزيزِ:

- قوْلُهُ تعالى: ﴿**ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ**﴾ [الواقعة 59]
- وقوْلُهُ تعالى: ﴿**ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ**﴾ [الواقعة 64]
- وقْولُهُ تعالى: ﴿**ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ**﴾ [الواقعة 72]

ففي قوْلِهِ تعالى: (ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ) احتباكٌ؛ ذلكَ أنَّهُ "ذَكَرَ أوّلًا (تخلقون) دليلًا على حذفِ مِثلِهِ لهُ سبحانَهُ ثانيًا، وذَكَرَ الاسمَ ثانيًا دليلًا على حذفِ مثلِهِ لهم أوّلًا، وسِرُّ ذلكَ أنّهُ ذَكَرَ ما هو الأَوفَقُ لأعمالهم ممّا يدلُّ على وقتِ التّجدُّدِ ولو وقتًا ما، وما هو الأَوْلى بِصفاتِهِ سبحانَهُ ممّا يدلُّ على الثّباتِ والدّوامِ"[2]. وكذلكَ في قوْلِهِ تعالى: (ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ)، وقوْلِهِ تعالى: (ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ) استفهامانِ فيهما معنى النّفي والإنكارِ، فاللهُ تعالى أنكَرَ عليهم الزّرعَ والإنشاءَ كما أنكرَ عليهم، مِن قبلُ، الخلقَ. وكذا أنكرَ عليْهم إنزالَ الماءِ مِنَ السّحابِ، ونسبَ –بعظمتِهِ وقدرتِهِ– الخَلْقَ والزّرعَ والإنشاءَ والإنزالَ، وهي بمجموعها استدلالاتٌ على البعثِ، إليهِ جلَّ في عُلاهُ.

والأمثلةُ السّابقةُ باعِثُها استعمالُ البِنيةِ الصّرفيّةِ في التّعبيرِ القرآنيّ، ومِن ذلكَ اختيارُ الصيغةِ الصّرفيّةِ الاسميّةِ والعدولُ عنِ الصّيغةِ الفعليّةِ، والعكس؛ إذ إنّ لتناسُبِ الصّيغةِ الصّرفيّةِ والسّياقَ القرآنيَّ الشّريفَ أثرًا جليًّا في الكشفِ عنِ المعنى، "فالصّيغةُ عنصرٌ صرفيٌّ

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 324/27.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 220./19

ذو قيمةٍ في مجالِ الدّرسِ الصّرفيّ، وهي بِمثابةِ القالَب الذي تُسبَكُ فيهِ أبنيةُ الكلامِ الاسميّةُ والفعليّةُ، وعليها يستطيعُ المُتعلّمُ أنْ يصوغَ أبنيةً، ويكوّنَ على نسقِها ما يُريدُ، وقد يكونُ فقيرًا في مُعجَمِهِ اللّغويّ، ومَعَ ذلكَ يصيرُ قادرًا على أنْ يتصرَّفَ في الأفعالِ والأسماءِ والصِّفاتِ ويتنقّلَ في الصّيغِ مُميّزًا بينَ كُلِّ صيغةٍ وأخرى، كما أنَّ الصيغةَ تعودُ على اللّغةِ في بعضِ الأحوالِ بالثّراءِ والنّماءِ، وذلكَ لِما تمتازُ بِهِ اللُّغةُ مِن كثرةِ الأبنيةِ والصّيغِ بأوزانها المتناسقةِ والمتنوّعةِ"[1].

وعليهِ، فإنّ هذا الفصلَ ينقسمُ إلى خمسةِ مباحثَ هي:

- المبحث الأول: دلالةُ صيغةِ (فُعُل).
- المبحث الثاني: دلالةُ صيغةِ اسمِ المَرَّةِ (فَعْلَـة).
- المبحث الثالث: دلالةُ صيغةِ (مفاعِـل).
- المبحث الرابع: دلالةُ صيغةِ الاسمِ المشتَقِّ مِن بابِ (أَفْعَل).
- المبحث الخامس: دلالةُ صيغةِ الاسمِ المشتقِّ مِن بابِ (فَعَّل).

[1] انظر: محمّد عبد الوهاب شحاتة، مفهوم المورفيم في علم اللغة الحديث، دراسة نظرية ومحاولة تطبيقية في العربيّة، ص184.

المبحث الأول

دلالةُ صيغةِ (فُعُل)

ورَدَتْ صيغةُ (فُعُل) في القرآن الكريم ثماني مراتٍ، يقف الباحثُ على مواضِعَ منْها تجليةً وبيانًا، وهي:

قوْلُهُ تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ* أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ* وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة ٢٠] [السجدة 18-20].

ففي مفارقةٍ جليّةٍ بين حالِ المؤمنين الصّالحين في مأواهم، وحال الفاسقين المكذّبين بوعد الله وبوعيده، حيث (لَا يَسْتَوُونَ)، إنّما "أريدَ به جميعُ الفسَّاق، وجميعُ المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مَصْمودٍ لهما ذهبت لهما العرب مذهبَ الجمع"[1].

وإذا أنْعَمَ الباحثُ النَّظرَ بعيدًا في الآيتين السابقتين، وَجَدَ أنَّ لفظَ (نُزُلًا) اختصَّ الله ذكرَه للمؤمنين حيثُ مسكنُهم في الجنة، ولم يُذكر في مشهد الفاسقين. و"أضيفت الجنانُ إلى المأوى؛ لأنها المأوى، والمسكن الحقيقيّ، والدّنيا مَنزِلٌ مُرتحَلٌ عنهُ... و(نُزُلًا) أي ثوابًا، وهو في الأصل ما يُعدُّ للنّازلِ مِنَ الطّعامِ والشّرابِ والصّلةِ، ثمّ عَمَّ كلَّ عطاء. وانتصابُهُ على أنَّهُ حالٌ من (جنّاتُ)، والعامل فيه الظرف، وجُوِّز أن يكون جمع (نازلٍ)، فيكون حالًا مِن ضميرِ (الَّذِينَ آَمَنُوا)"[2].

والحقُّ –ممّا سبقَ– أنَّ تعالقًا بين المستويْنِ التّركيبيّ والصّرفيّ أفضى إلى انفتاحٍ في الدّلالةِ، ذلكَ أنَّ (نُزُلًا) احتملَتْ في هذا السّياقِ معنيَيْنِ نحويّيْنِ: أوّلهما أنّها حالٌ مِن (جنّات)، والآخرُ أنّها حالٌ مِن الضّمير في قوْلِهِ: (الذينَ آمنوا). أمّا في المستوى الصّرفي

---

[1] انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 624/18-625.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 133/21.

فقد احتملتْ معنييْنِ صرفيّيْنِ: أوّلهما أنّها جمعٌ لاسمِ الفاعلِ (نازل)، وثانيهما أنّها اسم مكان؛ لأنّ (النُّزُل) ما يُقدَّمُ للضّيفِ أو للنّازلِ.

وفي قوْلِهِ تعالى: ﴿**فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ**﴾ [الواقعة 93] يدُلُّ لفظُ (النُزُل) على ما يكون من مكانِ استقبالِ المُكذّبينَ الفاسقين، حيثُ النّارُ المأوى، فهم ضيوفٌ عليْها يقيمونَ فيها إقامةَ المُقاسي لألوانِ عذابِها، كما يقولُ تعالى: ﴿**أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا**﴾ [الكهف 102] حيثُ النُّزُلُ الطّعامُ أو المَنْزِلُ، فتكونُ جهنّمُ بذلكَ عقابًا لهم كما كانتْ الجنةُ ثوابًا للمؤمنينَ الذين عملوا الصّالحات.

وفي موضِعٍ آخرَ تأتي صيغةُ (فُعُل) مشيرةً إلى معنى الإقامةِ أو اسمِ المكانِ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا**﴾ [الكهف 107]؛ ولأنّ (النُزُل) مِن معانيه الإقامة، جاءَ الوصفُ القرآنيُّ لحالِ إقامةِ المؤمنين الصّالحينَ الذين عملوا الصّالحاتِ وصدقوا بالله ورسوله، وأقرّوا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه، وعملوا بطاعته. فكان لهم ما استحقّوهُ مِنَ الجزاءِ الذي هو مِن جنسِ أعمالِهم، بل فاقَ آفاقَ ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشَرٍ.

وفي هذهِ الصّيغةِ تعدُّدٌ في المعاني النّحويّةِ ناشئٌ عن انفتاحِ الدّلالةِ للصّيغةِ الصّرفيَّةِ (فُعُل)، وبيانُ ذلكَ أنَّ "الجار والمجرور (لهم) متعلّقٌ بمحذوفٍ على أنّه حالٌ مِنْ قوْلِهِ تعالى: (نُزُلًا)، أو على أنّهُ بيانٌ كما في "سُعيًا لك". وخبرُ كان في الوجهين (نُزُلًا)، أو على أنّهُ الخبر (ونُزُلًا) حالٌ مِن (جناتُ). فإنْ جُعِلَ المعنى ما يُهيّأ للنّازلِ فالمعنى: كانت لهم ثمار جنات الفردوس نُزُلًا أو جُعِلَت نفسُ الجنات نُزُلًا مبالغةً في الإكرام، وفيه إيذانٌ بأنّها عندما أعدَّ الله تعالى لهم الجنات كانت بمنزلة النُّزُل بالنسبة إلى الضيافة، وإن جُعلت بمعنى المَنزِل فالمعنى ظاهِرٌ[1].

وتأتي صيغةُ (فُعُل) في اللّغة على معنى اسم المفعول؛ ومِنْ ذلكَ "بابٌ فُتُح، وبابٌ غُلُق، وأَمرٌ نُكُر. ويقابلها مِنْ صيغِ مبالغَةِ اسمِ الفاعِلِ **فُعُل** بِمعنى **فاعل** نحو: رَجُلٌ سُهُد

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 51/16.

أي: قليل النوم... والذي يبدو أنّ ما عُدِلَ عن صيغةِ **(مفعول)** إلى صيغةٍ أخرى يُفيدُ المبالغَةَ عمومًا؛ وذلك لأنَّ النَّقْلَ يُفيدُ المبالغَةَ في الغالِبِ"[1]، والمُبالغةُ ههنا معنًى صرفيٌّ آخرُ للصّيغةِ الصّرفيّةِ.

ولعلّ تعالقًا في المستويْنِ الصّرفيّ والتّركيبيّ يُفضي إلى انفتاحِ دلالةٍ للفظِ (نُزُلًا) يُفصِحُ عنه تأويلُ (الفردوس)، حيثُ الإقامةُ ومُبتغى النُزُل؛ ذلك أنّ لـ**"الفردوس"** خمسةَ أقاويل[2]:

أحدُها: أنّ الفردوسَ وسطَ الجنّة وأطيبُ موضِعٍ فيها.

والثّاني: أنَّهُ أعلى الجنّةِ وأحسنُها.

والثّالثُ: أنّهُ البستانُ بالرّوميّة.

والرّابعُ: أنّه البستانُ الذي جمعَ محاسِنَ كلِّ بستانٍ.

والخامِسُ: أنَّهُ البستانُ الذي فيه الأعنابُ.

وعليه، فإنّ الباحثَ يرجّحُ –بناءً على تأويلِ الفردوس– أنّ (نُزُلًا) جُعِلَتْ بمعنى المنزِلِ، المعنى الظاهر، حيثُ مُستقرُّ المؤمنينَ في جنّاتِ ربِّ العالمينَ؛ إذ مِنَ المُلاحَظِ أنّ المعانيَ الصَّرفيَّةَ السّابقةَ التقتْ على دلالةٍ كليّةٍ أساسُها وصفُ النُّزُلِ أو مكانُ المَسكَنِ.

وبالنّظرِ في موضِعٍ آخرَ، فإنّ الباحثَ يَجِدُ صيغةَ (فُعُل) المودَعَةَ في الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) تُنبئُ عنْ معنًى مُعجميٍّ بيّنٍ، ألا وهو قِرى الضّيفِ أو ما يُهيَّأُ لهُ مِن طعامٍ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ* نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾ [فصّلت 32–31]، ففي الجنّةِ ما يتمنّونَ. و"النُزُل: رزقُ النّزيلِ، وهو الضّيف، وانتصابُهُ على الحالِ[3]. والنُّزُل: ما يُهيَّأُ للضّيفِ مِنَ

---

[1] انظر: فاضل صالح السّامرائي، معاني الأبنية في العربيّة، ط2، دار عمار، عمّان، الأردن، 2007م، ص63–64.

[2] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 348/3.

[3] انظر: الزمخشري، الكشاف، 114/4.

القِرى، وهو مشتقٌّ مِنَ النّزولِ؛ لأنَّهُ كرامةُ النّزيلِ، وهو هنا مشتقٌّ لِما يعطونَهُ مِنَ الرّغائبِ سواءٌ كانت رزقًا أو غيرَه. ووجهُ الشّبهِ سرعةُ إحضارِهِ، كأنّهُ مهيَّأ مِن قَبلِ أنْ يشتهوهُ أو يتمنّوه. وتكونُ (نُزُلاً) حالاً لـ(ما تشتهي أنفسكم)[1].

ومِن مُثُلِ صيغةِ (فُعُل) للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ قوْلُهُ تعالى: ﴿**هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ**﴾ [الواقعة 56]؛ إذ إنّ "النُّزُل: أوّلُ ما يأكُلُ الضّيْفُ. "النُّزُل: أوّلُ ما يأكُلُ الضّيْفُ. "وقرأَ عبّاسٌ عنْ أبي عمرٍو، والأعمشُ، وابنُ مُحيْصِنٍ، وخارِجةُ عنْ نافِعٍ: (نُزْلُهم) بإسكانِ الزّاي"[2]. وَالنُّزُلُ بِضَمِّ النُّونِ وَضَمِّ الزَّايِ وَسُكُونِهَا: مَا يُقَدَّمُ لِلضَّيْفِ مِنْ طَعَامٍ، وَهُوَ هُنَا تَشْبِيهٌ تَهَكُّمِيٌّ كَالْاِسْتِعَارَةِ التَّهَكُّمِيَّةِ فِي قَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا الْقِرَى أَنْ تشتُمونا

قَرِيْناكُم فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا[3].

ومِنَ مواضِعِ صيغةِ (فُعُل: نُزُل) التي دلَّتْ على معنى العطاءِ الوافرِ والمقامِ الكريمِ قوْلُهُ تعالى: ﴿**أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ**﴾ [الصافات 62]؛ إذِ النّزلُ العطاءُ الوافرُ، ومِنْهُ إقامةُ الإنزال، وقيلَ ما يُعَدُّ للضّيفِ والعسكر[4]. وأنّ أصلَ النُّزلِ الفضلُ والرّيعُ، فاستُعير للحاصلِ مِنَ الشَّيءِ، فانتصابُه على التَّمييزِ؛ أي: أذلك الرّزقُ المعلومُ الذي حاصلُهُ اللّذةُ والسُّرورُ خيرٌ نزلاً أم شجرةُ الزَّقُّومِ التي حاصِلُها الألَمُ والغمُّ؟ ويُقال: النُّزُل لِما يُقامُ ويُهيَّأُ مِنَ الطَّعامِ الحاضِرِ للنَّازلِ، فانتصابُه على الحاليَّةِ، والمعنى أنَّ الرِّزقَ المعلوم نُزُلُ أهلِ الجنَّةِ. وأهلُ النَّارِ نُزُلُهم شجرةُ الزَّقُّوم، فأيُّهما خيرٌ في كونِهِ نُزُلاً[5]. وممّا سبقَ يخلُصُ الباحثُ إلى أنَّ

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 287/24.

[2] انظر: النَّوْزاوازِي، المُغني في القراءاتِ، ص1757.

[3] انظر: القرشي، أبو زيدٍ، جمهرة أشعار العرب، تحقيق محمد البجاري، (د.ط)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص396. وانظر: الزّوزني، حسين بن أحمد، شرح المعلّقات السّبع، ط1، دار إحياء التّراث العربي، 2002م، ص222.

[4] انظر: الماوردي، النكت والعيون، 50/5.

[5] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السّليم، 193/7.

تعدُّدًا في المعنى النّحويّ للصّيغةِ (فُعُل- نُزُل)؛ إذ إنّها تحتمِلُ معنييْنِ اثنيْنِ: التّمييز، والحال.

وبالوقوفِ على الصّيغةِ الصّرفيّةِ التي أُودِعَ فيها الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل)، فإنَّ الباحثَ يجدُ أنَّ لها أثرًا في الكشفِ عنِ الدّلالةِ المُعجميّةِ؛ ذلكَ أنَّ صيغةَ (نُزُلًا) احتملتْ أنْ تكونَ حالًا؛ إذ في الحالِ تتبيّنُ دلالةُ معنى ما يُهيَّأُ للضّيفِ مِنَ الرّزقِ والطّعامِ، وأنْ تكونَ تمييزًا؛ إذ في التّمييزِ تتكشّفُ دلالتانِ: دلالةُ المكانِ والإقامةِ، ودلالةُ العطاءِ الوافرِ في الجنّةِ. ويذكُرُ الباحثُ هنا أنَّهُ -وإنْ كانتِ الصّيغةُ قدِ احتملتْ غيْرَ وجْهٍ في الدّلالةِ- ثمّةَ معنًى أقربُ للسّياقِ وأنسبُ، وهو ما ذهبَ إليْهِ الألوسي في "أنَّ الحمْلَ على التّمييزِ لا مانعَ منْهُ لفظًا، ولكنّ المعنى على الحالِ أشدُّ؛ لأنَّ المعنى المفاضلةُ بيْنَ تلكَ الفواكهِ وهذا الطّعامِ في هذهِ الحالِ لا التّفاضُلُ بيْنهما في الوَصْفِ، وإنَّ ذلكَ في النُّزُليّةِ أدْخَلُ مِنَ الآخرِ"[1].

ويقول تعالى أيضًا: ﴿**لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلَۢا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ**﴾ [آل عمران 198]؛ وفي هذهِ الآيةِ دلالةٌ سياقيّةٌ أُخرى للصيغةِ (فُعُل)؛ ذلكَ أنَّ "نُزُلًا" معناه تكرمةٌ. ونصبُهُ على المصدرِ المؤكِّدِ. وقرأ الحسن: "نزلا" ساكنة الزّاي، وقوله تعالى: (وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ) يحتمِلُ أنْ يُريدَ: خير ممّا هؤلاء فيهِ مِنَ التقلُّبِ والتنَعُّمِ، ويحتمِلُ أنْ يريدَ: خير ممّا هم فيه في الدّنيا، وإلى هذا ذهب ابنُ مسعودٍ، فإنّهُ قال: ما مِن مؤمنٍ ولا كافِرٍ إلّا والموتُ خيرٌ لَهُ، أمّا الكافرُ فلئلّا يزداد إثمًا، وأمّا المؤمن فلأنَّ ما عندَ اللهَ خيرٌ للأبرار[2]. وفي الآيةِ قراءةٌ أخرى، وهي أنَّهُ قُرِئَ بسكونِ الزّاي، وهو ما يُعدّ للنّازلِ مِنْ طعامٍ وشرابٍ وغيرِهما[3].

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 92/12.

[2] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 558/1.

[3] انظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 235/1.

المبحث الثاني

دلالةُ صيغةِ اسمِ المَرَّةِ (فَعْلَة)

وفي هذا المبحثِ يتناولُ الباحثُ مُشتقًّا آخرَ مِن مشتقّات الجذر (ن ز ل) الاسميّة، ألا وهو اسمُ المرّة، الذي "يُصاغُ لِلدّلالَةِ على المرّةِ مِنَ الفِعلِ الثُّلاثيّ على وزنِ "فَعْلَة" بِفتْحِ الفاءِ، كجَلَسَ جَلْسَةً، وأَكَلَ أَكْلَةً"[1]، ويُكتفى بذكرِ صياغةِ هذا الاسمِ أو المصدرِ مِن الفعلِ الثلاثيّ بيانًا لمقصدِ المبحثِ، وهو الكشفُ عن دلالةِ (فَعلَة) المعجميّةِ والصّرفيّةِ في ضَوْءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، والمُودَعِ فيها الجذر (ن ز ل).

واسمُ المَرَّةِ "هو المصدرُ الدّالُّ على حصولِ الفِعلِ مرّةً واحدةً، وجيءَ بالهاءِ في (فَعلَة)؛ لتدلّ على المرّة أو الوحدة"[2]. واسمُ المرّة مِنَ الفِعلِ الثّلاثيّ المُجرّدِ على (فَعلة) سواءٌ أكانَ مختومًا بالتاءِ أم بغيرها[3]. وقد ذُكِرَتْ صيغةُ المرّةِ في القرآنِ الكريمِ مشتقّةً مِنَ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) مرّةً واحدةً، وذلك في قوله –عزّ وجلّ–: ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾ [النجم 13].

و(نزلةً أُخرى) تُومِئ بأنّ ثمّةَ مرةً أولى، وأنّ هذهِ المرّةَ هي مرّة أخرى مِنَ النّزولِ، ونُصِبَتِ النَّزلةُ نصبَ الظّرفِ الذي هو مرّة؛ لأنَّ الفَعلةَ اسمٌ للمرّة مِنَ الفِعلِ، فكانتْ في حُكمِها، أي: "نَزَلَ عليْهِ جبريلُ –عليه السلامُ– نزلةً أخرى في صورةِ نفسِهِ، فرآهُ عليها، وذلك ليلةَ المعراجِ"[4]. وقد قيلَ: "(نَزْلَةً) معناه مرّة، ونصبُهُ على المصدرِ في موضِعِ الحالِ"[5].

---

[1] انظر: الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصّرف، ص119.

[2] انظر: سيبويه، الكتاب، 45/4.

[3] انظر: الرّضي الأستراباذي، نجم الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ، 179/1.

[4] انظر: الزمخشري، الكشاف، 299/4.

[5] انظر: ابن عطيّة، المحرر الوجيز، 199/5.

وقد ذَكَرَ الماورديُّ في تفسيرِهِ أنّ النّبيَّ محمّدًا –صلّى الله عليه وسلّمَ– رأى ما رآه ثانيةً بعد أولى، إذ إنّ اللهَ تعالى قسّم كلامَهُ ورؤيته بينَ محمّد وموسى عليهما السّلامُ، فرآهُ محمّدٌ مرّتين، وكلّمَهُ موسى مرّتين[1].

أمّا صيغة (نَزْلَةً) فهي المرّة مِنَ النّزول، وهي "فعلةٌ من النزول أُقيمت مقام المرّة ونُصِبَ نصْبُها على الظّرفية؛ لأنَّ أصلَ المرّة مصدرُ (مَرَّ: تَمُرُّ)، ولشدة اتّصال الفعل بالزّمان يُعبّر به عنه، ولم يقل مرّة بدلها؛ ليُفيد أنّ الرؤيةَ في هذهِ المرّةِ كانتْ بنزولٍ ودنوٍّ كالرؤيةِ في المرّةِ الأولى الدّالّ عليها ما مرّ"[2].

ولعلّ تعالقًا صرفيًّا تركيبيًّا يتحصّلُ في الكشفِ عنْ دلالةِ اسمِ المرّةِ (فعلَة)، وأنّهُ يُستعانُ بالتّركيبِ على فهمِ الدّلالةِ الصّرفيّةِ، "مُضافًا إليها مورفيم التّاء، وهي مورفيم مقيّد، مَعَ فتحِ الفاءِ وتسكينِ العَيْنِ في الدّلالة على المرَّةِ، وكذلك تتمُّ الدّلالةُ الصّرفيَّةُ عليهِ إمّا بالوَصْفِ أو بالإضافَةِ للمصدَرِ الدّالِّ على المرَّةِ. وممّا سبقَ فإنّ المورفيم وحدَهُ قد لا يصلُحُ لإفادةِ الدّلالةِ الصّرفيَّةِ، ولا بُدّ مِنَ الاستعانةِ بِوسائِلَ نحْوِيَّةٍ أُخرى إمّا وصْفًا أو إضافَةً، وهما –الوصفُ والإضافَةُ– مِنَ التّراكيبِ النّحْويَّةِ المُتلازِمَةِ"[3].

---

[1] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 395/5.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 50/27.

[3] انظر: محمّد عبد الوهاب شحاتة، أنواع المورفيم في العربية، ص211.

المبحث الثالث

دلالةُ صيغةِ (مفاعِل)

وهذا مبحثٌ يُعنى ببيانِ دلالةِ صيغةٍ اسميّةٍ أخرى مُودَعٍ فيها الجذر (ن ز ل)، وهي صيغةُ جَمْعٍ للكثرةِ، "وممّا يُشبِهُ صيغةَ (فَعَالِل) الّتي هي صيغةٌ مِنْ صِيَغِ جُموعِ الكَثْرَةِ في العربيَّةِ وما يُماثِلُها عددًا وهيئةً، وإنْ خالَفَها زِنَةً؛ نحو: مَفاعِل وفواعِل وفياعِل وأفاعِلَة... وأنَّ للميمِ السّابِقَةِ التَّصريفيَّةِ على وزنِ "مفاعِل" وجودًا كذلكَ معنًى ولفظًا في مزيدِ الثّلاثيّ نحو: "استخرجَ وانْطلَقَ، فلا نقولُ في جمعِهما نَطالِق وسَخارِج، فتكونُ: مَطالِق ومَخارِج؛ لِفصْلِ الميمِ بِتصدُّرِها ودلالتِها على معنًى يختصُّ بالأسماءِ، ولأنَّها تدلُّ على اسمِ الفاعِلِ والمفعولِ..."[1].

وقد وردَتْ هذهِ الصّيغةُ في القرآنِ الكريمِ مودَعًا فيها الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل) مرّتيْنِ، وهما:

1- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس 5].

تشيرُ الآيةُ السّابِقةُ إلى قدرةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- على التّدبير وإقامَةِ نظامٍ كونيٍّ يتجلّى مِن خلالِ نورِ مخلوقاتِهِ الّتي هي مِن نورِهِ، فسبحانَهُ -تقدّستْ أسماؤُهُ- وهو القائلُ في تنزيلِهِ: **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** النّور: 35، إذ جعلَ الشّمسَ مضيئةً للنّاس نهارَهم، وجعلَ القمرَ منيرًا لهم ليلَهم، **(وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ)**؛ "أي قضاهُ وسوّاهُ منازلَ لا يُجاوزُها ولا يقصرُ دونَها على حالٍ واحدةٍ أبدًا"[2].

وتتجلّى دلالةُ المنازلِ في معنى قوْلِهِ: (وَقَدَّرَهُ)؛ إذ معناهُ: "قدّر له وهيّأ (منازل)، أو قُدِّر مسيرُهُ في منازل، أو قدّره ذا منازل على تضمين التّقدير معنى التّصيير. وتخصيصُ القمرِ بهذا التقديرِ؛ لِسرعةِ سيرِهِ ومُعاينةِ منازِلِهِ، وتعلّقِ أحكامِ الشريعةِ بِهِ، وكونِهِ عُمدةً في

---

[1] انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص167.

[2] انظر: الطّبري، جامع البيان، 118/12.

تواريخِ العربِ، وقد جُعلَ الضّميرُ لِكلٍّ منهما، وهي على ما وردَ في تفسير أبي السّعودِ ثمانيةٌ وعشرون منزلاً ينزلُ القمرُ كلَّ ليلةٍ في واحدٍ منها، لا يتخطّاهُ ولا يتقاصَرُ عنهُ على تقديرِ مستواه لا يتفاوت، وهذه المنازلُ هي مواقعُ النّجومِ"[1]. ويُلاحظُ الباحثُ دلالةً كلّيّةً حيثُ المنازلُ المعلومةُ المحسوسةُ للقمرِ المتغيّرةُ بيدِ الجبّارِ الذي يُغيّرُ ولا يتغيّرُ، يُصيّرُها كيفَ يَشاءُ، مفادُها:

– **التّقديرُ**: بِخلقِ المنازلِ وما هيّأهُ للقمرِ، كما هيّأ للشّمسِ والمجرّاتِ منازلها.

– **والتّسييرُ**: بتقديرِ مسيرِه، زمانِهِ ومكانِهِ، في نظامٍ مُحكَمٍ عجيبٍ.

– **والتّصييرُ**: بجَعلِ القمرِ ذا منازِلَ يهتدي بِه النّاسُ لِمعرفةِ السّنينَ والحسابِ.

أمّا كلمةُ (منازل) في مُستواها التّركيبيّ فهي على دلالةِ التّقديرِ الذي هو الخلقُ والتّهيئةُ مفعولٌ به، وهي على دلالةِ التّسييرِ منصوبةٌ على الظّرفِ، وهي على دلالةِ التّصييرِ منصوبةٌ على المفعول بهِ الثّاني؛ أي صيّرَهُ ذا منازلَ، أمّا إذا كان الفعلُ قدّرَهُ بمعنى الجَعلِ المتعدّي لمفعولٍ واحدٍ فتكون (منازلَ) منصوبةً على الحالِ.

أمّا الموضِعُ الآخرُ الذي ذُكِرتْ فيهِ صيغةُ (مَفاعِل) مقرونةً بالجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) فهو:

2– قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس 39].

وفي قوله: **(مَنَازِلَ)** أوجُهٌ: **أحدُها** أنّهُ مفعولٌ ثانٍ؛ لأنَّ (قَدَّرْنَا) بمعنى صيّرنا على التّضمين، **وثانيها** أنّه حالٌ، ولا بدّ مِن حذفِ مضافٍ قبلَ "منازِلَ" تقديره: ذا منازلَ. **وثالثُها** أنّه ظرفٌ؛ أي: قدّرنا مسيرَهُ في منازل[2].

---

[1] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 120/4.

[2] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 270/9.

وانتصبَ "منازل" على الظّرفيّة المكانيّة مثل: سِرتُ أميالًا، أي قدّرنا سيرَهُ في منازلَ ينتقلُ بسيرِهِ فيها منزلةً بعدَ أخرى، وذلك على تقديرِ أنّ اللهَ جعلَ الأشياءَ بقَدَرٍ ونظامٍ مُحكَميْنِ، وأنّهُ –جلّ في عُلاه– قدّرَ الأوقاتَ والكمّيّاتِ مِنَ الموزوناتِ والمعدوداتِ"[1].

وفي دلالةِ قولِهِ عزَّ وجلَّ: **(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ)** الأسلوبيّةِ وجهانِ:

أحدُهما: جَعَلَهُ في كلّ ليلةٍ على مقرٍّ له، يزيدُ في كلّ ليلةٍ مِن أوّلِ الشّهرِ حتى يُستكمَل، ثم ينقصُ بعدَ استكمالِهِ حتّى يعودَ كما بدأ.

والآخرُ: أنّه يطلعُ كلّ ليلةٍ في مَنزِلٍ حتّى يستكملَ جميعَ المنازلِ في كلّ شهرٍ، ولذلكَ جعلَ بعضُ الحُسّابِ السّنةَ الشّمسيّةَ ثلاثةَ عشرَ شهرًا قمريًّا[2].

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 22/23.

[2] انظر: الماوردي، النكت والعيون، 17/5.

المبحث الرابع

دلالةُ صيغةِ الاسمِ المشتَقِّ مِن بابِ (أَفْعَل)

وقد وردَتْ هذهِ الصّيغةُ المُودَعُ فيها الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل) في التّنزيلِ العزيزِ سبعَ مرّاتٍ، يُقسِّمُها الباحِثُ قِسميْنِ اثنيْنِ، هما:

(أ) صيغةُ اسمِ الفاعلِ (مُفعِل).

(ب) صيغةُ اسمِ المفعولِ (مُفْعَل).

وكما قلنا –سابقًا– فإنّ للاسمِ دلالةَ الثّبوتِ التي يتباينُ بها عنِ الفعلِ، ولا سيّما في سياقِ التّفريقِ بينَ الفعلِ والمشتقّيْنِ منهُ: اسمِ الفاعلِ واسمِ المفعولِ. و"مِنْ حيثُ الدّلالَةِ فإنَّ صيغَتيْ اسمِ الفاعِلِ واسمِ المفعولِ تدُلّانِ على المُضِيّ والحالِ والاستقبالِ والاستمرارِ والدّلالَةِ على الثُّبوتِ كالصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ"[1]. أمّا ما يقصدُهُ الباحثُ في هذا المبحثِ فإبرازُ دلالةِ الاسمِ المشتقِّ للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) كما جاءَ في التّنزيلِ العزيزِ، ومن مُثُلِ ذلكَ:

– **قوْلُهُ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾** [المؤمنون 29].

إذ إنَّ في كلمةِ (مُنْزَلًا) مشتركًا صرفيًّا، ولذلكَ فإنّهُ يُحتمَلُ في صيغةِ "مُفْعَل" في هذا الموضِعِ أنْ تكونَ:

1. مصدرًا ميميًّا.
2. اسمَ مكان.

وللمصدرِ الميميّ معنىً ليسَ في المصدرِ الصّريحِ؛ "وإلّا فما اختلفَتْ صيغتُهُ. فالمصيرُ مَثَلًا لا يُطابِقُ الصّيرورةَ، والمَرجِعُ لا يُطابِقُ الرُّجوعَ أو الرَّجْعَ، والمَفَرُّ ليْسَ معناهُ الفِرارَ تمامًا، والمَساقُ لا يُطابِقُ السَّوْقَ"[2]. ومعلومٌ أنّ الاشتراكَ الصّرفيَّ السّابقَ باعثُهُ اشتراكُ

---

[1] انظر: فاضل صالح السّامرائي، معاني الأبنية في العربيّة، ص44.

[2] انظر: ما سبق، ص31.

الصّياغةِ بينَ اسمِ المكانِ والمصدرِ الميميّ وكذلكَ صياغة الاسمِ المفعول مِن الفعل غيرِ الثّلاثيّ؛ إذ "يُصاغُ المصدرُ الميميُّ مِنْ غيرِ الثُّلاثيّ على زِنَةِ اسمِ المفعولِ، كمُكرَم، ومُعَظَّم، ومُقام"[1].

إلّا أنّ في الكلمةِ غيرَ قراءةٍ، فقد "قرأ أبو بكر بِفتحِ الميمِ وكسرِ الزّاي، والباقون بضمّ الميم وفتحِ الزّاي"[2]. والمَنْزل والمُنْزَل كلٌّ منهما يحتملُ أن يكونَ اسمَ مصدرٍ، وهو الإنزالُ والنّزولُ، وأن يكونَ اسمَ مكانِ النّزولِ والإنزالِ، إلا أنَّ القياسَ (مُنْزَلًا) بالضّمِّ والفتحِ لقوْلِهِ: (أَنْزِلْنِي)، أمّا الفتح والكسر فعلى نيابة مصدر ثلاثيّ منابَ مصدرِ الرّباعي كقوْلِهِ: ﴿**وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا**﴾ [نوح 17][3].

وفي دلالةِ قوْلِهِ تعالى: **(وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ)** المُعجميّةِ، في ضَوْءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، معنيانِ اثنانِ في قوْلِ نوحٍ –عليهِ السّلام–:

أحدُهما: حالَ نزولِهِ في السّفينةِ، ويعني مُباركًا بالسّلامة والنّجاة.

والآخرُ: حالَ نزولِهِ مِنَ السّفينةِ، ويعني مُباركًا بالماءِ والشَّجَرِ[4]. وفي القوْليْنِ تجتمِعُ الخيريّةُ مِن جهةِ المَنزِلِ (وهو السّفينة)، ومِن جهةِ النّزولِ، حيثُ المُباركةُ بالنّجاةِ والحياةِ.

وللسّياقِ الأثرُ الجليُّ في اختيارِ صيغةِ اسمِ الفاعِلِ (مُفعِل: مُنزِل) دونَ غيرِها مِنَ الصّيغِ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ**﴾ [الواقعة 69]؛ إذ "لمّا كانَ عنصرُهُ في جهةِ العلوّ، قال مُنكِرًا عليهم مُقرّرًا لهم: (أءنتم أنزلتموه)، ولمّا كانَ الإنزالُ قد يُطلَقُ على مجرَّدِ إيجادِ الشّيء النّفيسِ، وكانَ السّحابُ مِن عادتِهِ المرورُ مع الرّيحِ لا يكادُ يثبُتُ، عبَّرَ بقولِهِ تحقيقًا لِجهةِ العلوّ وتوقيفًا على موضِعِ النّعمةِ في إثباتِهِ إلى أنْ يتمَّ حصولُ النّفعِ بِهِ: (مِنَ المُزن) أي: السّحاب المملوء الممدوح الذي شأنه الإسراع في المضيّ.

---

[1] انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصّرف، ص120.

[2] انظر: ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، 328/2. وانظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 403/1.

[3] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 330/8. وانظر: الألوسي، روح المعاني، 28/18.

[4] انظر: الماوردي، النكت والعيون، 53/4.

وقيل: السّحاب الأبيض خاصّةً، وهو أعذبُ ماء، (أم نحن) أي خاصّة، وأكّد بذكر الخبر وهو لا يحتاج إلى ذكره في أصل المعنى، فقال: (المنزِلون) أي: له، رحمة لكم وإحسانًا إليكم بتطييبِ عيشِكم على ما لنا مِن مقامِ العَظَمَةِ الذي شأنُهُ الكِبَرُ والجبروتُ وعدمُ المبالاة بشيءٍ"[1].

وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ في إبرازِ دلالة صيغةِ الفاعليّةِ (مُنزِل) في الآيةِ السّابقةِ "إِنْشَاءُ مَا بِهِ الْحَيَاةُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَعْدُومًا بِأَنْ كَوَّنَهُ اللَّهُ فِي السَّحَابِ بِحِكْمَةِ تَكْوِينِ الْمَاءِ. فَكَمَا اسْتَدَلَّ بِإِيجَادِ الْحَيِّ مِنْ أَجْزَاءَ مَيِّتَةٍ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَالنَّبَاتِ اسْتُدِلَّ بِإِيجَادِ مَا بِهِ الْحَيَاةُ عَنْ عَدَمٍ تَقْرِيبًا لِإِعَادةِ الْأَجْسَامِ بِحِكْمَةٍ دَقِيقَةٍ خَفِيَّةٍ، أَيْ يَجُوزُ أَنْ يُمْطِرَ اللَّهُ مَطَرًا عَلَى ذَوَاتِ الْأَجْسَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَكُونُ سَبَبًا فِي تَخَلُّقِهَا أَجْسَادًا كَامِلَةً كَمَا كَانَتْ أُصُولُهَا، كَمَا تَتَكَوَّنُ الشَّجَرَةُ مِنْ نَوَاةٍ أَصْلِهَا، وَقَدْ تَمَّ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى الْبَعْثِ عِنْدَ قَوْلِهِ: أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ"[2]، فكما أنَّ اللهَ قادرٌ على إحياءِ الميتِ مِن النّباتِ، فهو قادرٌ على بعثِ النّاسِ بعدَ المماتِ.

وثمّةَ تعدُّدٌ لمعاني (ما) المُتعلّقة بصيغةِ (مُفعِل) المُودَعِ فيها الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل)، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿۞ **وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ**﴾ [يس 28]؛ إذ يتردّدُ المعنى النّحويّ لـ(ما) بينَ معنييْ النّفي والعطف، وقد "اختلف المتأوّلون في قوْلِهِ (وَما كُنَّا مُنْزِلِينَ)، فقالتْ فِرقَةٌ: (ما) نافية، وهذا يجري مع التأويل الثّاني في قوْلِهِ: (ما أَنْزَلْنا مِنْ جُنْدٍ)، وقالتْ فِرقةٌ: (ما) عطف على جُنْدٍ، أي: مِن جند ومِن الذي كنّا منزلين على الأمم مثلهم قبل ذلك"[3].

ولعلّ في الدّلالةِ الكُلّيةِ للآيةِ السّابقةِ فضلَ بيانٍ في الكشفِ عنِ المعنى في المستويْنِ: التّركيبيّ والصّرفيّ؛ إذ يعني قوْلُهُ تعالى: (وَمَا أَنزَلْنَا على قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ): "مِن بعد قتلِه أو رفعِه، (مِن جُندٍ مّنَ السماء)؛ لإهلاكِهم والانتقامِ منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق، بل كفينا أمرَهم بصيحةِ مَلَكٍ، وفيه استحقارٌ لهم لإهلاكهم، وإيماءٌ إلى تفخيمِ شأن

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 227/19.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 324/27.

[3] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 452/4.

الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– (وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ) وما صحَّ في حكمتِنا أنْ ننزلَ لإهلاكِ قومِه جُندًا من السَّماءِ؛ لِما أنَّا قَدَّرنا لكلِّ شيءٍ سَبَبًا حيثُ أهلكنا بعضَ مَن أهلكنا مِنَ الأُممِ بالحاصِبِ وبعضهم بالصّيحة وبعضَهم بالخسفِ وبعضَهم بالإغراقِ وجعلنا إنزالَ الجندِ من خصائصِك في الانتصارِ من قومك، ولذلك (ما) موصولة معطوفة على (جندٍ)، أي: وما كنَّا مُنزلين على مَن قبلهم مِن حجارةٍ وريحٍ وأمطارٍ شديدةٍ وغيرِها[1]. ويخلُصُ الباحِثُ ههنا إلى أنَّ صيغةَ اسمِ الفاعلِ (مُنزِل) في الموضِعِ السّابقِ جاءتْ في سياقٍ تركيبيٍّ حمّالٍ لِوجهيْنِ، لكلِّ وجهٍ منهما دلالتُهُ المُعجميّةُ، حيثُ إنزالُ الهلاكِ، والجندِ مِن السّماءِ أو الاكتفاءُ بِما قدَّرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِن حكمةِ الإهلاكِ كما قدَّرَ ذلكَ في الأُممِ السّابقةِ: مِنهم أهلكَ بالصّيحةِ، ومنهم أهلكَ بالإغراقِ، ومنهم بِغيْرِ ذلكَ.

ويُلاحِظُ الباحثُ في موضعٍ آخرَ في التّنزيلِ العزيزِ تعالُقًا صرفيًّا مُعجميًّا؛ ذلكَ أنّ صيغةَ (مُفعِل) تحتملُ أنْ تكونَ على معنييْ المصدرِ واسمِ المكانِ، وفي كلا المعنييْنِ دلالةٌ يتّسعُ لها السّياقُ القرآنيُّ الشّريفُ، ومثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ**﴾ [يوسف 59]؛ إذ في قوْلِهِ تعالى: (وَأَنَاْ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ) وجهان: أحدُهما يعني خير المضيفين، قاله مجاهد. والآخر يحتمل معنى خير مَن نزلتم عليه من المأمونين. فهو على التأويل الأوّل مأخوذٌ مِنَ النُّزُلِ وهو الطّعام، وعلى التأويلِ الثّاني مأخوذٌ مِنَ المنزِلِ وهو الدّار[2]. وبالتّأويليْنِ تجتمِعُ للّذي ينزِلُ عندَ يوسُفَ –عليْهِ السّلامُ– دلالتا الطّعامِ والمأوى.

وَدَلَّ قَوْلُهُ: (خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُنْزِلُ الْمُمْتَارِينَ فِي ضِيَافَتِهِ لِكَثْرَةِ الْوَافِدِينَ عَلَى مِصْرَ لِلْمِيرَةِ[3]. وَالْمُنْزِلُ: الْمُضِيفُ. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ كِنَايَةٌ عَنِ الْوَعْدِ بِأَنْ يُوفِيَ لَهُمُ الْكَيْلَ،

---

[1] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 165/7.

[2] انظر: الماوردي، النكت والعيون، 54/3.

[3] انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ. (المِيرة): جَلَبُ الطّعامِ. مارَ عيالَهُ يميرُ مَيْرًا، وأمارَهم، وامتارَ لهم. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، (المِيرة): الطّعامُ يمتارُهُ الإنسانُ، مادّة (مير).

وَيُكْرِمَ ضِيَافَتَهُمْ إِنْ أَتَوْا بِأَخِيهِمْ. وَالْكَيْلُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مُرَادٌ مِنْهُ الْمَصْدَرُ؛ فَمَعْنَى (فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي) أَيْ: لَا يُكَالُ لَكُمْ، كِنَايَةٌ عَنْ مَنْعِهِمْ مِن ابتياع الطَّعَام[1].

ومِن مُثُلِ صيغةِ اسم المفعول (مُفعَل: مُنزَل) في التّنزيل العزيز:

قوْلُهُ تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران 124].

وفي هذا وصفٌ لمددِ الله من الملائكة يوم بدر، وبذلك الإنزال دليلٌ على مكانة الملائكة، وأنهم من أشرف الملائكة، فقد أنزلهم الله تعالى لينصروا عباده المؤمنين. وقُرئ (مُنْزَلِينَ) بالتّشديد للتّكثير أو للتّدريج، وقُرئ مبنيًّا للفاعل مِن الصّيغتينِ على معنى (مُنْزَلِينَ) الرّعبَ في قلوبِ أعدائِكم أو النّصر لكم[2]. وممّا يدلُّ على دلالةِ التّدريجِ أنّ على المؤمنينَ الصّبرَ؛ فالنّصرُ مشروطٌ بالصّبرِ، والتّدريجُ لا يعني النّزولَ دفعةً واحدةً.

وقرأ ابنُ أبي عبلة: (مُنْزَلِينَ) بتشديد الزّاي وكسرها مبنيًّا للفاعل. وبعض القرّاء بتخفيفها وكسرها مبنيًّا للفاعل أيضًا. والمعنى: يُنزلون النّصر[3]. ويخلُصُ الباحِثُ في هذا الموضِعِ أنَّ لاختلافِ القراءةِ في الصّيغةِ الاسميّةِ (مُنزَلينَ) أثرًا في اتّساعِ الدّلالةِ؛ ذلكَ أنَّ إنزالَ الملائكةِ مِنَ السّماءِ لِيقاتلوا معَ المؤمنينَ، ويكونوا مددًا لهم إمّا أنْ يكونَ دفعةً واحدةً دعمًا وتثبيتًا، أو أنْ يكونَ بالتّدريجِ والتّكثير، ويعضُدُ معنى التّدريجِ والكثرةِ قوْلُهُ تعالى: **(أَن يُمِدَّكُمْ)** "إمدادًا خفيًّا بِما أشارَ إليْهِ الإدغامُ"[4].

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13/13.

[2] انظر: ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، 242/2. وانظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 228/1.

[3] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 54/3.

[4] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآياتِ والسّور، 56/5.

المبحث الخامس

دلالةُ صيغةِ الاسمِ المشتقّ مِن بابِ (فَعَّل)

وقد وردَتْ هذهِ الصّيغةُ للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) سبعَ عشرةَ مرّةً في القرآنِ الكريمِ، وقد وقفَ الباحثُ على تقسيمها إلى ثلاثِ هيئاتٍ، وهي:

(أ) هيئة المصدر (تفعيل).

(ب) هيئة اسم الفاعل (مُفْعِّل).

(ج) هيئة اسم المفعول (مُفعَّل).

أولًا- هيئةُ المصدرِ (تفعيل)

ومنْ مُثُلِ هيئةِ المصدرِ (تفعيل: تنزيل) في التّنزيلِ العزيزِ قوْلُهُ تعالى: ﴿**تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [السجدة 2]، وقوله تعالى: ﴿**تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [فصلت 2]، وقوله تعالى: ﴿**تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [يس 5]، وقوله تعالى: ﴿**تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الحاقة 43].

واختيارُ صيغةِ (تفعيل) للجذر (نزل) حمّالٌ -في غيرِ موضِعٍ- لِمعانٍ عدّةٍ مِنها ما كانَ في قوْلِهِ **(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ)** في الآيةِ السّابقةِ؛ إذ إنّ لفظَ (تنزيل) "خبرٌ بعد خبرٍ، ذلكَ أنّهُ مصدرٌ باقٍ على معناه لقصدِ المُبالغةِ، أو بتقديرِ مضافٍ، أو هو مؤوّل باسمِ المفعولِ، أي مُنزّل، وإضافتُهُ إلى الكتابِ مِن إضافَةِ الصّيغةِ إلى الموصوفِ، أو بيانيّة، بمعنى مِنْ"[1]، وعليْهِ يكونُ المصدرُ (تنزيل) قدِ احتملَ دلالتيْنِ: إحداهما دلالةُ المصدرِ نفسِهِ للمبالغةِ والتأكيدِ، والأُخرى دلالةُ المفعوليّةِ.

وثمّةَ تعالُقٌ بينَ الصّيغةِ الصّرفيّةِ (تفعيل) وتعدّد القراءاتِ يُفضي إلى تعدُّدٍ في الدّلالةِ، وذلك في قوله تعالى: ﴿**تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [يس 5]؛ إذ يُلاحِظُ الباحِثُ التعدُّدَ في

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 116/21.

القراءاتِ الذي يُفضي إلى تعدّد في الدّلالةِ والصّيغةِ الصّرفيّةِ الواحدةِ. فقد "قرأَ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ وحَفْصٌ "تنزيلَ" بنَصْبِ اللّامِ، وقرأَ الباقونَ بِرَفْعِها"[1]. وثمّةَ قراءَةٌ "عنِ الحَسَنِ بالجَرِّ بدلًا مِنَ القرآنِ"[2].

أما تناسبُ اختيارِ أسماءِ اللهِ الحُسنى وصفاتِهِ –عزّ وجلّ– لِموضِعِ المصدَرِ (تنزيل) فهذا يستدعي الوقوفَ على إعجازِ الاختيار أو الترتيب في أسمائه –تقدّست أسماؤه–، ومن ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الواقعة 80]؛ إذْ جعل الله تعالى لإنزالِ القرآنِ شرفًا وغايةً عظيمةً مُسمّيًا له المصدرَ للمبالغة؛ ولأنّ هذا المصدرَ أغلبُ أحواله، ولذلك (غلَبَ) عليه هذا الاسمُ: (تنزيلٌ) أي "وصولُهُ إليكم بالتّدريج، بحسبِ الوقائعِ والتّقريبِ للإفهامِ والتأنّي والتّرقيةِ مِن حالٍ إلى حالٍ وحُكمٍ بواسطة الرّسُلِ والملائكةِ. ولمّا كان هذا في غايةِ الاتّفاقِ واليُسْرِ ذَكَرَ مِن صفاتِهِ ما يُناسِبُهُ فقالَ: **(مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** مِنَ الخالقِ العالِمِ بترتيبهم"[3].

وكذلكَ تناسُبُ (التّنزيل) للاسميْنِ الكريميْنِ: **(العزيز الرّحيم)** وتخصيصُهما في قولِهِ تعالى: ﴿**تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [يس 5]، "لِما في ذلك من إفصاحٍ عن الغَلَبَةِ التّامَّةِ، والرّأفةِ العامَّةِ، والحثّ على الإيمانِ ترهيبًا وترغيبًا، والإشعارِ بأنَّ تنزيلَهُ ناشِئٌ عن غايةِ الرّحمَةِ حسبما نطقَ بِهِ قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [الأنبياء 107]. وقيل: النّصبُ على أنّهُ مصدرٌ مؤكدٌ لفعلِهِ المُضمَرِ، أي: نُزِّلَ تنزيل العزيز الرّحيم على أنّهُ استئنافٌ مَسوقٌ لبيانِ ما ذُكِرَ مِنْ فخامَةِ شأنِ القرآنِ"[4].

وفي ضَوْءِ السّياقِ القرآنيّ، فإنّ لصيغةِ (تفعيل: تنزيل) دلالةً فيها ما فيها مِن الانفتاحِ والاتّساعِ في المعنى؛ ففي قوْلِهِ تعالى: ﴿**تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ**﴾ [الجاثية 2] الْمَقْصُودُ: "إِثْبَاتُ أَنَّ الْقُرْآنَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللَّهِ إِلَى رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

[1] انظر: ابن الجزري، النّشر في القراءاتِ العشرِ، 253/2.

[2] انظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 465/1.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 239/19.

[4] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 159/7.

فَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُجْعَلَ الْقُرْآنُ مُسْنَدًا إِلَيْهِ وَيُخْبَرَ عَنْهُ فَيُقَالُ الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ مُنَزَّلًا مِنَ اللَّهِ هُوَ مَحَلُّ الْجِدَالِ فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الْخَبَرَ، وَلَوْ أَذْعَنُوا لِكَوْنِهِ تَنْزِيلًا لَمَا كَانَ مِنْهُمْ نِزَاعٌ فِي أَنَّ تَنْزِيلَهُ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ خُولِفَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ لِغَرَضَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: التَّشْوِيقُ إِلَى تَلَقِّي الْخَبَرِ لِأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الِابْتِدَاءَ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ اسْتَشْرَفُوا إِلَى مَا سَيُخْبَرُ عَنْهُ فَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَيَتَرَقَّبُونَ أَنَّهُ سَيُلْقَى إِلَيْهِمْ وَصْفٌ جَدِيدٌ لِأَحْوَالِ تَنْزِيل الْكتاب فيتهيّؤون لِخَوْضٍ جَدِيدٍ مِنْ جِدَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَتَرَقَّبُونَ لِمَا يَزِيدُهُمْ يَقِينًا بِهَذَا التَّنْزِيلِ.

وَالآخرُ: أَنْ يُدَّعَى أَنَّ كَوْنَ الْقُرْآنِ تَنْزِيلًا أَمْرٌ لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ، فَالَّذِينَ خَالَفُوا فِيهِ كَأَنَّهُمْ خَالَفُوا فِي كَوْنِهِ مُنَزَّلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهَلْ يَكُونُ التَّنْزِيلُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيُؤَوَّلُ إِلَى تَأْكِيدِ الْإِخْبَارِ بِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَدْلُولِ كَوْنِهِ تَنْزِيلًا وَكَوْنِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَّا بِاخْتِلَافِ مَفْهُومِ الْمَعْنيين دون مَا صدقيهما عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ **لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ** هُدى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة 2][1].

ومِن مُثُلِ هيئةِ المصدرِ (تفعيل: تنزيل) في القرآنِ الكريمِ قوْلُهُ تعالى: ﴿**لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت 42]؛ إذ "لمّا كانَ مِن معاني العزّة أنَّهُ ممتنِعٌ بمتانَةِ رصْفِهِ وجزالَةِ نظْمِهِ وجلالَةِ معانيهِ مِنْ أنْ يلحقَهُ تغييرٌ ما... ثم علّل ذلكَ بقوْلِهِ: (تنزيل) أي: بحَسَبِ التّدريجِ لأجلِ المصالِحِ، مِن حكيمٍ بالغِ الحِكمَةِ، فهو يضَعُ كلَّ شيءٍ مِنْهُ في أتَمّ محالّهِ في وقتِ النُّزولِ وسياقِ النّظْمِ، حميدٍ بالغِ الإحاطَةِ بأوصافِ الكمالِ مِنَ الحِكمَةِ وغيرها، والتنزُّه والتّطهُّر والتقدُّس عنْ كُلِّ شائبةِ نقصٍ"[2].

وتتناسبُ صيغةُ (تفعيل: تنزيل) والسّياقَ القرآنيَّ، وتحتملُ أنْ تكونَ بمعنى (مُفعَّل: مُنزَّل) أو على حذفِ مُضافٍ؛ أي ذو تنزيل، ومِثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ**

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/325-326.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 17/202.

ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء 192]، فالهاءُ في قوْلِهِ: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ) تعودُ على القرآنِ، وإن لم يَجْرِ له ذِكْرٌ للعِلْمِ به. وتنزيل بمعنى مُنَزَّل، أو على حَذْفِ مضافٍ أي: ذو تنزيل[1]. وقوله سبحانه: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ) عوْدٌ لِما في مطلعِ السّورةِ الكريمةِ مِنَ التّنويهِ بِشأنِ القُرآنِ العظيم، وردُّ ما قال المشركون فيهِ، فالضمير راجع إلى القرآن. وقيل: هو تقريرٌ لِحقيّةِ تلكَ القِصَصِ وتنبيهٌ على إعجازِ القرآنِ ونبوّةِ محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، فإنَّ الإخبارَ عنها ممّن لم يتعلّمها لا يكون إلا وحيًا مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، فالضّمير لِما ذُكِرَ مِنَ الآياتِ الكريمَةِ النّاطقةِ بتلكَ القصصِ المحكيَّةِ، وجوّز أنْ يكونَ للقرآنِ الذي هي مِنْ جُملتِهِ، والإخبار عن ذلك بتنزيل؛ للمبالغة. والمرادُ أنَّهُ لَمنزَّلٌ مِنَ الله تعالى. ووصفَهُ سبحانَهُ بربوبيةِ العالمين؛ للإيذانِ بأنَّ تنزيلَهُ مِنْ أحكامِ تربيتِهِ عزَّ وجلَّ ورأفته بالكُلّ[2].

ومُناسبةً للسياقِ القرآنيّ يخلصُ الباحثُ إلى نتيجةٍ مفادُها أنّ للآياتِ –السّابق منها واللّاحق– نسقًا ضابطًا في اختيارِ الصّيغةِ الصّرفيّةِ مضبوطًا بِها؛ ولذا تجلّتْ دلالةُ المبالغة في صيغة (تنزيل) مناسبةً لِما اقتضتْهُ حكمتُهُ جلَّ في عُلاه بأنْ "يكون هذا الذكرُ جامعًا لِكوْنِهِ ختامًا، وأنْ يكونَ مُعجزًا لِكوْنِهِ تمامًا، ونزَّلَهُ على حَسَبِ التّدريجِ شيئًا فشيئًا، مُكرّرًا فيهِ ذكرَ القصصِ سابقًا في كُلِّ سورةٍ، منها ما يُناسِبُ المقصودَ مِنْ تلكَ السّورةِ، مُعبّرًا عمّا يسوقُهُ منها بما يلائِم الغرضَ مِنْ ذلكَ السّياقِ مَعَ مُراعاةِ الواقِعِ ومُطابقَةِ الكائِنِ"[3].

ثانيًا– هيئةُ اسمِ الفاعِلِ (مُفَعّل) مِن بابِ (فَعّل)

ومِنَ المعلومِ أنَّ اسمَ الفاعلِ هو اسمٌ مُشتقٌّ مِنَ الفِعلِ المبنيّ للمعلومِ وهو مِنَ الثُّلاثيّ على وزنِ (فاعِل) نحو: ضارِب وقائم وراعٍ. "ومِنْ غيرِ الثُّلاثيّ زِنَةِ مُضارِعِهِ؛ بإبدالِ حرفِ المُضارعة ميمًا مضمومَةً وكَسْرِ ما قبلَ الآخِرِ كمُدَحرِج ومُنطَلِق ومُستخْرِج..."[4]. أمّا ما تؤدّيهِ البنيةُ الصّرفيّةُ لاسمِ الفاعلِ مِن معانٍ فللسّياقِ دورٌ كبيرٌ في بيانِها، وكشفِ بلاغةِ

---

[1] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 550/8.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 118/10.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 96/14.

[4] انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص121.

العدولِ عن صيغةِ الفِعلِ إليْها؛ "إنّما يقَعُ اسمُ الفاعِلِ وسطًا بينَ الفِعْلِ والصِّفَةِ المُشبَّهَةِ، فالفِعْلُ يدُلُّ على التَّجَدُّدِ والحدوثِ، فإنْ كانَ ماضيًا دلَّ على أنّ حدثَهُ تمّ في الماضي، وإنْ كانَ حالًا أو استقبالًا دلَّ على ذلكَ، أمّا اسمُ الفاعِلِ فهو أَدوَمُ وأثبَتُ مِنَ الفِعْلِ ولكنّهُ لا يرقى إلى ثبوتِ الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ"[1].

ولمّا كانَ اختيارُ صيغةٍ صرفيَّةٍ ما دونَ غيْرِها إعجازًا ناسبَ ذلكَ السّياقَ القرآنيَّ، ومِن ذلكَ نلاحظُ اختيارَ صيغةِ اسمِ الفاعلِ (مُفعّل) في قوْلِهِ تعالى: ﴿**قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [المائدة 115]. وهذا جوابُ سؤالِ الحواريّينَ نبيَّهم عيسى مِنْ إنزالِ المائدة عليهم[2]. وفي هذهِ الآيةِ إشارةٌ إلى عظيمِ العذابِ الواقعِ على مَنْ يكفُرُ مِنْ أصحابِ المائدةِ، والصّيغةُ الصّرفيّةُ (مُنَزِّل) تُومِئُ بوقوعِ الحَدَثِ مرّاتٍ عديدةً، كما يُنبئُ عن ذلكَ صيغةُ (التّفعيل). وفي الآيةِ تعدُّدٌ في القراءة؛ إذ في قراءة (مُنزّل) بالتّشديدِ لأهلِ المدينةِ والشّامِ وعاصم إيذانٌ بأنّهُ سبحانَهُ وتعالى مُنجِزٌ وعدَهُ لا محالةَ، وإشعارٌ بالاستمرار. وقرأ الباقون (مُنَزِلُهَا) بالتّخفيفِ وجَعل الإنزال والتنزيل بمعنى واحد[3].

ويرى الباحِثُ أنَّ ثمّةَ تباينًا بينَ الإنزالِ والتّنزيلِ، وأنَّ لِكُلِّ صيغَةٍ صرفيَّةٍ دلالةً يُحدّدُها السّياقُ، ولعلَّ التّعدُّدَ في القراءاتِ يُوسِّعُ المعنى ويجعلُهُ أكثرَ انفتاحًا. وكما أنَّ الاختلافَ جليٌّ في الصّيغةِ هو أيضًا جليٌّ في الحَدَثِ، وقد اختُلِفَ في أسبابِ نزولِ المائدةِ، فكانَ على ثلاثةِ أقاويلَ:

"**أوّلُها:** أنّهُ مَثَلٌ ضربَهُ الله تعالى لخلْقِهِ، ينهاهم بِهِ عنْ مسألةِ الآياتِ لأنبيائِهِ.

وثانيها: أنّهم سألوا ووعدهم بالإجابة، ثمّ استعفّوا منها فلم تنزل عليهم.

---

[1] انظر: فاضل صالح السّامرائي، معاني الأبنية في العربيّة، ص41.

[2] انظر: الطبري، جامع البيان، 131/9.

[3] انظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 258/1.

وثالثُها: أنّهم سألوا فأجابهم، ولم يستعفّوا، لأنّه ما حكى الاستعفاء عنهم، ثم أنزلها عليهم، لأنه قد وعدهم، ولا يجوز أن يخلف وعده. ومَنْ قال بنزولِ المائدةِ، اختلفوا على ستّة أقاويلَ في وصفِ المائدةِ، وهي:

أولًا: مائدة عليها ثمارُ الجنّةِ.

ثانيًا: مائدة عليها خبزٌ ولحمٌ.

ثالثًا: مائدة عليها سبعةُ أرغفةٍ.

رابعًا: مائدة عليها طُعمُ كلّ الطّعامِ إلّا اللّحمِ.

خامسًا: مائدة فيها طُعمُ كلّ الطعام.

سادسًا: رغيفانِ وحوتانِ، أكلوا منها أربعينَ يومًا في سُفرة، وكانوا ومن معهم نحو خمسةِ آلافٍ، ثم أُمِرُوا أنْ يأكلوا منها ولا يخونوا ولا يدّخروا، فخانوا وادّخروا فَرُفِعَتْ"[1].

ثالثًا- هيئة اسم المفعول (مُفعَّل: مُنزَّل) مِن بابِ (فَعَّل)

وردَتْ صيغةُ اسمِ المفعولِ مِنَ الفِعْلِ المبنيّ لِلمجهولِ مِنَ الفِعْلِ (نزّل) في موْضِعٍ واحدٍ، وهو قوْلُهُ تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ**﴾ [الأنعام 114]؛ إذ يُذكِّرُ الله عزّ وجلّ الذين كفروا بحقيّتِهِ ونزوله مِن عندِ اللهِ مثلما نزلَ التّوراة والإنجيل على الأمم السابقة، وفي ذلك إيماءٌ إلى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقيّة والنزول من عنده تعالى، مع ما فيه من الإيجاز. وقُرئ (مُنَزَّلٌ) دون تشديد: من الإنزال، والتعرُّض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره -صلى الله عليه وسلم- لتشريفه عليه الصلاة والسلام[2].

---

[1] انظر: الماوردي، النكت والعيون، 85/2.

[2] انظر: ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، 262/2. وانظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 272/1.

وفي قولهِ تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ) دلالةٌ أخرى، ذلك أنَّ الذينَ أعطيناهم علمَ التوراةِ والإنجيلِ والزّبورِ والصُّحُفِ، والمُرادُ علماءُ أهلِ الكتابِ، هو عامٌّ بمعنى الخصوصِ، وهذهِ الجملةُ تكونُ استئنافًا، وتتضمّن الاستشهادَ بمؤمني أهلِ الكتابِ، والطَّعنِ على مشركيهم وحَسَدَتِهم، والعَضُدُ في الدّلالةِ بأنَّ القرآنَ حقٌّ، يعلمُ أهلُ الكتابِ أنّهُ حقٌّ؛ لتصديقِهِ كتُبَهم وموافقتِهِ لها[1]. "ويُحتمَلُ أنْ يكون المُخاطَبُ الرّسولَ عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ. والمقصودُ مِنَ الكلامِ المشركونَ المُمترونَ على طريقَةِ التّعريضِ، كما يُقالُ: إيّاكَ أعني واسمعي يا جارة"[2].

[1] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 212/4.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/8.

الفَصْلُ الثّالِثُ

دلالةُ الأبنيةِ الصَّرفيَّةِ لِلجَذْرِ اللُّغويّ (ن ز ل)

في ضَوْءِ السّياقِ القُرآنـيّ

الفَصْلُ الثّالِثُ

دلالةُ الأبنيةِ الصَّرفيَّةِ لِلجَذْرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في ضَوْءِ السّياقِ القرآنيّ

يأتي الفصلُ الثّالثُ، وهو الفصْلُ الأخيرُ في البحثِ، مُجلّيًا للمباحِثِ التي أتى البَحْثُ عليْها في الفصليْنِ السّابقيْنِ، وهي المباحثُ التي استعرضَ فيها التّجلّياتِ الاسميّةَ والفعليّةَ للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ، وبناءً على ما جاءَ في الفصليْنِ الأوّليْنِ كانتْ مباحثُ هذا الفصلِ، حيثُ دلالةُ الأبنيةِ الصّرفيّةِ للجذرِ (ن ز ل) في ضَوْءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، وقد بيّنَ الباحثُ –قبلًا– مسألةَ الإنزالِ في درسيْها الصّرفيّ والمُعجميّ، وهي في ثلاثِ شُعّبٍ: ما يتعلّقُ بالقرآنِ وما يختصُّ بهِ، وما يتعلّقُ بالكُتُبِ السّماويّةِ مِنْ مثلِ التّوراةِ والإنجيلِ والزّبورِ، وأشياءُ أخرى مِن مثلِ إنزالِ الماءِ والمَنِّ والسّلوى والمائدةِ والرِّجزِ والسّكينةِ، وإنزالِ الملائكة...

ثُمّ يعقِدُ الباحِثُ لِهذا الفصلِ أربعةَ مباحِثَ رئيسةٍ يُغني فيها مادّةَ بحثِهِ:

- **صرفًا**، حيثُ مُناسبةُ الصّيغةِ الصَّرفيّةِ وسياقَ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) القرآنيّ.
- **ومُعجَمًا**، حيثُ تعدُّدُ المعاني المُعجميّةِ المُودَعُ فيه الجذرُ (ن ز ل) بيْنَ الحقيقةِ والمجاز.
- **ونَحْوًا**، حيثُ تعدُّدُ المعاني النّحويّةِ لِمُشتقّاتِ (نزل) في السّياقِ التّركيبيّ، والتّعالقُ الحاصِلُ في المستوياتِ اللُّغويّةِ، ولا سيّما الصّرفيّ التّركيبيّ.
- **وأُسلوبًا**، حيثُ الظّواهرُ الأُسلوبيّةُ التي يتمثّلُها الباحثُ في هذا الفصلِ مِن مثلِ أسلوبيّةِ التّقديمِ والتّأخيرِ، وأسلوبيْ الحذفِ والقَصرِ.

ويعتمدُ الباحِثُ في فصلِهِ الأخيرِ على مصادرَ ومراجعَ مِن جهاتٍ ثلاثٍ: جهةِ التّفسيرِ والبيانِ، فاستأثرَ لذلكَ أُمّاتِ كُتُبِ التّفسير التي منها تفسير الطّبريّ، وتفسير الرّازي، وتفسير أضواء البيانِ للشّنقيطي، وتفسير الألوسي، ونظم الدّرر للبقاعي، وغيرها. وجهةِ توجيهِ القراءاتِ وتعدُّدِها، فاستأثرَ لذلكَ النّشرَ في القراءاتِ العشر لابنِ الجَزَري، وإتحافَ

فُضلاءِ البشر في القراءات الأربعةَ عشر لِشِهابِ الدّينِ الدّمياطيّ. وجهةِ علومِ اللّغةِ، فاستعانَ بالكشّافِ للزّمخشريّ، والبحرِ المحيطِ لأبي حيّان، والمحرّر الوجيزِ لابن عطيّة، والتّحرير والتّنوير لابن عاشور، وكذلك رجعَ لِكُتبِ إعرابِ القرآن، والدُّرّ المَصونِ للسّمينِ الحلبيّ... وغيرها.

وغايةُ الباحثِ في هذا الفصلِ أنْ تكونَ مباحِثُهُ أوراقًا بحثيّةً مُستقلّةً بِذاتِها، يستطيعُ أنْ يقفَ عليها –بعدُ– مُفصّلًا ومُعلّلًا ومُرجّحًا، وأنْ تشتملَ هذهِ الأوراقُ على موادَّ لغويّةٍ أُخرى في ضَوءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، أو سياقاتٍ مِن شعرٍ ونثرٍ. ولعلَّ إعجازَ القرآنِ في النّظمِ والسّبكِ كانَ الدّافعَ الرّئيسَ لكي يتأمَّلَ الباحثُ المعانيَ، ويستنبطَ الدّلالاتِ، وقد "تأمّلتْ طائفةٌ معانيَ خِطابِهِ، فرأتْ فيها ما يقتضي العمومَ، وفيها ما يقتضي الخُصوصَ إلى غيرِ ذلكَ؛ فاستنبطوا مِنهُ أحكامَ اللُّغةِ مِنَ الحقيقةِ والمجازِ، وتكلّموا في التّخصيصِ والإضمارِ، والنّصّ والظّاهرِ والمُجمَلِ، والمُحكَمِ والمُتشابِهِ... ونظرَ الكُتّابُ والشّعراءُ إلى ما فيهِ مِن جزالةِ اللّفْظِ وبديعِ النَّظْمِ، وحُسنِ السّياقِ والمبادِئِ والمقاطيعِ والمَخالِصِ، والتّلوينِ في الخِطابِ والإطنابِ والإيجازِ، وغيرِ ذلكَ؛ فاستنبطوا مِنْهُ عِلمَ المعاني والبيانِ والبديعِ"[1]، وهو البلاغةُ، وفي بلاغةِ القرآنِ الإعجازُ والإتقانُ وفصاحةُ القوْلِ وضبطُ اللّسان.

[1] انظر: الشّنقيطي، أضواء البيان، 431/2.

المَبْحَثُ الأوّل

تعدُّدُ المعاني المُعْجَمِيّةِ: مُشْتقّاتُ "نزل" بيْنَ الحقيقَةِ والمَجازِ

تُعدُّ مسألةُ الحقيقةِ والمجازِ مِنَ المسائلِ التي اهتمَّ بها اللّغويّونَ والمفسّرونَ على حدٍّ سواءٍ، وقد كانَ مِن أوائلِ الكتبِ التي صنّفتْ في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ كتابُ (مجاز القرآن) لأبي عبيدة –وإنْ كانَ هذا الكتابُ ليسَ مقتصرًا على المجازِ فقط، وإن كانَ مفهومُهُ للمجازِ أوسعَ منَ المُصطَلَحِ المتأخّرِ للمجازِ– فهو يشرحُ أسلوبَ القرآنِ الكريمِ في التّعبيرِ عنِ المعاني بصيغٍ مختلفةٍ وأساليبَ مُتباينةٍ. والحقيقةُ والمجازُ قضيةٌ أخذتْ مكانًا بينَ إثباتِها وإبطالِها عندَ العلماء، وليس الباحثُ بصددِ بيانِ إثباتها أو إبطالها.

فالمتدبّرُ لألفاظِ القرآنِ الكريمِ يجدُ أنَّ منْها ما يُحمَلُ على حقيقتِهِ، ومنها ما يُحمَلُ على المجاز، وأنَّ منها ما يكونُ حقيقيًّا ومجازيًّا في آنٍ؛ ذلكَ أنّ القرآنَ الكريمَ حمّالُ أوجهٍ، وفي حمْلِهِ الأوجُهَ إعجازُهُ وبلاغتُهُ وبيانُهُ. فالحقيقةُ كما هي عندَ ابن جنّي: "ما أُقِرَّ في الاستعمالِ على أصلِ وضعِهِ في اللُّغةِ"[1].

أمّا ما يقصدُ إليهِ الباحثُ في هذا المبحثِ فهو تعدّدُ المعاني المُعجميّةِ المُتعلّقةِ بالجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) ومشتقّاتِهِ، وكيفَ تراوحتْ بينَ الحقيقةِ والمجازِ بالاستعانةِ بآراءِ المفسّرين ومعاجِمِ اللُّغةِ؛ فمِنَ المعاني الحقيقيّةِ لهذا الجَذْرِ: "نَزَلَ مِنْ علوٍّ إلى سُفْلٍ، ونَزَلَ في البئرِ، ونَزَلَ عنِ الدّابَّةِ، وهذا مَنْزِلُ القَوْمِ... وهو حَسَنُ النُّزْلِ والنّزالةِ، وأعدَّ لِضَيْفِهِ النُّزُلَ والنُّزْلَ. ومِنَ المجازِ: نَزَلَ بِهِ مكروهٌ، وأصابَتْهُ نازِلَةٌ مِنْ نوازِلِ الدَّهرِ، وأَنْزَلْتُ حاجتي على كريمٍ... وسحابٌ نَزِلٌ وذو نَزَلٍ: كثيرُ المطَرِ، ورجُلٌ ذو نُزُلٍ: ذو فَضْلٍ"[2].

---

[1] انظر: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 444/2.

[2] انظر: الزّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر، أساسُ البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السّود، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م، 263/2–264.

ورُبّما يكونُ للّفظةِ معنًى معجميٌّ غيرُ الذي يعتريها إذا ما تبدّلَ السّياقُ لها، وربّما يكونُ الجمعُ بين الحقيقةِ والمجازِ أنسبَ في بعضِ ألفاظِ القرآنِ ليستقيمَ المعنى؛ لذا "ينبغي أنْ يُنظرَ إلى الكلمةِ قبلَ دخولِها في التّأليفِ وقبلَ أنْ تصيرَ إلى الصّورةِ التي بها يكونُ الكَلِمُ إخبارًا أو أمرًا أو نهيًا، استخبارًا وتعجُّبًا، وتؤدّي في الجملةِ معنًى مِنَ المعاني التي لا سبيلَ إلى إفادتها إلّا بِضَمّ كلمةٍ إلى كلمةٍ وبناءِ لفظةٍ على لفظةٍ"[1]، وهذا أساسٌ مِنَ الأُسسِ التي يقومُ هذا المبحثُ عليْها.

وإذا كانتِ الحقيقةُ ما وُضِعَ في الاستعمالِ على أصلِهِ في اللّغة، فإنَّ المجازَ ما كانَ في غيرِ أصلِ وضعِهِ؛ لفائدةٍ ذكرها ابنُ جنّي بقولِهِ: "وإنّما يقعُ المجازُ ويُعدَلُ إليهِ عنِ الحقيقةِ لِمعانٍ ثلاثةٍ، وهي: الاتّساعُ، والتّوكيدُ، والتّشبيهُ، فإن عُدِم هذهِ الأوصاف كانتِ الحقيقةُ البتّةَ"[2]. ومِن مُثُلِ الألفاظِ التي تتردَّدُ بين الحقيقةِ والمجازِ في التّنزيلِ العزيز لفظةُ (أنزلنا)، وهي موضوعُ البحثِ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى:

﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف 26]، فالمعنى يكونُ على سبيلِ المجازِ بعلاقةٍ مسبّبيّةٍ، حيثُ نزولُ الماءِ مِنَ السّماءِ ثمّ إنباتُ الزّرعِ، فرعيُ الدّوابّ والنَّعَم، ثمّ يكونُ الصّوفُ والشَّعرُ، ومِنهما يكون اللّباسُ. وكذلكَ يكونُ للفظِ النّزولِ وجهانِ اثنانِ:

- وجهٌ على حقيقتِهِ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا **وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ** إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الروم 24].
- والآخرُ على مجازِهِ كما في قوْلِهِ تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ **وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ** وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ

---

[1] انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م، 44/1.

[2] انظر: ابن جنّي، الخصائص، 444/2.

مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [الحديد 25]. فإنزالُ الحديدِ، على مجازِهِ، يكونُ بالاهتداءِ إليْهِ، فهو مِنَ الأرضِ وغيرُ مُنزَّلٍ مِنَ السّماءِ، وبذلكَ يُحتمَلُ أنْ يكونَ معنى (وأنزلنا) على وجهيْنِ: أحدُهما (أظهرناه)، والآخرُ أنَّ أصلَ الحديدِ مِنَ الماءِ المُنزَّلِ مِنَ السّماءِ، فينعقِدُ في الأرضِ جوهرُهُ حتّى يصيرَ بالسَّبْكِ حديدًا[1].

وثمّةَ لفتةٌ بلاغيّةٌ في قوْلِهِ تعالى: **(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ)** [الأعراف:26] باعثُها حمْلُ المعنى على الحقيقةِ والمجازِ؛ إذ إنَّ تيسيرَ اللّباسِ للنّاسِ إنزالٌ، لِقصدِ تشريفِ هذا المظهرِ، وهو أوّلُ مظاهرِ الحضارةِ، فهو إمّا مُنزَّلٌ على النّاسِ مِن عندِ اللهِ عزّ وجلّ، أو لأنَّ الذي كانَ مِنْهُ على آدمَ نزَلَ بِهِ مِنَ الجنَّةِ إلى الأرضِ التي هو فيها. وأنّ في الإلهامِ إلى استعمالِهِ تحسينًا لمعنى استعارتِهِ؛ تشريفًا لِشأنِهِ[2]. وعليْهِ فإنَّ للحقيقةِ والمجازِ أثرًا جليًّا في فهمِ المعنى القرآنيّ وتوجيهِهِ، وأنَّ هذا الأثرَ يجعلُ للّفظةِ القرآنيّةِ اتّساعًا وحضورًا في الذّهنِ، ويُكسِبُها بلاغةً وبيانًا.

ومِنَ المجازِ الذي علاقتُهُ مسبَّبيّةٌ ما كانَ في لفظِ (رزقًا) في قوْلِهِ تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ**﴾ [غافر 13]؛ إذ إنَّ مِنَ المعلومِ أنَّ ما ينزلُ مِنَ السّماءِ هو الغيثُ أو المطرُ، وأنَّ بهذا الماءِ النّازلِ يكونُ الزّرعُ ثمّ يتحصَّلُ الرّزقُ. وورودُ اللّفظةِ (رزقًا) على مجازِها يستدعي التّأمُّلَ في عظيمِ قدرةِ اللهِ –عزَّ وجلَّ– وفي آياتِهِ الكوْنيّةِ العُلْويّةِ المُحكَماتِ، فكما أنَّ المطرَ يكونُ سببًا في الرّزقِ[3].

وكذلك إنزالُ القرآنِ إنزالَ معانيه بما فيهِ مِن الحلالِ والحرامِ وبيانِ الهدايةِ والإرشادِ للحقِّ. وذلك في قوْلِهِ تعالى: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)** [المائدة 104]. و(ما أَنْزلَ اللهُ) هو القرآنَ. وعَطَفَ (وإلى الرّسولِ)؛ لأنّهُ يُرشِدُهم إلى فَهْمِ القرآنِ. وأُعيدَ حرفُ (إلى)؛ لاختلاف مَعنيَيْ الإقبالِ بالنّسبةِ إلى

---

[1] انظر: الماورديّ، النّكت والعيون، 483/5.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 74/8.

[3] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 243/9.

مُتعلِّقي (تعالَوْا). فإعادةُ الحرفِ قرينةٌ على إرادةِ معنيَيْ (تعالَوا) الحقيقيّ والمجازيّ[1]. وبما أنّ الأمر (تعالوا) يحتملُ المعنييْنِ الحقيقيّ والمجازيّ فإنّه مِن المُحتمَل أنْ يكون الإنزال كذلك.

وقولُهُ تعالى: (وإذا قِيلَ لهم) أي الذين عبَّرَ عنْهُم بأكثرِهم على سبيلِ الهدايةِ والإرشادِ إلى الحقّ: (تعالَوْا إلى ما أَنْزَلَ اللهُ) مِنَ الكِتابِ المُبيّنِ للحلالِ والحرامِ والإيمانِ به (وإلى الرَّسولِ) الذي أُنْزِلَ عليهِ ذلكَ لِتَقِفُوا على حقيقةِ الحالِ وتُمَيِّزُوا الحَرامَ مِنَ الحَلال[2].

ومِن مُثُلِ النّزولِ المُحتمِلِ المجازَ إنزالُ السُّلطانِ، وذلك في قوْلِهِ تعالى: **(أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ)** [الروم 35]. وموضوع الآيات الدّعوةُ إلى إقامةِ الدّينِ الحقّ ونبذِ الشّركِ، وصلةُ الإنسانِ بربّهِ وخالقِهِ، وميلُهُ للفِطرةِ السّليمةِ دينِ التّوحيد. وقولُهُ: (سلطانًا) أيْ: برهانًا وحجةً. فإنّ جعلناهُ حقيقةً كانَ (يتكلّمُ) مجازًا، وإنْ جعلناهُ على حذفِ مضافٍ أيْ: ذا سلطانٍ كانَ (يتكلّم) حقيقةً... و(فهو يتكلّمُ) جوابُ الاستفهامِ الذي تضمّنَتْهُ "أم" المُنقطعة[3].

وفي الآيةِ مَعَ ما قبلَها **(لِيكفروا بِما آتيناهُم فتمتّعوا فسوفَ تَعلمونَ)** [الروم 34] "التفاتٌ مِنَ الخِطابِ إلى الغَيْبَةِ إيذانًا بالإعراضِ عنْهم، وتعديدًا لِجناياتِهم لِغيرهم بطريقِ المُباثّةِ... فالإنزالُ مَجازٌ عنِ التّعليمِ أو الإعلامِ...، وجملةُ (فهو يتكلّمُ) جوابٌ للاستفهامِ الذي تضمّنتْهُ (أم)؛ إذِ المعنى: بَلْ أأنزلنا عليهم سلطانًا"[4]. و"لمّا بكَّتَهُم بقولِهِ: **(هلْ لكُم منْ ما ملكَتْ أيْمانُكم)** [الرّوم 28] ووصلَ بهِ ما تقدّمَ أنّهُ في غايةِ التّواصُلِ، عادَ مُلتَفتًا إيذانًا بالتّهاونِ بِهم إلى مَقامِ الغَيْبَةِ إبعادًا لهم عنْ جنابِهِ حيثُ جلّى لهم هذهِ الأدلةَ واستمرّوا في خطرِ إغضابِهِ بقوْلِهِ: (أَمْ أَنْزَلنا) بِما كنّا مِنَ العَظَمَةِ (عليهم سلطانًا) دليلًا واضحًا قاهِرًا...

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 75/7.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 43/4.

[3] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 46/9.

[4] انظر: الألوسي، روح المعاني، ج11، ص43.

وعبارةُ (بِما كانوا بِهِ يُشركون) تدلُّ على أنّهُم لازموا الشّركَ مُلازَمَةً صيّرتْهُ لهم خَلْقًا لا ينفكّ[1].

ومِن المواضِعِ التي يشتهرُ فيها المجازُ حتّى يصيرَ حقيقةً:

- **قوْلُهُ تعالى: "وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ"** [الشورى 15].
- **وقولُهُ أيضًا: "ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ"** [الشورى 17].

ففي قوْلِهِ: (وقُلْ آمنْتُ بِما أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتابٍ) يعني ذلك الإيمان بِجميعِ الكُتُبِ المُنزَّلَةِ لأنَّ "ما" مِنْ أدواتِ العمومِ، وتنكيرُ (كتاب) المُبيّنُ مؤيّدٌ لِذلكَ، وفي هذا القولِ تحقيقٌ للحقِّ وبيانٌ لاتّفاقِ الكُتُبِ في الأصولِ وتأليفٌ لقلوبِ أهلِ الكتابيْنِ وتعريضٌ بِهم حيثُ لم يؤمِنوا بِجميعِها[2].

أمّا في قولِهِ تعالى: **(اللهُ الذي أَنْزَلَ الكِتابَ)** فالكتابُ "جِنسُ الكِتابِ المعهودِ أو جميعُ الكُتبِ، و(بالحقّ) مُلتبِسًا بالحقّ بعيدًا مِنَ الباطِلِ في أحكامِهِ وأخبارِهِ أو مُلتبسًا بِما يَحِقُّ ويجِبُ مِنَ العقائِدِ والأحكامِ. (والميزان) أيْ العدلَ، أو الشّرعَ الذي يُوزَنُ بِهِ الحقوقُ يُسوّي بينَ النّاسِ، وعلى الوجهيْنِ فيهِ استعارةٌ، ونِسبةُ الإنزالِ إليهِ مجازٌ لأنَّهُ مِن صفاتِ الأجسامِ والمُنْزِلُ حقيقةً مَنْ بَلَّغَهُ، واعتبرَ بعضُهم الأمرَ؛ أيْ أنزلَ الأمرَ بالميزانِ، وتُعُقِّبَ بِأنَّهُ أيضًا مُحتاجٌ إلى التّأويلِ، وقدْ يُقالُ: نِسبةُ الإنزالِ وكذا النّزول إلى الأمرِ مشهورةٌ جدًا فالتحقَتْ بالحقيقةِ، ويجوزُ أنْ يُتَجوَّزَ في الإنزالِ ويُقالُ نحوَ ذلكَ في (أَنْزَلَ الكِتابَ). وقيلَ إنَّ الميزانَ الآلةُ المعروفةُ، وعلى هذا إنزالُهُ على حقيقتِهِ. وجُوّزَ أنْ يكونَ على سبيلِ الأمرِ بِهِ، واستظهَرَ الأوّلَ لِما نقَلَ الزّمخشريّ في الحديدِ أنَّهُ نَزَلَ إلى نوحٍ وأَمَرَ أنْ يُوزَنَ بِهِ، وكَوْنُ المُرادِ بِهِ ميزانَ الأعمالِ بعيدٌ هنا"[3]. وما تضمَّنتْهُ هذهِ الآيةُ الكريمةُ مِنْ أنَّ اللهَ تعالى هو

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 94/15.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 25/13.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 26/13-27.

الذي أَنْزَلَ الكِتابَ والميزانَ أوضحَهُ في غيرِ هذا الموضِعِ، كقوْلِهِ تعالى في سورةِ الحديدِ: (لقد أرسلْنا رُسُلَنا بالبيّناتِ وأنْزلنا مَعَهُمُ الكِتابَ والميزانَ لِيقومَ النّاسُ بالقِسْطِ) [الحديد 25][1].

وثمّة وجهٌ آخرُ في هذا المبحث، وهو أن يأتي حرفُ الجرّ "في" المتعلّقِ بالفعلِ (أنزل) بينَ الظّرفيّةِ الحقيقيّةِ والظّرفيّةِ المَجازيّةِ، وذلك في قوْلِهِ تعالى: "**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**" [يونس 94]، "تفريعٌ على سِياقِ القِصَصِ التي جعلَها اللهُ مثلاً لأهلِ مكّةَ وعِظَةً بما حلَّ بأمثالِهم. والمُرادُ مِنْهُ (ما أنْزَلنا) هوَ المُنزَّلُ الذي تفرّعَ عليهِ هذا الكلامُ وهو ما أنْزلَ في هذه السورةِ مِنْ القصص". ثمّ إنّ الآيةَ تحتملُ معنييْنِ لا يستقيمُ ما سِواهُما، أوّلُهُما أنْ تبقى الظّرفيةُ التي دلّتْ عليها (في) على حقيقتِها، ويكون الشّكُّ قدْ أُطلِقَ وأُريدَ بهِ بينَ أصحابِهِ، أيْ: فإذا كنتَ مِنْ قومٍ أهلِ شكٍّ ممّا أنزلناه إليك يشكّونَ في وقوع هذهِ القصصِ... والآخرُ أنْ تكونَ (في) للظرفيّةِ المجازيّةِ كالتي في قولِهِ تعالى: (فلا تكُ في مِريةٍ ممّا يعبدُ هؤلاءِ) هود: 109، ويكونُ سَوْقُ هذهِ المُحاورةِ في نفوسِهم أمْكَنَ ممّا لو أُلقِيَ إليهم مواجَهَةً وهذهِ طريقةٌ في الإلقاءِ التّعريضيّ..."[2].

وفي قولِهِ عزّ وجلّ: **(فإنْ كُنْتَ في شكٍّ ممّا أنْزلنا إليكَ)** خطابٌ مِن اللهِ لنبيّهِ يقولُ: إنْ كنتَ يا محمّد في شكٍّ ممّا أنْزلنا إليكَ، فيهِ وجهانِ: أحدُهما: في شكٍّ أنّكَ رسولٌ. والآخرُ: في شكٍّ أنّكَ مكتوبٌ عِنْدَهم في التّوراةِ والإنجيل[3].

ويحدثُ المجازُ بالتّشبيهِ، ففي إنزالِ الماءِ مَثَلٌ عظيمٌ يُستدَلُّ بهِ على الإيمانِ الذي هو في القلوبِ، ويزيدُ بالاهتداء وينمو كما ينمو الزّرعُ بسقيهِ، ومِن ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [الزّمر 21]. وفي هذا الموضِعِ إعلاءُ شأنٍ للقرآنِ الذي هو أصلُ الهدى والإيمان، "فمثَّلَتْ حالةُ إنزالِ القُرآنِ

---

[1] انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، 65/7.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 285/11.

[3] انظر: الماوردي، النكت والعيون، 450/2.

واهتداءِ المؤمنينَ بِهِ والوعدِ بِنَماءِ ذلكَ الاهتداءِ، بِحالَةِ إنْزالِ المَطَرِ ونباتِ الزّرعِ بِهِ واكتمالِهِ. وهذا التّمثيلُ قابِلٌ لِتَجزِئَةِ أجزائِهِ على أجزاءِ الحالَةِ المُشبَّهِ بِها: فإنْزالُ الماءِ مِنَ السّماءِ تشبيهٌ لِإنزالِ القُرآنِ لِإحياءِ القُلوبِ، وإسلاكُ الماءِ ينابيعَ في الأرضِ تشبيهٌ لِتبليغِ القُرآنِ للنّاسِ، وإخراجُ الزّرعِ المُختلفِ الألوانِ تشبيهٌ لِحالِ اختلافِ النّاسِ مِنْ طيّبٍ وغيرِه، ونافِعٍ وضارٍّ، وهِياجُ الزّرْعِ تشبيهٌ لِتكاثُرِ المُؤمنينَ بيْنَ المُشركينَ"[1]. وهذا ما يُستدلُّ بِهِ تمثيليًّا في سياقِ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) ومشتقاته.

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 376/23.

المَبْحَثُ الثّاني

دلالاتُ مُشتقّاتِ "نزل" في سياقِها التَّركيبيّ

وهذا مَبْحَثٌ أساسُهُ التّعالُقُ بينَ مستوياتِ الدّرسِ اللُّغويّ؛ فلا شكَّ أنّ ثمّةَ ترابطًا وثيقًا بينَ المستوياتِ اللّغويّةِ، ولا سيّما المستويْنِ الصّرفيّ والتّركيبيّ، وربّما تكونُ دراسةُ مستوًى مِنَ المستوياتِ أساسًا لدراسةِ مستوًى آخرَ، وإنْ كانَ كُلُّ مستوًى لغويٍّ يُشكّلُ نظامًا في ذاتِهِ. "فالواقِعُ أنّ هذهِ النّظمَ تصبُّ في نظامٍ واحدٍ مُتناسِقٍ متكاملٍ وهو النّظامُ اللّغويّ **(linguistic system)**، وهو النّظامُ الذي يصلُ بينَ هذهِ النُّظمِ جميعًا رغمَ استقلالِها الظّاهريّ"[1].

ويذكرُ الباحثُ بعضَ تجلّياتِ العلاقةِ بينَ المستويْنِ الصّرفيّ والتّركيبيّ مِن وجوهٍ مخصوصةٍ ممثّلةٍ تُبرِزُ دلالاتِ مشتقّاتِ "نزل" في سياقِها التّركيبيّ، وهي على النّحوِ الآتي:

أولًا– تعالقُ البنيةِ الصّرفيّةِ بالوظيفةِ النّحويّةِ.

ثانيًا– العدولُ عن صيغةٍ صرفيّةٍ إلى أخرى.

ثالثًا– اللّواصِقُ التّصريفيّةُ.

رابعًا– تعدُّدُ الإعرابِ مِن جهةِ تعدُّدِ القراءاتِ.

وما ينتجُ عن هذهِ الوجوهِ المخصوصةِ مِن تعدُّدِ المعنى أو المعاني وتوجيهِها.

فأمّا **تعالقُ البنيةِ الصّرفيّةِ بالوظيفةِ النّحويّةِ** فمِن صُورِهِ أنْ يكونَ للبنيةِ الصّرفيّةِ دورٌ في تحديدِ الإعرابِ أو الوظيفةِ النّحويّةِ، ويعتمدُ ذلكَ على الشّروطِ الصّرفيّةِ لكلِّ بابٍ نحويٍّ، فمثلًا "(المصدر) بنيةٌ صرفيّةٌ مرتبطةٌ بوظائفَ نحويّةٍ مخصوصةٍ كالمفعولِ المطلَقِ والمفعول لأجلِهِ، و(المشتقّ) بنيةٌ صرفيّةٌ مرتبطةٌ بالحالِ والنّعتِ والخبرِ، بينما يرتبطُ

[1] انظر: حلمي خليل، مقدّمة لدراسةِ علمِ اللّغة، ط2، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، 2003م، ص29.

(الجامدُ) بعطفِ البيانِ والبدلِ والتّمييزِ والمفعولِ المُطلَقِ والمفعولِ لأجلِهِ[1]. ومِن مُثُلِ ذلكَ في سياقِ الجذر (ن ز ل) قوْلُهُ تعالى: ﴿**نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾ [فصلت 31–32]؛ ففي قوْلِهِ (نُزُلًا) أوجهٌ ثلاثةٌ:

أحدُها: أنّهُ منصوبٌ على الحالِ مِن الموصولِ، أو مِن عائِدِهِ. والمرادُ بالنُزُلِ الرّزقُ المُعَدُّ للنّازلِ كأنَّهُ قيلَ: ولكم فيها الذي تدّعونه حالَ كوْنِهِ مُعدًّا.

والثّاني: أنّهُ حالٌ مِن فاعل "تدّعون"، أو مِن الضّميرِ في "لكم" على أنْ يكونَ (نُزُلاً) جمعَ (نازل)؛ كصابر وصُبُر، وشارف وشُرُف.

والثّالثُ: أنّهُ مفعولٌ مُطلَقٌ، وقيلَ: هو مصدرُ أنْزَلَ[2].

أمّا ما يراه الباحثُ فيما سبقَ، فهو أنَّ تعدُّدًا في المعاني النّحويّةِ أفضتْ إليْهِ الصّيغةُ الصّرفيّةُ؛ ذلكَ أنَّهُ لمّا جُعِلَ (النُّزُل) بمعنى ما يُقدّم للضّيفِ كانت وصفًا لحال المتقدّم الذي يتبدّى منه حال المقدَّم إليه، ذلك أنّ (نُزُلاً) في موضع الحال التي تعدّد صاحبها، فهي إمّا حالٌ مِن الموصولِ (المقدّم)، وإمّا حالٌ مِن فاعل (تدَعون) وهو بمكانة المقدَّم إليه.

ومِن مُثُلِ ذلكَ أيضًا قوْلُهُ تعالى: ﴿**لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ**﴾ [آل عمران 198]؛ إذ يُستعمل (نُزُلًا) بمعنى الزّاد مطلقًا، ويكون جمعًا بمعنى النّازلين كما في قولِ الأعشى:

"قالوا الرُّكوبَ! فقُلنا تلكَ عادَتُنا أو ينزلونَ فإنّا مَعشَرٌ نُزُلُ"[3]

---

[1] انظر: لطيفة إبراهيم النجّار، دور الأبنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، ص192 وما بعدها.

[2] انظر: السّمين الحلبي، الدرر المصون، 526/9.

[3] انظر: الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، شرح وتعليق محمد محمد حسين، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص113.

وكذا يجوزُ أنْ يكونَ مصدرًا؛ إذ قيلَ: وأصلُ معنى النُّزُل مفردًا الفضلُ والرّيعُ في الطّعام، ويُستعارُ للحاصِلِ عن الشّيء[1]. أمّا لفظُ (نُزُلًا) فيقعُ في مستوًى تركيبيٍّ حمّالٍ لأوجهٍ تتعالقُ في الكشفِ عنها البنيةُ الصّرفيّةُ والوظيفةُ النّحويّةُ، وهي إمّا أنْ تكونَ:

- مُخصّصةً بالوصفِ، فتكونَ حالًا على إفرادها، وذلك "بِجعلِ الجنةِ نفسها نُزُلًا، أو بتقديرِ مضافٍ؛ أي ذات نُزُلٍ"[2]، أو تكونَ حالًا مِن الضّميرِ في **(خَٰلِدِينَ)** لِكوْنها جمعًا بمعنى (نازلينَ).
- مصدرًا، فتكونَ مفعولًا مُطلَقًا على تقديرِ معنى (نزولًا)، "وجُوّزَ على تقديرِ مصدريّتِهِ أنْ يكونَ بمعنى المفعولِ، فيكونَ حالًا مِنَ الضّميرِ المجرورِ في **(فيها)**؛ أي منزولة"[3].

ويخلُصُ الباحِثُ ممّا سبقَ مِن تأويلاتٍ إلى نتيجةٍ مفادُها أنّ تعالقًا صرفيًّا تركيبيًّا في قوْلِهِ تعالى: ﴿**لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ**﴾ [آل عمران 198]، عِمادُهُ الصّيغةُ الصّرفيّة الاسميّةُ (فُعُل)، يُفضي إلى ثلاثِ شُعبٍ في الدّلالةِ المُعجميَّةِ مُحتمَلةٍ، وهي:

أوّلًا– أنّ (نُزُل) اسمٌ بمعنى ما يُعدُّ للضّيفِ أوّلَ نُزولِهِ مِن طعامٍ وشرابٍ.

ثانيًا– أنّ (نُزُل) جمعٌ بِمعنى نازلين.

ثالثًا– أنّ (نُزُل) مصدرٌ، ومعناهُ الفضْلُ والرّيْعُ في الطّعام.

وقد عبّرَ النّحاةُ العربُ عنِ الوظيفةِ النّحويّةِ من خلالِ استخدامِ لفظِ "المعاني"؛ ليُعبّروا عنِ المعاني النّحويّةِ التي تعتورُ الألفاظَ في التّركيبِ، وذلكَ نحوَ ما قالَهُ الجرجاني: "إذ كانَ قد عُلِمَ أنَّ الألفاظَ مغلقةٌ على معانيها حتّى يكونَ الإعرابُ هو الذي يفتحُها، وأنَّ الأغراضَ كامنةٌ فيها حتى يكونَ المُستخرِجَ لها"[4]. ومِن ذلكَ يكونُ للنّظمِ أو للتّركيبِ

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 382/2.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 382/2.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 382/2.

[4] انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص28.

مقبولتانِ: "مقبولةٌ نحويّةٌ مرتبطةٌ بوظيفةِ الكلمةِ في التّركيبِ، وتعتمدُ البنيةَ الصّرفيّةَ أساسًا لها، ومقبولةٌ دلاليّةٌ مرتبطةٌ بمقدرةِ المتكلّمِ على التّبليغِ وبعمليةِ التّواصلِ بينَ المتكلّمينَ"[1]. فالمعاني –إذن– تتعالقُ كما تتعالقُ المستوياتُ اللّغويةُ في أداءِ الحدثِ اللّغويّ، وينشأ عن هذا التّعالُقِ تعدُّدٌ في المعنى الوظيفيّ للكلمةِ.

وينتجُ تعدُّدُ المعنى الوظيفيّ للبنيةِ الصّرفيّةِ الواحدةِ في التّركيبِ عن أمورٍ منها الاشتراكُ في الشّروطِ الصّرفيّةِ بينَ الأبوابِ النّحويّةِ؛ إذ "باشتراكِها تطابقٌ في الحالةِ الإعرابيّةِ ينشأُ عنهُ ارتدادُ البنيةِ الصّرفيّةِ إلى عدّةِ معانٍ نحويّةٍ، كلُّها صحيحةٌ، ممّا يؤدّي إلى تعدُّدِ الأوجُهِ الإعرابيّةِ لها"[2]. ومِن مُثُلِ ذلكَ في سياقِ الجذر (ن ز ل) التّركيبيّ ما كانَ في صيغةِ "مفاعل– منازل"، وصيغةِ "تفعيل– تنزيل".

ففي صيغةِ (مَنازِل) ميمٌ سابقةٌ وألفٌ داخلةٌ للدّلالةِ على جمعٍ مِنَ جموعِ الكثرةِ في اللّغةِ على وزنِ (مَفاعِل)، ولهذهِ الصّيغةِ الصّرفيّةِ دورٌ في تحديدِ الوظيفةِ النّحويّةِ، وربّما تؤدّي إلى تعدُّدٍ في المعنى في سياقِهِ التّركيبيّ، ومِن ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [يونس 5]. فالبنيةُ الصّرفيّةُ في (مَنازِل) تُفضي إلى تعدُّدٍ في المعنى الوظيفيّ؛ ذلكَ أنّهُ يُحتمَلُ نصبُها على الظّرفيّةِ المكانيّةِ على تقديرِ: قدّرَ مَسيرَهُ، أو نصبُها على المفعول بهِ الثّاني على تضمينِ (قدَّرَ) معنى: صيَّرَهُ ذا مَنازِلَ بالتّقدير[3].

وفي صيغةِ (تفعيل) المشتقّةِ مِنَ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) لفتةٌ عجيبةٌ أساسُها التّعالُقُ اللّغويُّ الصّرفيّ والتّركيبيّ؛ ذلك أنَّ هذهِ الصّيغةَ استدعتْ تعدُّدًا في أوْجُهِ الإعرابِ، ومنْ مُثُلِ ذلك قوْلُهُ تعالى: ﴿**إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ* تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى**﴾ [طه

---

[1] انظر: لطيفة إبراهيم النجّار، دور الأبنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، ص160 وما بعدها.

[2] انظر: لطيفة إبراهيم النجّار، دور الأبنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، ص204 وما بعدها.

[3] انظر: السّمين الحلبي، الدّر المصون، 153/6.

3-4]. ففي نصبِ قوْلِهِ: {تَنزِيلًا} أوجهٌ: "أحدُها أنْ يكونَ بدلًا مِنْ (تذكرةً) إذا جُعِل حالًا لا إذا كان مفعولًا له؛ لأنَّ الشيءَ لا يعَلَّلُ بنفسِه؛ إذ يصيرُ التقديرُ: ما أنزَلْنا القرآنَ إلاَّ للتنزيل. والثّاني أنْ ينتصبَ بـ(نزَّل) مضمرًا. والثّالث أنْ ينتصبَ بـ(أَنْزَلْنا)؛ لأنَّ معنى ما أنزلناه إلاَّ تذكرةً: أنزَلْناه تذكرةً. والرّابع أنْ ينتصبَ على المدحِ والاختصاصِ. والخامس أنْ ينتصبَ بـ(يخشى) مفعولًا به، أي: أنزله للتّذكرةِ لمَنْ يخشى تنزيلَ الله، وهو معنى حسنٌ وإعرابٌ بيّن"[1]. ويُلاحِظُ الباحِثُ في هذا المَوْضِعِ أنَّ البنيةَ الصّرفيّةَ للمصدرِ (تفعيل: تنزيل) ارتبطتْ بوظائفَ نحويّةٍ مخصوصةٍ، ومنها البدليّةُ والمفعوليةُ، وهذا ما يبيّنُ دورَ البنيةِ الصّرفيّةِ في تحديدِ الإعرابِ وتعدُّدِهِ.

ومِن وجوهِ الإعرابِ في الفعلِ "أنزل" ما كانَ مُشتركًا في الوظيفةِ النّحويّةِ بينَ الخبرِ والصّفة، وذلك في قوْلِهِ تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف 2]، إذ يُحتمَلُ في قوْلِهِ تعالى: **(أُنزِلَ إِلَيْكَ)** أنْ يكونَ:

- خبرًا للمبتدأ **(كِتَٰبٌ)**.
- صفةً للخبرِ **(كِتَٰبٌ)**، ويكونُ المبتدأُ محذوفًا تقديرُهُ هو أو ذلكَ.

وينشأُ عنِ الوجهيْنِ السّابقيْنِ اتّساعٌ في الدّلالةِ المُودَعِ فيها الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل) في المستوى التّركيبيّ؛ ذلكَ أنَّ (الكتاب)، وهو القرآنُ العظيم، أُنزِلَ إليْهِ -صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ- وإنزالُهُ "صفةٌ مُشرَّفةٌ لِقَدْرِهِ وقَدْرِ مَنْ أُنزِلَ إليْهِ، والتّوصيفُ بالماضي إنْ كانَ الكتابُ عبارةً عنِ القرآنِ عنِ القَدْرِ المُشترَكِ بيْنَ الكُلِّ والجُزءِ ظاهرٌ إنْ كانَ المجموعُ فلِتحقُّقِهِ جُعِلَ كالماضي"[2]، وهذا ما يدلُّ عليْهِ وجْهُ إعرابِ (أُنزِلَ) الثّاني، أمّا ما يدلُّ عليْهِ الوجهُ الأوّلُ، وهو أنْ يكونَ (أُنزِلَ) للمبتدأ (كتابٌ) خبرًا وتعريفًا وتشريعًا؛ ذلكَ أنَّهُ جاءَ مِنْ جهةِ العلوّ **(أُنزِلَ إِلَيْكَ)**؛ يُطمئِنُ قلبَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، ويكونُ لهُ منهجًا وصراطًا

[1] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 11/8.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 317/4.

مُستقيمًا، فالخبرُ هنا بِمثابةِ الإنذارِ، ويعضُدُهُ قولُهُ تعالى: **(فَلَا يَكُن فِى صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ)**.

وأمّا **العدولُ عن صيغةٍ صرفيّةٍ إلى أخرى**، فَمِن أسرارِهِ التّوكيدُ والمُشاكلةُ والمُشابهةُ والحَمْلُ على اللّفظِ أو المَحلّ والتوسّعُ في الكلامِ والخفّةُ والإيجازُ... ومِن أنواعِ العدولِ التّركيبيّ –صرفًا ونحوًا– **العدولُ في الإعراب**؛ ومِنهُ العدولُ عن الرّفعِ إلى الجرّ وعكسُهُ، والعدولُ عن النّصبِ إلى الجرّ وعكسُهُ، والعدولُ عن النّصبِ إلى الرّفعِ وعكسُهُ، وغيره. و**العُدولُ في الحروفِ**؛ ومِنهُ ما كانَ عدولًا في رتبةِ حروفِ المباني، ومِنهُ ما كانَ في استعمالِ حروفِ المعاني. و**العدولُ في المباني**؛ حيثُ عدولاتُ الأسماءِ مِن مثلِ وقوعِ المفردِ موقعَ المُثنّى وعكسه، ووقوعِ المفردِ موقعَ الجمعِ وعكسه، وكذلك عدولات الأفعال مِن مثلِ العدول عن الماضي إلى المضارع وعكسه، ومِنهُ أيضًا العُدولُ في الصّيغ، ومن ذلكَ العدولُ عن "مُفَعِّل" صيغةِ اسم الفاعلِ من غيرِ الثلاثيّ إلى "فاعل"، والعدولُ عن "فعيلة" إلى "فاعل"... وغيره. وثمّةَ نوعٌ من **العدولِ في التّراكيب**؛ ومِنهُ عدولاتُ الإنشاءِ والخبر، والعدولُ عن الجملةِ الفعلية إلى الاسميّة، والعّدولُ عن الضّميرِ إلى الظّاهر[1].

وما يهمّنا في هذا المبحثِ تتبّعُ أثرِ العدولِ صرفيًّا، مِنْ جِهةِ المباني والصّيغ، في توجيهِ المعنى النّحويّ وتعدّده، وذلك في سياقِ الجذر (ن ز ل) وبعض الشواهدِ القرآنيةِ الممثّلةِ. فالعدول إنّما قصدتْ بهِ العربُ صرفَ الكلامِ عنْ وجهِهِ الذي كانَ لهُ سواءٌ أكانَ ذلكَ الصّرفُ في الحركاتِ إعرابًا أو في الأصوات أو في المباني أو في التّراكيب. ففي قولِهِ تعالى: ﴿**أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ**﴾ [الحج 63] عدولٌ عنْ صيغةِ الماضي إلى المضارع، وذلك في قولِهِ عزّ وجلّ (فتُصبِحُ) بعدَ

[1] انظر: محمّد إبراهيم عبد السّلام، ظاهرة العدول في اللّغة العربيّة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1989م، ص20 وما بعدها.

قولِهِ (أَنْزَلَ)؛ "مُعبّرًا بالمُضارعِ تنبيهًا على عَظَمَةِ النّعمةِ بِطولِ زمانِ أثرِ المَطَرِ وتجدّدِ نَفْعِهِ"[1].

وأمّا **اللّواصِقُ التّصريفيّةُ** فلها أثرٌ في تعدُّدِ المعاني؛ ومنها السّوابقُ والدّواخلُ واللّواحِقُ. أمّا السّوابقُ فهي التي تُضافُ أوّلَ بنيةِ الكلمة مِن مثلِ أحرفِ المُضارَعَةِ. وأمّا الدّواخلُ فتتوسّطُ الكلمةَ أو البِنيةَ الصّرفيّةَ مِن مثلِ التّضعيف. وأمّا اللّواحق فتُضافُ إلى نهايةِ البِنية كحالةِ الإضافةِ في المثنّى وجمعِ المذكّرِ السّالمِ وجمعِ المؤنثِ السّالمِ، وحالةِ التأنيث على نحوِ إضافةِ التاء مثلًا. ولا شكّ أنّ لهذهِ اللّواصقِ التّصريفيّةِ أثرًا جليًّا في العلاقةِ بينَ المستويْنِ: مستوى البنيةِ ومستوى الجملةِ؛ لفظًا ومعنًى أولًا، وفي تعدّدِ المعاني في السّياقِ ولا سيّما السياق القرآنيّ الشّريف ثانيًا.

وللّواصقِ التّصريفيّةِ دلالةٌ تركيبيّةٌ تتشكّلُ بإضافتها إلى الجذر اللّغويّ، وبهذه الإضافةِ يحدثُ تغييرٌ في بِنيةِ الكلمةِ (المفردة)، وهو "ممّا يهتمُّ بهِ علمُ الصّرفِ ويؤسّسُ لهُ صنوُهُ علمُ النّحو في تحديدِ وظيفةِ البِنيةِ في التّركيبِ اللّغويّ؛ وبذلك تكونُ اللّواصقُ التّصريفيّةُ هي التي تُحدّدُ الفصائلَ النّحويّةَ التي تُشكّل منها"[2]، إلى جانبِ أنّ "لها دلالاتٍ ملموسةً، أو قيمةً لغويّةً صرفيّةً دلاليّةً"[3].

وعليهِ، يمكنُ القولُ إنّ للواصقِ التّصريفيّةِ دوريْنِ رئيسيْنِ: أحدُهما أنّها تقومُ بوظائفَ نحويّةٍ محدّدةٍ، والآخرُ أنّها تقومُ بوظائفَ صرفيّةٍ بنائيّةٍ، وعلى هذينِ الدّوريْنِ مدارُ تحقّقِ الدّلالتيْنِ: التّركيبيّة والبنائيّة.

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدّرر، 82/13.

[2] انظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، ص53 وما بعدها.

[3] انظر: فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، 1985م، ص219 وما بعدها.

والباحثُ في هذا المبحثِ ليسَ بصددِ تناول اللواصقِ التّصريفيّةِ كلّها، إنّما سيعرِضُ لشواهدَ قرآنيّةٍ في سياقِ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل)، وما شابهه في الاشتقاق والإلصاق. وذلكَ مِن خلالِ اللّاصقتيْنِ الصّرفيّتيْنِ الآتيتيْنِ:

أ. السّابقةُ التّصريفيّةُ "الميم".

ب. الدّاخلةُ أو المُقحَمَةُ التّصريفيّةُ "التّضعيف".

أ. السّابقةُ التّصريفيّةُ "الميم"

تُعَدُّ "الميم" مِنَ اللّواصقِ السّوابقِ التّصريفيّةِ التي لها دلالاتٌ بنائيّةٌ ذاتُ معنًى أو معانٍ مُتعدّدة، وتقومُ بوظائفَ نحويّةٍ كالفاعليّةِ والمفعوليّةِ. وبناؤها بإلصاقِ الميم المضمومةِ ببنيةِ "فَعَلَ" بعد تغيير المُصوّتِ الفائيّ مِن الفتحةِ إلى السكون وتغيير المُصوّتِ العَيْني مِن الفتحةِ إلى الكسرةِ للدّلالةِ على الفاعليّةِ، وبعد تغيير المصوّت الفائي من الفتحةِ إلى السكون للدّلالةِ على المفعوليّة. ويُصاغُ البناءانِ مِن غير الثلاثيّ[1].

ومِن مُثُلِ ذلكَ في سياقِ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في التّنزيلِ العزيزِ قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ**﴾ [المؤمنون 29]، ففي لفظِ **(مُنزَلًا)** مشترَكٌ صرفيٌّ باعثُهُ تناوُبُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ المُلصَقةِ بالسّابقةِ التّصريفيّةِ "الميم" واشتراكُها بينَ أنْ تكونَ مصدرًا ميميًّا وأنْ تكونَ اسمَ مكانٍ. ومِنَ المعلومِ أنَّ صيغةَ (مُنزلًا) تأتي أيضًا اسمَ مفعولٍ مِنَ الفعلِ (أنزلَ) الذي يقتضي مجرورًا بعدَهُ، كأنْ تقولَ: هذا بيتٌ مُنزَلٌ فيهِ. واسمُ المفعولِ هنا وجهٌ ثالثٌ مِن وجوهِ الاشتراكِ الصّرفيّ. ولعلَّ في تعدُّدِ القراءةِ فضْلَ بيانٍ لهذهِ الوجوهِ؛ إذ "قرأَ الجمهورُ (مُنزَلًا) بِضمِّ الميمِ وفتْحِ الزّايِ، وهو اسمُ مفعولٍ مِن (أنْزلَهُ) على

[1] انظر: عبد الصّبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص115-116.

حذفِ المجرورِ، أي: مُنزَلًا فيهِ. ويجوزُ أنْ يكونَ مصدرًا، أي: إنزالًا مُباركًا. والمعنيانِ متلازمانِ. وقرأَهُ أبو بكرٍ عنْ عاصمٍ بِفَتْحِ الميمِ وكَسْرِ الزّايِ، وهو اسمٌ لِمكانِ النُّزولِ"[1].

وقدْ جاءتِ الآيةُ الكريمةُ السّابقةُ في سياقِ الحديثِ عن سفينةِ نوحٍ –عليْهِ السّلامُ– بعدما نجّاهُ اللهُ تعالى ومَنْ معهُ مِنَ القوْمِ الظّالمينَ؛ يقولُ تعالى: ﴿**فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ**﴾ [المؤمنون 28–29]. ولمّا أشارَ لهُ بهذا القوْلِ إلى السّلامةِ بالحمْلِ أتبعَهُ الإشارةَ إلى الوعدِ بإسكانِ الأرضِ بعدَ إسكانِهِ ومَنْ معَهُ مِنَ المؤمنينَ الفُلكَ إسكانًا مُباركًا وأهلًا لأنْ يَثْبُتَ فيهِ أو بِهِ[2]. ولذلكَ احتملتِ الصّيغةُ الصّرفيّةُ (مُنزَلًا) أنْ تكونَ اسمَ مفعولٍ ومصدرًا واسمَ مكانٍ.

وباعِثُ تناوُبِ الصّيغِ الصّرفيّةِ واشتراكُها مِن بواعِثِ المُشتركِ الصّرفيّ، وهو جليٌّ في التّنزيلِ العزيزِ، فمِن ذلكَ الاشتراكُ الصّرفيُّ الحاصلُ في لفظِ (مستقَرّ) في قوْلِهِ عزّ وجلّ: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ [البقرة 36]، إذ جاءتْ على وزنِ (مُستفعَل) واحتملتْ معانيَ صرفيّةً:

- اسمَ الزّمانِ؛ زمانِ الإقامةِ والاستقرارِ.
- واسمَ المكانِ؛ مكانِ الإقامةِ والاستقرارِ.
- وحَدَثَ الإقامةِ ذاتَهُ[3]. وقد أتى الباحثُ على المواضِعِ القرآنيّةِ السّابقةِ؛ ليدعمَ أوّلًا مقولةَ أنَّ الصّيغَ الصّرفيّةَ تتناوَبُ وتشترِكُ، ويُغني ثانيًا مادّةَ بحثِهِ المُودَعةَ في سياقِ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في التّنزيلِ العزيز.

---

[1] انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 328/2. وانظر: ابن عاشور، التّحرير والتنوير، 48/18.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، 134/13.

[3] انظر: مهدي عرار، المشترك اللغوي في القرآن الكريم، ص65 وما بعدها.

ب. الدّاخلة أو المُقحَمة التّصريفيّة "التّضعيف"

والتّضعيفُ لاصقةٌ مِنَ اللّواصقِ التّصريفيّةِ داخلَ البِنيةِ، وتلتصقُ بالأفعالِ؛ للقيامِ بوظائفَ نحويّةٍ، ويؤدّي دخولُها إلى تغييرِ المعنى وأحيانًا تعدّده. ومِن الوظائفِ التي تقومُ بها هذهِ اللّاصقةُ أنّها تصرِفُ بنيةَ الفعلِ مِنَ اللّزومِ إلى التّعدّي، وهي بمنزلةِ لاصقةِ الهمزة نحو: فَرِحَ وفرّحْتُهُ، وكَذَبَ وكَذّبْتُهُ، وإنْ شئتَ قُلْتَ: أَفْرَحْتَهُ وأَكْذَبْتَهُ[1].

ومِنَ الشّواهدِ الدّالّةِ المُعجِبةِ على معنى التّعدية الآتي مِنْ صيغتيْ (أَفْعَلَ) و(فَعَّل) ما يلفتُ إليهِ السّيوطي مِن إعجازٍ وبيانٍ بقولهِ: "وقدْ قُلْتُ في إعجازِ القرآنِ وجهًا ذهبَ عنهُ النّاسُ، وهو صنيعُهُ في القلوبِ وتأثيرُهُ في النّفوسِ... إذا قَرَعَ السّمْعَ خَلُصَ لهُ القلبُ مِنَ اللّذةِ والحلاةِ. قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر 21]. وقال أيضًا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الزمر 23][2]. وفي قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿**وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ**﴾ [محمد 20] فضلُ بيانٍ مُحكَمٍ في أنّ "أنزل" بلاصقةِ الهمزة تعني النّزولَ جملةً واحدةً.

أما "نزّل" بلاصقةِ التّضعيفِ فصيغةٌ تُفيدُ التدرُّجَ بالنّزولِ، ومِن ذلك قولُهُ تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ**﴾ [آل عمران 3]. أمّا قوله: (لولا نُزّلت سورة فإذا أُنزلت) فذكرَ في الأولى "نُزّلَ" وفي الثانية "أُنزِلَ"؛ "تنبيهًا أنّ المُنافقينَ يقترحونَ أنْ ينزلَ شيءٌ فشيءٌ في الحثِّ على القتالِ ليتولّوْه، وإذا أُمِروا بذلكَ مرةً

---

[1] انظر: سيبويه، الكتاب، 55/4. وانظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، 65/7.

[2] انظر: السيوطي، الإتقان، 121/2-122.

واحدةً تحاشوا منهُ فلمْ يفعلوه، فهم يقترحونَ الكثيرَ ولا يفونَ منهُ بالقليل"[1]. وعليهِ نُلاحظُ أنّ للسّياقِ الشّريفِ دورًا في تناسُبِ الصّيغةِ الصّرفيّةِ المذكورةِ دونَ غيرِها؛ إذ فيهِ حِرصٌ مِن المؤمنينَ على فريضةِ الجهادِ التي هي سنامُ العملِ، ولها مِن الثّوابِ الجزيلِ الشيءُ العظيم. وبسببِ حرصِهمُ الشّديدِ قالوا: (لولا نُزّلتْ سورةٌ). أي: هلّا أُنزلتْ سورةٌ يُؤمَرُ فيها بالجهادِ، فلولا: تحضيضيّة. (فإذا أُنزِلتْ سورةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فيها القتال) أي: بطريقِ الأمرِ، والمُرادُ بـ"مُحكَمة" مبيّنة لا تشابُهَ ولا احتمالَ فيها لوجهٍ آخرَ سوى وجوبِ القتالِ[2].

وأمّا **تعدُّدُ الإعرابِ مِن جهةِ تعدُّدِ القراءاتِ** فمنْهُ ما كانَ في صيغةِ (أفعلَ: أنزل)، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: **(مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ)** [طه 2]؛ إذ في قوْلِهِ: (أنْزَلْنا) قراءةُ العامّةِ (الجمهور)، وقَرَأَ طلحةُ "ما نُزِّلَ" مَبنيًّا للمفعولِ. ورُفِعَ "القرآنُ" لِقيامِهِ مقامَ فاعِلِهِ. وهذهِ الجُملةُ يجوزُ أنْ تكونَ مُستأنَفَةً إنْ جُعِلَتْ "طه" تعديدًا لأسماءِ الحُروفِ، ويجوزُ أنْ تكونَ خبرًا لـ"طه" إنْ جعَلْتَها اسمًا للسُّورةِ ويكونُ القرآنُ ظاهرًا واقعًا موقِعَ المُضمَرِ؛ لأنَّ "طه" قرآنٌ أيضًا. ويجوزُ أنْ تكونَ جوابَ قسَمٍ إنْ جَعَلْتَ "طه" مُقسمًا بِهِ[3]. وبهذهِ الأوجُهِ الآتيةِ مِن تعدُّدِ القراءةِ يكونُ تعدُّدُ الإعرابِ.

ومِن مُثُلِ تعدُّدِ القراءاتِ الذي يُفضي إلى تعدُّدِ المعاني النّحويّةِ قوْلُهُ تعالى: **(سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** [النور 1]؛ إذ يجوزُ في رفعِ (سورةٌ) وجهانِ: أحدُهما أنْ يكونَ مبتدأ والجُملةُ بعدَها صفةٌ، والصّفةُ مُسوّغُ الابتداءِ بالنّكرةِ. وفي الخبر وجهانِ: أنّهُ الجملةُ مِنْ قولِهِ (الزّانيةُ والزّاني). والمعنى: السُّورةُ المُنَزّلةُ المَفروضَةُ كذا وكذا؛ إذ السّورةُ عبارةٌ عنْ آياتٍ مسرودةٍ لها بدءٌ وختمٌ". والآخرُ: أنَّ الخبرَ محذوفٌ أيْ: فيما يُتلى عليْكُم سورةٌ أو فيما أنْزلنا سورةٌ. و"قرأَ العامّةُ بالرّفْعِ على ما تقدَّمَ. وقرأَ الحَسَنُ بنُ عبدِ العزيزِ وعيسى الثّقفيّ وعيسى الكُوفيّ ومُجاهد وأبو حيوة "سورةً" بالنّصبِ"[4]. وفيها أوجهٌ:

---

[1] انظر: الرّاغب الأصفهاني، مفرداتُ ألفاظ القرآن، ص800.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 66/26.

[3] انظر: السّمين الحلبي، الدر المصون، 7/8.

[4] انظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 408/1.

أحدُها أنّها منصوبةٌ بفِعْلٍ مُقدّرٍ غيرِ مُفسّرٍ بِما بَعْدَهُ تقديرُهُ: اتلُ سورةً أو اقرأْ سورةً، والثّاني أنّها منصوبةٌ بفِعلٍ مُضمَرٍ يفسّرُهُ ما بعدَهُ. والمسألَةُ مِنَ الاشتغالِ تقديرُهُ: أنزلنا سورةً أنزلناها، والثّالثُ أنّها منصوبةٌ على الإغراء، أيْ: دونَكَ سورةً، والرّابِعُ أنّها منصوبَةٌ على الحالِ مِنْ "ها" في "أنزلناها" والحالُ مِنَ المُكنّى يجوزُ أنْ تتقدَّمَ عليْهِ. قالَهُ الفرّاءُ. وعلى هذا فالضّميرُ في "أنزلناها" ليسَ عائدًا على سورة بل على الأحكامِ. كأنَّهُ قيلَ: أنزلنا الأحكامَ سورةً مِن سُورِ القُرآنِ، فهذهِ الأحكامُ ثابِتةٌ بِالقُرآنِ، بِخِلافِ غيْرِها فإنّهُ قدْ ثبتتْ بالسُّنّةِ[1]. ونلاحظُ ممّا سبقَ تعدُّدًا في الإعراب باعثُهُ تعدُّد القراءة.

وفي المبحثِ الثّالثِ مِن هذا الفصلِ فضلُ بيانٍ لتعدُّدِ وجوهِ القراءاتِ للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) ومشتقّاتِهِ مِنَ الاختلافِ إلى الائتلافِ.

ومِن بواعِثِ تعدُّدِ المعاني النّحويّةِ باعثُ "التّعلُّق"، ومِنْهُ تعلُّقُ الحرفِ والفِعلِ والضّميرِ، ومثالُ ذلك قوْلُهُ تعالى: ﴿**تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان 1]. فاللامُ في قوله: {لِيَكُونَ} متعلقةٌ بـ«نَزَّل». وفي اسم «يكون» ثلاثةُ أوجهٍ، أحدُها أنّه ضميرٌ يعودُ على الذي نزَّل. أي: ليكونَ الذي نَزَّل الفرقانَ نذيرًا. والثّاني أنَّهُ يعودُ على الفرقانِ وهو القرآنُ. أي: ليكون الفرقانُ نذيرًا. والثّالثُ أنَّهُ يعودُ على «عبدِه» أي: ليكونَ عبدُه محمّدٌ –صلَّى الله عليه وسلَّم– نذيرًا. وهذا أحسنُ الوجوهِ معنىً وصناعةً لقُرْبِه ممَّا يعودُ عليه، والضميرُ يعودُ على أقربِ مذكورٍ[2].

وثمّة مناسبةٌ بليغةٌ لصيغةِ (نزّل) دونَ (أنزل) في الموضِعِ السّابقِ؛ لِما دلّت عليه (تبارك)، ففيها ثلاثة أوجه: أحدها تفاعل مع البركة، قاله ابن عباس. والثاني أنَّهُ الذي يجيء البركة من قِبَلِهِ، قاله الحسن. والثالث خالق البركة، قاله إبراهيم. وفي البركة ثلاثةُ أقاويل: أحدُها العلوّ. والثّاني الزّيادة. والثالث: العظمة[3]. ولأنّ في الفرقان دلالةً جليّةً فيها بيانُ ما شرّع مِن حلالٍ وحرامٍ، وتفريقٌ بينَ الحقّ والباطل جاءتِ الصّيغةُ (فَعَّل)؛ خدمةً لهذا المعنى،

---

[1] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 378/8.

[2] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 453/8.

[3] انظر: الماوردي، النكت والعيون، 131/4.

أو لجملة هذه المعاني، حيثُ التّفضيلُ والزّيادةُ في التكرير/ التّكرار، والعظمةُ الآتيةُ مِن جهةِ العُلوّ.

ومِن مُثُلِ تعلّق الحرفِ بالفِعلِ "أنزل" تعلُّقُ حرف الباء بهِ، وما ينجُمُ عن ذلك مِن تعدُّدٍ للمعاني النّحويّةِ بينَ الظّرفيّةِ والسّببيّة، ومثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** [الأعراف 57]. ففي قوله: (فأنْزَلنا بهِ) الضميرُ في "بِهِ" يعودُ على أقربِ مذكورٍ وهو "بلدٍ ميّتٍ"، وعلى هذا فلا بُدّ مِنْ أنْ تكونَ الباءُ ظرفيّةً بمعنى: أنزلنا في ذلكَ البلدِ الميّت الماءَ. وقِيلَ: الضّميرُ يعودُ على السّحابِ[1]، ويخلُصُ الباحثُ –بناءً على ما سبقَ– إلى أنَّ في الباءِ وجهيْنِ: أحدُهما أنْ تكونَ ظرفيّةً، والآخرُ أنْ تكونَ سببيّةً. فأمّا الظّرفيّةُ فذلكَ أنَّ الماءَ ينزِلُ في البلدِ الميّتِ، وأمّا إذا كانَ الضّميرُ في (بِهِ) عائدًا على السّحابِ ففيهِ، على ما ذهبَ إليْهِ السّمينُ الحلبيُّ، وجهانِ:

- أحدُهما أنَّ الباءَ بمعنى (مِن)، أي مِنَ السّحابِ.
- والآخرُ أنَّ الباءَ سببيّةٌ، أي: فأنزلنا بسببِ سَوْقِ السّحابِ[2].

ومِن مُثلِ التّعدُّدِ ما يكونُ في "ما" المتعلّقةِ بالفِعلِ "أنزَلَ"، ومثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ)** [يونس 59]، إذ يُحتمَلُ في "ما" وجهانِ اثنانِ:

- أحدُهما: أنْ تكونَ "ما" موصولةً بمعنى (الذي) في محلّ نصبٍ على المفعوليّة.
- والآخرُ: أنْ تكونَ "ما" استفهاميّةً، ويذهبُ السّمينُ الحلبيُّ إلى أنّها استفهاميّةٌ "في محلّ رفعٍ بالابتداء، والجملةُ مِنْ قولِهِ: **(آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ)** خبرُه، والعائدُ محذوفٌ..."[3]. وفي معنييْ "ما" التّركيبيّيْنِ دلالةٌ مُعجميّةٌ تتّسعُ؛ ذلكَ أنَّ في الاستفهامِ معنى التّوبيخِ لهؤلاءِ

---

[1] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 351/5.

[2] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 351/5.

[3] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 227/6.

المُستهزئينَ الذينَ يَفترونَ ولا يُجيبونَ، وأنَّ في كوْنِ "ما" موصولةً منصوبةً على المفعوليةِ للفعلِ (أنزل) معنًى خاصًّا بالإنزالِ؛ "تنبيهًا على أنّهُ شيءٌ لا يُمكنُ ادِّعاؤُهُ لأصنامِهم لنزولِ أسبابِهِ في موْضِعٍ لا تعلُّقَ لهم بِهِ بِوجهٍ"[1].

ومِن وجوهِ تعدُّدِ المعاني النّحويّةِ تعدُّدُ معاني "ما" المقترنة –كما ذُكرَ سابقًا– بالفعلِ "أنزل"، وذلك في قوْلِهِ تعالى: **(اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ)** [البقرة 231]. ففي قولِهِ: (وما أَنْزَلَ عليكُم) يجوزُ في "ما" أنْ تكونَ على وجهيْنِ:

- أحدُهما: أنْ تكونَ في محلّ نصبٍ معطوفةً على **(نِعْمَتَ اللَّهِ)**، وهي على هذا الوجهِ موصولةٌ.
- والآخرُ: أنْ تكونَ في محلّ رفعٍ على الابتداءِ، فتكونَ جملةُ **(يَعِظُكُمْ بِهِ)** خبرًا للمبتدأ، وقيلَ: الجملةُ معترضِةٌ للتّرغيبِ والتّعليلِ[2].

ويرى الباحِثُ أنَّ التّعدُّدَ السّابقَ أفضى إلى اتّساعٍ في الدّلالةِ، ولا سيّما المُعجميّةَ؛ إذ إنَّ السّياقَ الذي وَضِعَتْ فيهِ الآيةُ السّابقةُ سياقُ تشريعاتٍ في الطّلاقِ وما يتعلَّقُ بِهِ، وما يتبعُهُ مِنْ أوامرَ ونواهٍ تقتضي مراقبةَ المسلمِ لأقوالِهِ وأفعالِهِ في السّرِّ والجهرِ، وبناءً عليْهِ إذا كانتْ "ما" معطوفةً فإنَّ قوْلَهُ تعالى: **(مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ)** يدخُلُ في الأمرِ **(اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)**، ويكونُ ما أنزلَهُ الله عزَّ وجلَّ نعمةً خاصّةً مِنْ نِعَمِ اللهِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وعلى المسلمِ أنْ يذكرَها ولا يكفرَها، أمّا إذا كانتْ **(وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ)** جملةً مُعترضةً، فإنَّ المعنى يُصبحُ:

- تعليلًا لِما سبقَ مِنَ الأمرِ في قوْلِهِ تعالى: **(اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)**.
- وترغيبًا في ما عندَ اللهِ مِنَ الأجرِ لقاءَ الذّكرِ، مِصداقًا لِقوْلِهِ تعالى: ﴿**وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت 45].

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، 148/9.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 538/1.

المَبْحَثُ الثّالِثُ

تعدُّدُ وجوهِ القِراءاتِ: مُشتقّاتُ "نزل" مِنَ الاخْتِلافِ إلى الائْتِلافِ

إنَّ لِتعدُّدِ وجوهِ القراءاتِ أثرًا مُهمًّا في كشفِ اتّساعِ الدّلالاتِ القرآنيّةِ؛ ولذلك اهتمّ المفسّرونَ ببيانِ وجوهِ القراءاتِ وتوجيهِها اهتمامًا كبيرًا حتى عدُّوا تعدُّدَ القراءاتِ تعدُّدًا للآياتِ، على سبيلِ المبالغةِ في إعجازِهِ بإيجازِهِ[1]. وفي هذا المبحثِ يتطرّقُ الباحثُ إلى بيانِ وجوهِ القراءاتِ المتعلّقةِ بالجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) مِنَ الاختلافِ إلى الائتلافِ وما يترتّبُ على ذلكَ مِن لطائفَ وأسرارٍ بيانيّةٍ.

ومِن المواضعِ القرآنيّةِ على تعدُّدِ القراءاتِ الذي يُفضي إلى توسُّعِ الدّلالةِ مِن جهةِ الصّرفِ ومِن جهةِ المعجمِ الآتي:

1. قوْلُهُ تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء 193]

ففي هذه الآية تعدّدٌ في القراءات، وذلك في لفظ المجرّد الثلاثي "نَزَلَ"؛ إذ قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وعاصمٌ –في رواية حفص–: "نَزَلَ" خفيفة الزّاي، و"الرّوح" بالرفع. وقرأ ابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عن عاصمٍ وحمزةُ والكسائيُّ بشدّ الزّاي، و"الرّوح" بالنّصب[2].

وتعدُّدُ القراءة في لفظ الفعل "نزل" يُفضي بالتأكيد إلى تعدُّدٍ في وظيفة الكلمة وما بعدها، ذلك أنّ الوظيفةَ التركيبيّةَ تتباينُ بتباينِ البنيةِ الصّرفيَّةِ. ويرى الطّبريُّ أنّ القراءتين مستفيضتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فأيَّتهما قرأ القارئُ فمُصيب؛ ذلك أنّ الرّوحَ الأمينَ إذا نزلَ على محمّدٍ –صلّى الله عليه وسلّم– بالقرآن لم ينزلْ عليه إلّا بأمرِ اللهِ إيّاه بالنّزولِ، ولن يجهلَ أنّ ذلكَ كذلكَ ذو إيمانٍ بالله، وأنّ الله إذا أنزله بهِ نزل[3]. وفي الجمعِ بينَ

---

[1] انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 279/1.

[2] انظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 424/1.

[3] انظر: الطبري، جامع البيان، 533/5.

القراءتيْنِ تظهرُ كرامةُ التّنزيلِ مِن جهتيْنِ: بقراءةِ الرّفعِ؛ ذلكَ أنّهُ مُنزَّلٌ معَ جبريلَ –عليهِ السّلامُ، وبقراءةِ النّصبِ؛ ذلكَ أنَّ الفاعلَ هوَ اللهُ عزّ وجلّ، فتجتمعُ لهُ الكرامةُ مِن حيثُ المُنزَّلُ والمُنزَّلُ مَعَهُ.

2. وقولُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات 177]

وفي هذه الآيةِ تعدّدُ قراءاتٍ؛ إذ قرأ الجمهور (نزل) في قوله عز وجل: (نزل بساحتهم)، أي العذاب على صيغة المجرد الثلاثي، وقرأ ابن مسعود: (نزل) على الفعل المجهول، و(الساحة) الفناء. والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يردُ على الإنسان من خير أو شر[1].

فالملاحَظُ إذن، ممّا سبق، أنّ انفتاحًا دلاليًّا قد اعترى الجذرَ اللُّغويّ (ن ز ل) باعثُهُ تعدّدُ القراءات؛ ليفضيَ ذلك كلُّهُ إلى دلالةٍ عامةٍ مفادُها استعمالُ العذابِ –على جهةِ التّوبيخِ– سواءٌ أكانَ الفعلُ مبنيًّا للمعلوم، وهو بالتأكيد معلومُ مصدرِ العذابِ مصداقًا لقوله تعالى: **﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾** [الصافات 176] تبارك الله العزيز الجبّار ذو الانتقام، أم كان الفعلُ مبنيًّا للمجهول؛ ذلك أنّ حدثَ العذاب لا يخرج إلا منهُ جلَّ جلالُهُ، معلومٌ ذلك مِنَ السّياقِ القرآنيّ كلّه في تتابعِ الآياتِ دونَ ذكرِ فاعلٍ معلومٍ للفعلِ (نزل).

3. وقوْلُهُ تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٞ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد 16]، وفي هذا الموْضِعِ وجوهٌ في قراءةِ (وما نَزَلَ)؛ إذ "قرأ الجمهورُ: وما نزل مشدّدًا؛ ونافعٌ وحفصٌ: مخفّفًا؛ والجحدريُّ وأبو جعفرٍ والأعمشُ وأبو عمرٍو في رواية

[1] انظر: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق عليّ النّجدي ناصف وعبد الحليم النّجار وعبد الفتّاح شلبي، ط2، دار سزكين للطّباعة والنّشر، 1986م، 229/2.

يونسَ وعبّاسٍ عنه: مبنيًّا للمفعول مشدّدًا؛ وعبد الله: (أنزل) بهمزة النقل مبنيًّا للفاعل[1]. وهذا التّعدُّدُ في القراءاتِ يُوسّعُ الدّلالةَ ويفتَحُ المعنى؛ معنى النّزولِ أو الإنزالِ.

وهذا الاختلافُ في القراءةِ يُفضي إلى ائتلافٍ في الدّلالةِ العامّةِ مَعَ توسُّعها؛ ذلكَ أنَّ موضوعَ الآياتِ دعوةُ المؤمنينَ للتّوبةِ والخشوعِ والتّحذيرِ مِن سَقامِ القلوبِ، ففي قراءةِ (نزل) مخفّفةً معنى النّزولِ نزولًا مُجمَلًا لآياتِ الحقّ وأحكامِهِ، فهي حقٌّ مِنَ الحقّ تباركَ وتعالى، وفي قراءتها مشدّدةً تفصيلٌ للنّزولِ وتدريجٌ. وثمّةَ وجهٌ ثالثٌ، وهو قراءةُ الفعلِ مبنيًّا للمجهولِ، وقد عُلِمَ مِن لفظِ (الحقّ) أنّهُ مِنَ الحقّ جلَّ جلالُهُ. ويخلُصُ الباحثُ إلى أنَّ في هذهِ القراءاتِ الثلاثِ دلالةً كلّيّةً عامّةً ألا وهي النّزولُ الموجِبُ الالتزامَ بالتّوبةِ والخشوعَ لآياتِ الحقّ وأحكامِهِ وتشريعاتِهِ بِكُلِّ صُورِهِ إنْ مُفصّلًا أو مُجملًا.

4. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ 2]

وقد قرأ عليٌّ والسّلميّ: "وما ينزّل" بضمّ الياءِ وفتحِ النّونِ وشدّ الزّاي أي: الله تعالى[2]. وفي الكشّافِ عن عليٍّ –كرّم اللهُ تعالى– وجهَهُ أنْ قرأ "ننزل" بالتّشديد ونون العظمة[3]. وفي صيغةِ النّزولِ المُودَعِ فيها الفِعلُ (ينزل) ثلاثةُ أوجُهٍ:

أحدُها: الملائكةُ تنزِلُ مِنَ السّماءِ وتعرُجُ فيها.

والثّاني: القضاءُ، وما يعرُجُ فيها مِنَ العملِ.

والثّالثُ: المطرُ، وما يعرُجُ فيها مِنَ الدّعاءِ[4]. وفي الأوجُهِ الثّلاثةِ تتجلّى دلالةُ النّزولِ المُدبَّرِ وفقَ ما أرادَ اللهُ –جلّ في عُلاه– مِن ترتيبٍ وتناسُبٍ حتى تحدُثَ النّعمةُ؛ فإخراجُ النّباتِ مِنَ

---

[1] انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 384/2.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 104/22.

[3] انظر: الزمخشري، الكشاف، 591/3.

[4] انظر: الماورديّ، النّكت والعيون، 432/4.

الأرضِ يحتاجُ إلى ولوجٍ فيها كولوجِ المطرِ في أعماقِ الأرضِ، وكذلكَ عمليّة إنزالِ الماءِ مِنَ السّماءِ يُقابلُها مِعراجٌ فيها ممّا "يتصاعدُ في طبقاتِ الجوّ مِنَ الرُّطوباتِ البحريّةِ، ومِنَ العواصِفِ التّرابيّةِ، ومِنَ العناصر التي تتبخّرُ في الطّبقاتِ الجويّةِ فوقَ الأرضِ، وما يسبحُ في الفضاءِ، وما يطيرُ في الهواءِ، وعروجِ الأرواحِ عندَ مُفارقةِ الأجسادِ[1]. وأنّ هذهِ الأحداثَ المُتعاقبةَ يتولّدُ عنها نِعَمًا لا تُحصى، ولذلك تتطلّبُ شكرًا وحمْدًا للهِ تعالى عليْها.

وفي كلِّ قراءةٍ مِنَ القراءاتِ الثّلاثِ السّابقةِ دلالةٌ تتكاملُ ولا تتفاضلُ؛ إذ يُلاحظُ الباحثُ أنَّ في القراءةِ المُخفّفةِ (ينزِلُ) اتّساقًا معَ صيغِ المُضارعةِ نظيراتِها في الأفعالِ: (يلِجُ ويخرجُ ويعرُجُ) في نَظْمٍ مُسيَّرٍ مِن لدن حكيمٍ خبيرٍ، وأنَّ في القراءةِ المُشدَّدةِ (يُنزّل) تشديدًا يدلُّ على التّكثيرِ أو التّدرّجِ أو التّأكيدِ، وذلكَ فيما يُنزّلُ الله عزَّ وجلَّ مِنَ السّماءِ مِن مطرٍ وثلجٍ وصواعقَ يُصيبُ بها مَنْ يشاءُ ويصرفُها عمّنْ يشاءُ، ومِنَ المقاديرِ وغيرِها، وأنَّ في القراءةِ الثّالثةِ (نُنزّلُ) معَ نونِ العَظَمَةِ تنزيلًا لا يكونُ إلّا منهُ عزّ وجلّ، وأنَّ السّماءَ جهةُ العلوّ، وأنَّ في العُلوِّ العظمةَ والمقدرةَ.

5. وقوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان 25]

وفي هذا الموضِعِ تعدُّد في قراءةِ الفِعلِ (ونُزّلَ)؛ إذ قرأ ابنُ كثير: «ونُنْزِلُ» بنونٍ مضمومةٍ ثم أُخْرى ساكنةٍ وزايٍ خفيفةٍ مكسورةٍ مضارعَ "أَنْزَلَ"، وقرأ الباقون من السّبعةِ: (ونُزِّل) بضمِّ النّون وكسرِ الزّاي المشدَّدةِ وفتحِ اللامِ، ماضيًا مبنيًّا للمفعول[2]. ولعلَّ في موضوعِ الآيةِ فضلَ بيانٍ لوجوهِ القراءاتِ مفادُهُ أنّها جاءتْ ردًّا على طلبِ المشركينَ إنزالَ الملائكةِ عليْهم، إذ يقولُ تعالى: ﴿﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان 21]، وأنَ في طلبِهم معنى جحودِهم وكفرِهم واستكبارِهم، وأنَّ في استكبارهم ندمًا شديدًا يومَ القيامةِ؛ يومَ تشقّقَ السّماءُ

---

[1] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 137/22.

[2] انظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 417/1.

كما تتشقّقُ الأرضُ، ويكونُ نزولُ الملائكةِ بالتّدريجِ؛ دلَّ على ذلكَ صيغةُ (نزّل) المُشدّدة خلافًا للّذينَ طلبوا نزولهم دفعةً واحدةً بقولهم: (لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ).

وثمّةَ قراءةٌ لابنِ مسعودٍ بالتّشديدِ: "(ونَزَّلَ) ماضيًا مبنيًّا للفاعلِ، وهو الله تعالى، و(الملائكةَ) مفعولٌ به، وعنه أيضًا (وأَنْزَل) مبنيًا للفاعلِ عَدَّاه بالتّضعيفِ مرةً، وبالهمزة أخرى. والاعتذارُ عن مجيء مصدرِه على التفعيلِ كالاعتذارِ عن ابنِ كثير. وعنه أيضا (وأُنْزِل) مبنيًا للمفعولِ"[1].

6. وقوْلُهُ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون 29]

وفي هذا الموضِعِ القرآنيّ تأتي الصيغةُ الصّرفيّة (مُفعَل) متعدّدةَ المعاني، إلى جانبِ التّعدُّدِ الآتي مِن جهةِ القراءةِ، إذ إنّ في قولِهِ: (مُنزَلًا مُّبَارَكًا) قراءةً لأبي بكرٍ بفتحِ الميمِ وكسرِ الزّاي، وقرأ الباقون بضمِّ الميم وفتحِ الزّاي. والمَنْزِل والمُنْزَل كلٌّ منهما يحتملُ أَنْ يكونَ اسمَ مصدرٍ، وهو الإنزالُ والنُّزُول، وأَنْ يكونَ اسمَ مكانٍ للنزولِ والإنزالِ، إلاَّ أنَّ القياسَ «مُنْزَلًا» بالضّمِّ والفتحِ لِقوْلِهِ: (أَنْزِلْني)، وأمّا الفتحُ والكسرُ فعلى نيابةِ مصدرِ الثّلاثيّ مَنابَ مصدرِ الرّباعيّ[2] كقوْلِهِ: **﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾** [نوح 17]. وقوْلِهِ: **﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾** [النساء 31].

وفي الآيةِ دعاءُ سيّدنا نوح –عليه السّلام– ومَن مَعَهُ مِنَ المؤمنينَ على الفلك، "ولمّا أشار له بهذا القوْلِ إلى السّلامَةِ بالحمْل، أتبَعَهُ الإشارةَ إلى الوعدِ بإسكانِ الأرضِ فقالَ: (وقل ربّ أنزلني) في الفلك ثم في الأرض وفي كل منزل تنزلني به وتورثني إيّاه (منزلًا) موضع نزول، أو إنزالًا (مباركًا) أي أهلًا لأنْ يثبتَ فيهِ أو بِهِ. ولمّا كان الثناءُ أعظمَ مهيّجٍ

[1] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 477/8.

[2] انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 328/2. وانظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 330/8–331.

على إجابةِ الدُّعاءِ، وكانَ التّقديرُ، فأنْتَ خيرُ الحاملينَ، عطفَ عليْهِ قوْلَهُ: (وأنْتَ خيرُ المُنزِلين)؛ لأنّكَ تكفي نزيلَكَ كُلَّ مُلِمٍّ، وتُعطيهِ كُلَّ مُرادٍ"[1].

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ مُنْزَلًا –بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الزَّايِ–، وَهُوَ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ (أَنْزَلَهُ) عَلَى حَذْفِ الْمَجْرُورِ، أَيْ مُنْزَلًا فِيهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا، أَيْ إِنْزَالًا مُبَارَكًا. وَالْمَعْنَيَانِ مُتَلَازِمَانِ. وَقَرَأَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الزَّايِ، وَهُوَ اسْمٌ لمَكَان النُّزُول[2]. ويخلُصُ الباحثُ إلى أنَّ تعدُّدَ القراءةِ في هذا الموضِعِ أفضى إلى اتّساعِ دلالةٍ؛ ذلكَ أنَّ المعنى يحتملُ أنْ تكونَ الصّيغةُ اسمَ مكانٍ أو مصدرًا ميميًّا أو أنْ تكونَ اسمَ مصدرٍ وهو الإنزالُ، وفي تلكَ المعاني مجتمعةً تكونُ المُبارَكةُ والخيريّةُ استجابةً لدعاء سيّدنا نوحٍ عليه السّلامُ.

7– وقوْلُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةٍ مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرِۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل 101]

وفي هذا الموضِعِ قراءتانِ للفعل (ينزل)؛ إذ قَرَأَ الْجُمْهُورُ بِما يُنَزِّلُ بِفَتْحِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الزَّايِ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِسُكُونِ النُّونِ وَتَخْفِيفِ الزَّايِ[3]، واختلافُ القراءتيْنِ يصبُّ في اختلافِ الصّيغتيْنِ الصّرفيّتيْنِ: (فعّل– نزّل)، و(أفعل– أنزل)؛ فصيغةُ التّشديدِ تعني التّكثيرَ أو التّدريجَ، والأُخرى تعني النّزولَ جملةً واحدةً. "وعبّر بالأكثرِ مراعاةً لِما كانَ عندَ قليلٍ مِن كفّار مكّةَ مِن توقُّفٍ وقلّةٍ مُبالَغةٍ في التّكذيبِ والظنّ، ويحتمَلُ أنْ يكونَ هذا اللّفظُ قرّرَ على قليلٍ منهم أنّهم يعلمونَ ويكفرونَ تمرُّدًا وعِنادًا[4]، ولمّا كانَ هذا العِنادُ والتّمرُّدُ ناسبَ

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 135/13.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 48/18.

[3] انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 219/2.

[4] انظر: ابن عطية، المحرّر الوجيز، 420/3.

أنْ يُعبّرَ بصيغةِ (يُنزِّل) المُضعّفةِ، "واللهُ أعلمُ بما يُنزِّلُ مِنَ المصالِحِ، بِحسَبِ الأوقاتِ والأحوالِ، بِنَسخٍ أو بِغيْرِهِ"[1].

وكذلكَ يحتملُ أنْ يكونَ المعنى بقراءةِ (يُنزِل) مخفَّفةَ الزّاي ساكنةَ النّونِ، مُعبّرًا عن جُملةِ المصالحِ المُنزَلَةِ يعلمُ بها الله –جلَّ جلالُهُ– في أوقاتِها وأحوالِها إنزالًا عامًّا لا كذِبَ فيهِ ولا افتراءَ، مِن حيثُ كوْنُهُ حدثًا عُلْويًّا مُشرَّفًا.

وفي الجمْعِ بيْنَ القراءتيْنِ (يُنزِّل) و(يُنْزِل) معنى الإنزالِ والتّنزيل معًا؛ ذلكَ أنَّ حدثَ الإنزالِ منْهُ جلَّ في عُلاهُ لا شكَّ فيهِ، وعليْهِ فإنَّ "جُمْلَةَ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ) مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ شَرْطِ إِذا وَجَوَابِهَا، وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا تَعْلِيمُ الْمُسْلِمِينَ لَا الرَّدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُنَزِّلُ لِلْقُرْآنِ لَارْتَفَعَ الْبُهْتَانُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ مِنْ آيَةٍ بَدَلَ آيَةٍ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَكَانِ الْأُولَى وَمَكَانِ الثَّانِيَةِ وَمَحْمَلِ كِلْتَيْهِمَا، وَكُلٌّ عِنْدِهِ بِمِقْدَارٍ وَعَلَى اعْتِبَارٍ"[2]، وأنَّ تنزيلَ القرآنِ وَفقًا للمصالحِ والأحوال المُقدّرةِ مِن لدُن حكيمٍ خبيرٍ، وفي الأوقاتِ التي قُدِّرَ فيها، يُناسِبُهُ صّيغةُ التّنزيلِ، وعليْهِ يُحتمَلُ أنْ تكونَ جملةُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ) حاليّة؛ تصِفُ حالَ التّنزيلِ ولا تكتفي بالحدَثِ فحسب.

8– وقوْلُهُ تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النّحل 2]

وقد قُرِئ (يُنَزِّلُ) بالتّخفيف والتّشديد[3]، وقُرِئ (يُنزّل الملائكة) بالتّاء مفتوحةً وبفتحِ الزّاي مشدّدةً، ورفعِ الملائكة كالمُتّفقِ عليْهِ في سورة القدرِ، وقرأَ بالياء مضمومةً وبكسرِ الزّاي مخفّفةً ونصبِ الملائكة ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ورُويسٌ[4]، وقرئ (يُنْزِل) من الإنزال، و(تَنَزَّلُ)

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسُب الآيات والسّور، 254/11.

[2] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 283/14.

[3] انظر: شهاب الدين الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 349/1.

[4] انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 302/2.

بحذف إحدى التاءين، وعلى صيغةِ المبنيّ للمفعولِ من التّنزيل (بالروح)؛ أي بالوحي الذي من جملته القرآنُ على نهج الاستعارة، فإنّه يُحيي القلوبَ الميّتة بالجهلِ أو يقومُ في الدّين مقامَ الرّوحِ في الجسدِ[1].

والمُتدبّرُ للقراءاتِ السّابقةِ يجدُها، وإنْ اختلفتْ صيغةً ومعنًى خاصًّا في كلٍّ منها، فهي تُنبئُ عنْ دلالةٍ كلّيّةٍ عامّةٍ تُصوّرُ مشهدًا مِن مشاهدِ يومِ القيامةِ الواقعِ لا محالةَ، وأنّ القادرَ على البعثِ قادرٌ –جلَّ في عُلاهُ– على تنزيلِ الوحيِ، ومِنَ الوحيِ القرآنُ الكريمُ، وتنزيل الملائكةِ بِهِ سواءٌ للدّلالةِ على التّكثيرِ أو التّدريجِ أو للدّلالةِ على حدثِ الإنزالِ الذي هو هوْلٌ مِنْ أهوالِ يومِ القيامةِ، وحدثٍ تتجلّى فيهِ قدرةُ الخالقِ سبحانَهُ وتعالى.

9. وقوْلُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء 60]

وقد يأتي تعدُّد القراءة مُتراوحًا بين صيغتيْنِ: صيغةِ المبنيّ للمعلومِ، وصيغةِ المبنيّ للمجهول، وذلك مثالُهُ الآيةُ السّابقةُ، إذ "قرأ الجمهورُ: أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ؛ مَبنيًا لِلمفعولِ، وقُرِئا مبنيّينِ للفاعلِ وهو اللهُ تعالى"[2]. وقد كان الذين أرادوا التّحاكمَ إلى الطّاغوت مِنَ المنافقين، كما هو الظّاهر، فإطلاقُ الزّعمِ على إيمانهم ظاهرٌ. وعُطِفَ قوله: (وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ)؛ لأنّ هؤلاءِ المنافقين كانوا من اليهود، وقد دخلَ المعطوفُ في حيّزِ الزّعم، فدلّ على أنّ إيمانَهم بما أُنزِلَ مِن قبلُ لم يكنْ مطّردًا، فلذلك كان ادّعاؤهم ذلك زعمًا، لانتفاء إيمانهم بالتوراة في أحوالٍ كثيرةٍ مثلِ هذا، إذ لو كانوا يؤمنونَ بها حقًّا، لم يكونوا ليتحاكموا إلى الكُهّان، وشريعة موسى –عليه السّلام– تُحذّر منهم[3].

---

[1] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 95/5.

[2] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 13/4.

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 105/5.

10. وقوْلُهُ تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء 166]

وهذهِ الآيةُ مِن مُثُلِ مجيءِ صيغةِ المبنيّ للمعلومِ قراءةً أُخرى على صيغةِ المبنيّ للمجهولِ، فقوْلُهُ تعالى: (بما أَنْزَلَ إليكَ) يعني بِحَقيَّةِ الذي أنْزَلَهُ إليْكَ وهو القرآنُ، فالجارُّ والمجرورُ مُتعلّقٌ بـ(يشهَدُ) والباءُ صِلةٌ، والمشهودُ بهِ هو الحَقيّةُ، ويجوزُ أنْ يكونَ المشهودُ بهِ هو النبوّةَ، وتعلَّقَ (بما أنْزَلَ) تعلُّقَ الآليّةِ، أي: يَشْهَدُ بنبوّتِكَ بسببِ ما أنْزَلَ إليْكَ لدلالَتِهِ بإعجازِهِ على صِدْقِكَ ونُبوّتِكَ، ولعلَّ مآلَ المعنى ومُؤدّاهُ واحِدٌ، فإنّ شهادتَهُ سبحانَهُ بحقيَّةِ ما أنزلَهُ مِنَ القرآنِ بإظهارِ المُعجِزِ المقصودِ مِنْهُ إثباتُ نبوّتِهِ –صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ–[1]. وقُرِئَ (أنزل إليك) مبنيًّا للمفعولِ، وهي قراءةُ الحَسَن. كما قُرِئَ (أنْزَلَهُ): (نزَّلَهُ) مُشدّدًا، وهي قراءة السّلمي"[2].

ويُلاحِظُ الباحِثُ ائتلافًا في قراءتَي المعلومِ والمجهولِ يُفضي إلى شهادةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى لنبيّهِ صلّى الله عليْهِ وسلّم؛ ذلكَ أنَّ تشريفَ الشّهادةِ تحقّقَ مِنْ حيثُ المُنزِلُ –جلّ في عُلاهُ– إنزالًا يُصدِّقُ نبوّةَ رسولِهِ الكريمِ، والمُنزَلُ المُعجِزُ الدّليلُ بالأحقّيةِ، وهو القرآنُ وما نزَلَ فيهِ مِنَ آياتِ الذّكرِ وإشاراتِ التّدبُّرِ والفِكرِ.

11. وقوْلُهُ تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران 3]

وفي هذا الموضِعِ القرآنيّ فصلٌ آتٍ مِن جهةِ تعدُّدِ القراءةِ بينَ صيغتيْ (فَعَلَ وفعّلَ) للجذر اللُّغويّ (ن ز ل)؛ ذلك أنّهُ "لمّا كانَتْ مادّةُ "كَتَبَ" دائرةً على معنى الجَمْعِ عبَّر بالتّنزيلِ الذي معناهُ التّفريقُ؛ لتشتَمِلَ هذهِ الجملةُ على وجازَتِها مِنْ أَمْرِهِ على إجمالٍ وتفصيلٍ فقالَ: (نزَّلَ عليْكَ الكِتابَ) أيْ شيئًا فشيئًا في هذا العصْرِ (عليك)؛ أي خاصّةً بما اقتضاهُ

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 194/3.

[2] انظر: إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية، 194/5.

تقديمُ الجارّ من الحَصْرِ، وكأنَّ مُوجِبَ ذلكَ ادّعاءُ بعضِهم أنّه يوحى إليه وأنّهُ يقدِرُ على الإتيانِ بمثْلِ هذا الوحيِ (الكتاب)، ويعني القرآنَ الجامِعَ للهُدى مُنجَّمًا بحسَبِ الوقائِعِ، لم يغفُلْ عنْ واحدةٍ فيها ولا قدَّم جوابَها ولا أخّرَهُ عنْ مَحَلِّ الحاجةِ؛ لأنّهُ قيّومٌ لا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ"[1].

أمّا في صيغةِ (فعّل) فكانَ التّضعيفُ سببًا في زيادةِ المعنى، إذ "التّضعيفُ في (نزّلَ) للتّعديةِ فهو يُساوي الهمزَ في (أَنْزَلَ)، وإنّما التّضعيفُ يُؤذِنُ بقوّةِ الفِعلِ في كيفيّتِهِ أو كميَّتِهِ، في الفِعلِ المتعدّي بغيرِ التّضعيفِ، مِنْ أجلِ أنّهم قد أَتَوا ببعضِ الأفعالِ المتعدّيةِ؛ للدّلالةِ على ذلكَ، كقولِهم: فَسَرَ وفَسَّرَ وفَرَقَ وفَرَّقَ، وكَسَر وكَسَّرَ، كما أتَوْا بأفعالٍ قاصِرَةٍ بصيغةِ المُضاعَفَةِ دونَ تعديةٍ للدّلالةِ على قوّةِ الفِعلِ، كما قالوا: ماتَ وموَّت وصاحَ وصيَّحَ. فأمّا إذا صارَ التّضعيفُ للتّعديةِ فلا أُوقِنُ بأنّهُ يدلُّ على تقويةِ الفِعلِ، إلّا أنْ يُقالَ: إنَّ العدولَ عنِ التّعديةِ بالهَمْزِ إلى التّعديةِ بالتّضعيفِ، لِقَصْدِ ما عُهِدَ في التّضعيفِ مِنْ تقويةِ معنى الفِعلِ، فيكون قولُهُ: (نزّلَ عليكَ الكتاب) أهمَّ مِنْ قَوْلِهِ؛ (وأَنْزَلَ التّوراة)؛ للدّلالةِ على عِظَمِ شأنِ نزولِ القُرآنِ[2].

ولعلَّ في حرفِ الجرِّ (على) دلالةً تؤكّدُ تدرُّجَ النّزولِ؛ لأنَّ في معناه قوّةً وشدّةً واستعلاءً. أمّا عن مُناسبةِ اختيارِ صيغةِ (فعَّل) في قوْلِهِ تعالى: **(نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ)** واختيارِ صيغةِ (أفعَلَ) في قوْلِهِ: **(وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ)** فذلكَ لأنَّ القرآنَ نَزَلَ مُنجَّمًا، ونَزَلَ التّوراةُ والإنجيلُ جُملةً.

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 206/4.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 148/3.

المَبْحَثُ الرّابعُ

ظواهرُ أسلوبيّةٌ في سياقِ الجذر (ن ز ل) التّركيبيّ

يتناولُ الباحثُ في هذا المبحثِ النّظْمَ القرآنيَّ في ضَوْءِ سياقِ الجذر (ن ز ل) التّركيبيّ، مبيّنًا دوْرَ السّياقِ في تعدُّدِ المعنى؛ إذ يُعدُّ عاملًا مِن عواملِ الكشفِ عنِ الدّلالةِ المُعجميّةِ، إضافةً إلى أنّ لهُ دورًا بارزًا في تحليلِ الخطابِ القرآنيّ الشّريفِ؛ ذلكَ أنَّهُ يُحيلُ إلى معانٍ جديدةٍ ودلالاتٍ تخرُجُ، في أغلبِ الأحيانِ، عنْ معناها المُعجميّ. و"يبدو للمتأمّلِ في اللّفظِ المُتعدّدِ المعنى أنَّ هناكَ معانيَ حسّيّةً وأخرى معنويّةً. تلكَ المدلولاتُ المختلفةُ تكونُ كافيةً في اللّفظِ المعزولِ مُعجميًّا، ثمَّ تبرُزُ إحدى دلالاتهِ عندَ حدوثِ الكلامِ بينما تتوارى في اللّحظةِ نفسِها سائرُ الدّلالاتِ الأُخرى"[1].

وثمّةَ وسائلُ تتولَّدُ بها المعاني، مِنها السّياقُ الذي يعتمدُ أسلوبًا أو جُملةً مِنَ الأساليبِ لأداءِ الحدثِ الكلاميّ. ويُمكنُ انقسامُ هذهِ الوسائلِ إلى قسميْنِ: وسائلِ توليدِ معاني المفرداتِ، ووسائلِ توليدِ معاني الجُمَلِ. أمّا وسائلُ توليدِ معاني الجُملِ –وعليْها مدارُ الحديثِ– فمنها الوضْعُ والاشتقاقُ، والتصرُّفُ والجمودُ... وغيرها. ومِن وسائلِ توليدِ معاني الجُملِ الإعرابُ نحوَ التّركيبِ اللّغويّ (ما أحسن زيد)؛ إذ يحتمِلُ استفهامًا ونفيًا وتعجُّبًا. وكذلكَ التّقديمُ والتّأخيرُ والذّكرُ والحذفُ والتّضمينُ والوقفُ والابتداءُ[2].

وفي هذا المَبحثِ يُعوّلُ الباحثُ على السّياقِ في الكشفِ عنِ الظّواهرِ الأُسلوبيّةِ المُتعلّقةِ بالجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل)، ومِنَ السّياقِ سياقُ الآيةِ أو سياقُ المقطعِ والمشهَدِ، كما يُعوّلُ أيضًا على سياقِ السّورةِ كُلِّها كونُها وَحدةً نصيَّةً جامعةً لآياتها. ويتشكّلُ السّياقُ مِن عواملَ خارجيّةٍ ترتبطُ بسببِ النّزولِ، ولها علاقةٌ في إحداثِ السَّبْكِ المُحكَمِ والنَّظْمِ المُعجِزِ.

---

[1] انظر: أحمد عبد العزيز درّاج، الدلالة المعجمية وآليات التوليد الدّلاليّ دراسة تطبيقيّة مقارنة، مجلة علوم اللغة، القاهرة، المجلد الرابع، العدد الرابع، 2001م، ص 269.

[2] انظر: فاضل صالح السّامرائي، الجملة العربية والمعنى، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2000م، ص221 وما بعدها.

والباحثُ في هذا القسمِ مِن دراستِهِ سيدرسُ النّظْمَ القرآنيَّ، تقديمًا وتأخيرًا، قصْرًا وحذفًا، كما سيدرسُ الالتفاتَ في التّراكيبِ والصّيغِ، ومُناسبةَ الصّيغةِ الصّرفيّةِ التي تُشكّلُ الأساسَ القالبيَّ الذي على أساسِهِ يكونُ اختيارُ ما يُناسبُ المقامَ، واستعمالَ الصّيغةِ في التّنزيلِ العزيزِ النّاجمِ عنِ السّياقِ الذي يُحدّدُ زمنَها وأسلوبَ التّعبيرِ عنها، كلُّ ذلكَ في سياقِ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) التّركيبيّ.

وعليْهِ، فإنَّ هذا المبحثَ يأتلِفُ مِن ظواهرَ أسلوبيةٍ مخصوصةٍ مُودَعٍ فيها الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل) صرفًا ودلالةً، يُعرضُها الباحثُ على النّحو الآتي:

1. العُدول اللّغويّ في سياقِ الجذر (ن ز ل).
2. النّظم القرآني في سياقِ الجذر (ن ز ل).
3. مُناسبةُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ وسياق الجذر (ن ز ل).

أولًا- العدول اللّغويّ في سياقِ الجذر (ن ز ل)

يصحُّ لِمَن يتكلّمُ اللُّغةَ العربيّةَ أنْ يتبنّى مقولةَ أنّها تحفَلُ بظواهرَ لغويّةٍ تنمازُ بها عن غيرِها مِنَ اللّغاتِ، ولا سيّما الظواهر الأسلوبيّة؛ كالتّقديمِ والتأخيرِ، والحذفِ أو الإيجازِ والذّكرِ، والتّعويضِ والاجتزاءِ، والتّثقيلِ والتّخفيفِ، وغيرِها ممّا يدخُلُ في مضمارِ ما يُسمّى "العدولَ اللُّغويَّ" عن الأصلِ أو القاعدةِ. ومِنَ المعلومِ أنّ الدّرسَ اللُّغويَّ نشأَ مع نشْءِ الإسلامِ الحنيفِ؛ حفظًا مِنَ اللهِ سبحانَهُ لدينِهِ ودستورِهِ، وفهمًا للألفاظِ الدّوالِّ ومدلولاتها، وتبيانًا للمقاصدِ وما ترمي إليْهِ، ولذا قيَّضَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى لهذهِ اللُّغةِ مَنْ يحميها وينظرُ في أساليبها وقراءاتِها، ويقيسُ ويؤصّلُ حتى رستِ القواعدُ والأُطُرُ التي تحكمُها. "فجعلَ أهلُ العربِ ما استمرَّ مِنَ الكلامِ في الإعرابِ وغيرِهِ مِن مواضِعِ الصّناعةِ مطّردًا، وجعلوا ما فارق ما عليه بقيّة بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًّا"[1]. ولا غروَ أنّ القرآن نزلَ أصلًا متبوعًا لا

[1] انظر: ابن جني، الخصائص، 97/1.

فَرعًا تابعًا، فهو الذي يُحتجّ به ولا يُحتجّ له، موافقًا بإعجازِهِ اللغويّ القواعدَ والأطرَ في الغالبِ الأعمّ، عادلًا عنها فيما نَدَرَ وقَلّ؛ ليكون حجةً على كلّ لسانٍ من ألسنِ العربيةِ الفصحى.

أمّا عن العُدول، حيثُ مقصدُ هذا المبحثِ ومرادفُ موضوعِهِ (الالتفات)، فلغةً: مصدر الفعل (عَدَلَ)، وله دلالاتٌ عدةٌ منها نقيضُ الجَور، تقول: عَدَل في رعيته[1]، ورَجلٌ عَدْلٌ معناه: ذو عدلٍ أي عادل[2]، والعدل بمعنى التسوية، يُقال: عَدَلْتُ فلاناً بفلانٍ إذا سوَّيتُ بينهما[3]. والعَدل بمعنى الميل، "فالعدل أنْ تعدلَ الشيءَ عن جهتهِ فتميلَه. وعَدلْتُهُ عنْ كذا، وعَدَلْتُ أنا عن الطريق حِدْتُ"[4]. وفي التنزيل يقول الله تعالى: **{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}** [النمل: 60]. ومعنى يعدلون: يكفرون لأنهم "يعدلون عن القصد، وطريق الحق"[5]. ويقول تعالى: **{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}** [الأعراف: 159] أي "يدعون الناس إلى الهداية بالحق، و(به يعدلون) أي: وبالحق يحكمون[6]. والمُلاحظ من الآيتين السابقتين أنّ في (العَدْل) معنيين متقابلين كالمتضادين؛ وربّما كشف حرف الجرّ (الباء) عن معنى (العدل)؛ الاستواء في الآية الأولى، والاعوجاج في الثّانية.

وفي الاصطلاحِ يكثُرُ تعريفُ "العُدول" في كتبِ النّقدِ والبلاغةِ، فقد عَرَفَهُ علماءُ اللّغةِ والبلاغةِ الأوائلُ وعرّفوه، إذ نجدُ سيبويه قد استعملَ مصطلحَ "العدول" في إفراده بابًا

---

[1] انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، مادة "عدل".

[2] انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة "عدل".

[3] انظر: ما سبق، مادة "عدل".

[4] انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، مادة "عدل".

[5] انظر: الزّجاج، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ص128.

[6] انظر: الزجاج، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، ص382.

سمّاهُ "هذا بابُ ما جاءَ معدولًا عن حدِّه من المؤنث كما جاء المذكّر معدولًا عن حدّه"[1]، ونجد كذلك ابن جنّي يعقد بابًا بعنوان "بابٌ في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقلُ منه لضربٍ من الاستخفاف"[2]. كما أنّ لعبد القاهر الجرجاني ذكرًا لهذا المصطلح، ذلك في قوله: "اعلمْ أنّ الكلامَ الفصيحَ ينقسمُ إلى قسمين: قسمٍ لا تُعزى المزيةُ والحسنُ فيه إلى اللّفظ، وقسمٍ يُعزى ذلك فيه إلى اللّفظ. فالقسم الأوّل: الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حدّ الاستعارة. وكلّ ما كان فيه على الجملة مجازٌ واتّساعٌ وعدولٌ باللّفظ عن الظّاهر"[3]. وقد ذكر البلاغيّون والنقّاد مفهوم العُدول بأن جعلوه انزياحًا "يفصل ما بين الكلام الفنيّ وغير الفنيّ"[4].

وللعدول مصطلحاتٌ يمكنُ أنْ نعدّها متقاربةً له في الدلالة من مثل الانزياح، والتجاوز، والانحراف، والاختلال، والإطاحة، والمخالفة، والشناعة، والانتهاك، وخرق السّنن، والعصيان، والتحريف، والانكسار، والإزاحة، والانزلاق، والاختراق، والتناقض، والمفارقة، والتنافر، ومزج الأضداد، والاختلال، والانحناء، والتغريب، والاستطراد، والاختلاف، وفجوة التوتر، والجسارة اللّغوية، والغرابة والابتكار، والخلق"[5].

ويرى تمّام حسّان أنّ العدول هو "الخروجُ عن أصلٍ أو مخالفةٌ لقاعدة، ولكنّ هذا الخروج وتلك المُخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرًا من الاطّراد رقي بهما إلى مرتبة الأصول التي يُقاس عليها"[6].

ويُعدُّ الالتفاتُ أو العدولُ وجهًا مِن وجوهِ الإعجازِ إعجازِ القرآنِ الكريمِ؛ ذلكَ أنّ فيهِ مِنَ الدّلالاتِ ما فيهِ فصاحةً وبيانًا. وهذا الالتفاتُ درسٌ مِن دروسِ الأُسلوبيّةِ في القرآنِ

---

[1] انظر: سيبويه، الكتاب، 270/3.

[2] انظر: ابن جني، الخصائص، 262/2.

[3] انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص229–230.

[4] انظر: محمّد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، 2005م، ص5.

[5] انظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط5، دار الكتاب الجديد، لبنان، 2006م، ص80.

[6] انظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص347.

المُعجِزِ؛ إذ إنَّ العدولَ عن صيغةٍ إلى صيغةٍ أُخرى سِمةٌ أُسلوبيّةٌ خاصّةٌ، ويكونُ للسّياقِ أثرٌ جليٌّ فيها. و"البحثُ في الصّيغةِ مِن خلالِ سياقِها يُعدُّ مِن أهمّ القرائنِ اللّفظيّةِ التي تُعينُ على فهْمِ الخِطابِ، وخاصّةً فيما يتعلّقُ بنَظْمِ القرآنِ الكريمِ"[1].

ومِن مُثُلِ الالتفاتِ أو العدولِ اللّغويّ ما كانَ مِن جهةِ الالتفاتِ عنِ الإضمار إلى الإظهار، يقولُ تعالى: ﴿**وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلٞۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا**﴾ [الإسراء 105]؛ "تفخيمًا، فإنّهُ لو تركَ الإظهارَ وعدلَ إلى الإضمارِ كما يقتضيهِ السّياقُ فقالَ: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) لم يكنْ فيهِ مِنَ الفخامَةِ ما فيهِ الآنَ، ويسمّيهِ بعضُهم بالتَّصريحِ[2].

ومِنَ الالتفاتِ ما يجلّيهِ الخطابُ ويُوجّهُهُ، ومِن مُثُلِ ذلك ما يعرضُهُ الباحثُ في سياقِ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) مِن مواضِعَ في سورةِ المائدة، يتباينُ فيها الأسلوبُ وَفقًا للخِطابِ المُوجَّهِ للنّبيّ –صلّى الله عليْه وسلّم– مِن جهةِ ردّ ادّعاءات الكافرينَ وإنكارها، أو مِن جهةِ التّسليةِ والتّثبيتِ، ويتجلّى فيها العدولُ عنِ الضّميرِ المُخاطَبِ إلى الغائبِ، وعكسُهُ، وكذلك العدولُ عنِ الضّميرِ إلى ذِكرِ الاسمِ صريحًا... وغيرُه. ويقفُ الباحثُ في بيانِ ذلكَ على مواضِعَ مخصوصةٍ، وهي:

– **قولُهُ تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾** [المائدة 64]

ففي هذا الموضِعِ قولٌ لليهودِ قبيحٌ، فيهِ العَجَبُ، سبَبُهُ الحسدُ والغِلُّ مُعبّرينَ فيهِ عنِ البُخلِ والعجزِ، وهو "إعلامٌ لمحمّدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّم؛ فإنّ هؤلاءِ اليهودَ مِنَ العُتُوّ والبُعدِ

[1] انظر: جنان جاسم خضير، أثر السّياق في العدولِ الصّرفيّ في القرآنِ الكريمِ، مجلّة الأطروحةِ للعلومِ الإنسانيّة، دار الأطروحة للنّشرِ العلميّ، العدد الخامس، 2017م، ص88.

[2] انظر: محمّد الأمين الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، 2001م، 274/16.

عنِ الحقّ بحيثُ إذا سمِعوا هذهِ الأسرارَ التي لهم؛ والأقوالَ التي لا يعلمُها غيرُهم تنزِلُ عليكَ؛ طَغَوْا وكَفَرُوا؛ وكانَ نَوْلَهم أنْ يُؤمِنوا، إذْ يعلمونَ أنّكَ لا تعرِفُها إلا مِنْ قِبَلِ الله، لكنّهم مِنَ العُتُوّ بحيثُ يزيدُهم ذلكَ طغيانًا"[1]، ولمّا كانَ هذا القولُ الشّنيعُ مِنهم جاءَهم الرَّدُّ بأنْ غُلَّتْ أيديهم ولُعنوا، وهذهِ الحالةُ استدعتْ أنْ يكونَ خطابٌ يُثبّتُ النّبيَّ –صلّى الله عليْه وسلّم– بالحُجّةِ القاطعةِ، وليسَ أوضحُ بيانًا مِنَ القرآنِ المُعجِزِ، فالتفتَ إليْهِ –جلَّ في عُلاهُ– بقوْلِهِ: (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْراً) تثبيتًا وردًّا على شناعةِ قولِهم؛ "وذلك بِما جرَّهُ إليْهم داءُ الحسدِ؛ لأنّهم كلّما رأوْهُ –سبحانَهُ– قد زادَ إحسانُهُ إليْكَ طَعنوا في ذلكَ الإحسانِ، وهو –لِما لهُ مِنَ الكمالِ، وعلوِّ الشّأنِ– يكونُ الطّعنُ فيهِ مِن أعظمِ الدَّليلِ عليْهِ، والبرهانِ"[2].

– وقوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة 66]

وفي هذا الموضِعِ إشارةٌ إلى عدَمِ اتّباعِ اليهودِ لِما جاءَ في التّوراةِ والإنجيلِ مِن أحكامٍ تستوجبُ طاعةَ الله ومرضاتَهُ، وهم على ذلكَ لنْ يُقيموا ما أُنزِلَ إليْهم مِنَ القرآنِ، ولو أقاموا لرزقَهم اللهُ بإنزالِ الماءِ مِنَ السّماءِ وأنبتَ لهم الزّرعَ وما يأكلون، وقد عدَلَ عن ذِكرِ القرآنِ العظيمِ صريحًا إلى الضمير الغائبِ في قوْلِهِ: (وما أُنْزِلَ إليهم مِنْ ربّهم) دعوةً منْهُ تعالى إلى إقامةِ ما فيهِ مِن أوامرَ، "وإنزالُ الكِتابِ إلى أحدٍ مُجرّدُ وصولِهِ إليهِ وإيجابُ العملِ بِهِ، وإنْ لمْ يكُنْ الوحيُ نازلًا عليهِ، والتّعبيرُ عنِ القرآنِ بذلكَ العنوانِ للإيذانِ بوجوبِ إقامتِهِ عليهم لِنزولِهِ إليهم، وللتّصريحِ بِبُطلانِ ما كانوا يدّعونَهُ مِنْ عَدَمِ نزولِهِ إلى بني إسرائيلَ وفي إضافةِ الربِّ إلى ضميرِهِم مزيدُ لُطْفٍ بهم في الدّعوةِ إلى الإقامَةِ"[3].

ومِن أسرارِ الالتفاتِ إلى ضميرِ المُخاطَبِ الموجَّهِ للرّسولِ –صلّى الله عليْه وسلّم– ما كانَ تثبيتًا لهُ وتسريةً عنهُ ممّا يثقُلُ عليْهِ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿۞ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ**

[1] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 216/2.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، 6/ 221.

[3] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 60/3.

مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة 67]؛ إذ عَدَلَ عن صيغةِ (ما نُزِّل) إلى صيغةِ (ما أُنزِلَ) استيفاءً لِما هو مُبلَّغٌ في هذا التّنزيلِ على الوجهِ الكاملِ المتمَّمِ؛ "فإنّما أُمِرَ في هذهِ الآيةِ بألّا يتوقّفَ عنْ شيءٍ مَخافةَ أحدٍ؛ وذلكَ أنّ رسالَتَهُ –صلّى اللهُ عليهِ وسلّم– تضمّنَتِ الطّعْنَ على أنواعِ الكَفَرةِ وبيانِ فسادِ حالِهم، فكانَ يَلْقَى مِنهم عَنَتًا"[1].

ومِن صورِ الالتفاتِ الآتي مِنْ جهةِ ذِكرِ الاسمِ صريحًا أو مُضمرًا ما جاءَ في قولِهِ تعالى: ﴿**وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ**﴾ [المائدة 81]، وقوْلِهِ تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ**﴾ [المائدة 93]؛ إذ يُلاحِظُ الباحثُ مِنَ الموضعيْنِ السّابقيْنِ أنَّ التفاتًا جليًّا حصلَ في ذِكرِ اسمِ الرّسولِ صريحًا في الموضِعِ الثّاني، وذكرِهِ مُضمرًا في الأوّلِ في قوْلِهِ –عزّ وجلّ– **(وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ)**؛ ذلكَ أنَّ الإضمارَ ناسبَ سياقَ الآيةِ الذي يكشفُ دليلَ كفرهم، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: **(وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ)**، أمّا (النّبيّ) ففي لفظِهِ إشارةٌ إلى أنّهُ "الذي له الوصْلةُ التّامّةُ بالله؛ ولذا أتبَعهُ قوْلَهُ: **(وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ)** مِن عندِ الله أعمّ مِنَ القرآنِ وغيْرِهِ"[2].

وفي الموضِعِ الثّاني صرَّحَ باسمِ الرّسولِ؛ لأنَّ الخِطابَ موجّهٌ إليْهِ –صلّى الله عليْه وسلّم– يُخبرُهُ –جلَّ جلالُهُ– عن أحوالِ الذين آمنوا بمحمّدٍ مِنَ النّصارى في قلوبهم، ودليلُ الخِطابِ قوْلُهُ: **(تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ)**، "وهو خِطابٌ للنّبيّ غالبٌ في إطلاقِهِ في القرآنِ، و(ما أُنزِلَ إليْهِ) هو القرآن، وهو خِطابٌ لغيْرِ مُعيَّنٍ ليعمَّ كلَّ مَنْ يُخاطَبُ"[3].

ويقفُ الباحثُ على مواضِعَ مخصوصةٍ مُودَعٍ فيها الجذر (ن ز ل) يُعدَلُ في صيغتِهِ مِنَ الغيْبةِ إلى التّكلُّمِ، وهذهِ المواضِعُ هي:

---

[1] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 218/2.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 267/6.

[3] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 10/7.

1. قوْلُهُ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام 99]

وبالنّظرِ في سياقِ الآيةِ يجدُ الباحثُ أنَّ موضوعها يدور حولَ صفاتِ الله تعالى وآياتِهِ في الكونِ الواضحاتِ الدّالّاتِ على قدرتِهِ عزّ وجلّ، وفي هذا السّياقِ عُدِلَ عن القوْلِ: (أنزل من السماءِ ماءً فأخرج) إلى قوْلِهِ تعالى: (فأخرجنا)، ولعلَّ لذلكَ لفتةً بلاغيّةً تستوقِفُ الباحثَ، ألا وهي أنَّ حدثَ النّزولِ لا يكونُ إلا مِنَ اللهِ الكبيرِ المُتعالي، ثمّ يضعُ في الأرضِ الأسبابَ أسبابَ الرّزقِ، واستخراجُهُ كإخراجِ النّباتِ الذي يحتاجُ إلى حرثٍ وعملٍ مصداقًا لِقوْلِهِ تعالى: **﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾** [الواقعة 63]، فثَمَّ عمَلٌ وأخذٌ بأسبابِ الرّزقِ ناسبا مجيءَ صّيغةِ المُتكلّم في الفعلِ (فأخرجنا).

2. وقوْلُهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه 53]

والمتدبّرُ لقوْلِهِ تعالى: (وأنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً) يقرأ إعجازًا في نِعمةِ الماءِ المُنزَلِ المُشاهَدِ واحدًا ويكونُ سببًا في الألوانِ الشتّى والأطعمة والأشكالِ المختلفةِ الناتّجةِ عنه، "ولمّا كانَ ما يتنشأُ عنْهُ أدَلَّ على العَظَمَةِ، وأَجْلى للنّاظِرِ، وأظهرَ للعقولِ، استغرقَ –صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ– في بِحارِ الجلالِ، فاستحضَرَ أنَّ الآمِرَ لَهُ بهذا الكلامِ هو المُتكلِّمُ بِهِ في الحقيقةِ فانيًا عنْ نفسِهِ وعنْ جميعِ الأكوانِ، فعبّرَ عنْ ذلكَ عادلًا عنِ الغَيْبَةِ إلى لفظِ المُتكلّمِ المُطاعِ بِما لَهُ مِنَ العَظَمَةِ بقوْلِهِ: (فأخرجْنا) أيْ بِما لَنا مِنَ العَظَمَةِ الّتي تنقادُ لها الأشياءُ المختلِفَةُ"[1].

"وأنْكَرَ بعضُهم أنْ يكونَ فيهِ التفاتٌ أو على أنَّهُ عليهِ السّلامُ قالَهُ مِنْ عنْدِهِ بهذا اللّفْظِ غيرَ مُغَيَّرٍ عنْدَ الحِكايةِ، وقولُهُ (أخرجْنا) مِنْ بابِ قوْلِ خواصّ المَلَكِ أَمَرْنا وعَمَرْنا

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 297/12.

وفَعَلْنا وإنّما يريدونَ المَلِكَ أو هُوَ مُسنَدٌ إلى ضميرِ الجماعةِ بإرادةِ أخرجْنا نحنُ معاشِرَ العِبادِ بذلكَ الماءِ بالحِراثَةِ أزواجًا مِنْ نباتٍ شتّى على ما قِيلَ، وليسَ على هذا التفاتٌ، ويُحتمَلُ أنْ يكونَ ذلك كلامَ موسى عليهِ السّلامُ إلى قوْلِهِ تعالى: (ماءً) وما بعدَهُ كلامُ اللهِ عزَّ وجَلَّ أوْصَلَهُ سبحانَهُ بكلامِ موسى عليهِ السَّلامُ حينَ الحِكايةِ لنبيّنا صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1].

ويرى الباحثُ أنَّ سببَ العُدولِ مِنَ الغيْبَةِ الجليّةِ في الأفعال: (جعَلَ)، و(سلَكَ)، و(أنزلَ) إلى صيغةِ المُتكلّمِ في قوْلِهِ عزّ وجلّ: (فأخرجنا) يكمنُ في أنَّ الأفعال الثّلاثةَ أفعالٌ لا تخرُجُ إلّا عن إرادتِهِ وقدرتِهِ –جلَّ في عُلاهُ– وكذلكَ الإخراجُ، إلّا أنَّ في إخراجِ النباتِ يدًا للإنسانِ يعملُ بها حرثًا وبَذرًا وسقايةً، ثمّ تكونُ الزراعةُ، مِصداقًا لقوْلِهِ تعالى: ﴿**ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ**﴾ [الواقعة 64].

3. وقوْلُهُ تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل 60]

وفي هذا الموضعِ ردٌّ وإنكارٌ لِمَن أشركَ باللهِ –عزَّ وجلَّ– بالآياتِ الكونيّةِ والعُلويّةِ، ومنها خلقُ السّماواتِ والأرضِ، وإنزالُ الماءِ مِنَ السّماءِ، وإنباتُ الزّرعِ... وذلك بالاستفهامِ التّقريريّ مصداقًا لقوْلِهِ تعالى: (**أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**)، وهذا تقريرٌ بأنَّ اللهَ –عزّ وجلَّ– خلقَ الأسبابَ، وهو المُسبّب، فالماءُ لا ينزلُ إلّا بقدرٍ منهُ، يُصيبُ بهِ مَن يشاءُ ويصرفُهُ عمّن يشاءُ، وبِهِ يكونُ الزّرعُ والرّزقُ، ومِن ثَمَّ الانتفاعُ.

وقد عُدِلَ عن صيغةِ الجمعِ إلى صيغةِ المُفرَدِ في الفِعلِ (أنزلَ)، ولم يُعدَلْ عنِ الجمعِ في قوْلِهِ –عزَّ وجلَّ– (**فَأَنۢبَتْنَا** بِهِۦ)؛ وذلكَ لِيُناسِبَ الرّدَّ على شُبهةِ قوْلِ مَنْ أشركوا بأنَّ المُنبِتَ للحدائقِ والشّجرِ هو الماءُ، فنُونُ الجَمْعِ في الفعلِ (أنْبتنا) "التفاتٌ مِنَ الغيْبةِ إلى الحضور، ومِنْ لطائفِهِ هنا التّنصيصُ على أنَّ المقصودَ إسنادُ الإنباتِ إليْهِ لِئلّا ينصرِفَ

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 518/8.

ضميرُ الغائِبِ إلى الماءِ؛ لأنَّ التّذكيرَ بالمُنْبِتِ الحقيقيّ الذي خَلَقَ الأسبابَ أَلْيقُ بِمقامِ التّوبيخِ على عدمِ رعايتِهم نِعَمَهُ"[1].

4. وقوْلُهُ تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) [فاطر 27].

ومِنَ الدّلائلِ العُلويّةِ على وجودِ الله –عزَّ وجلَّ– وقدرتِهِ –كما في الموضِعِ السّابقِ– إنزالُ الماءِ الذي لا يكونُ إلّا منْهُ جلَّ في عُلاهُ، والماءُ المُنزَلُ مِنَ السّماءِ ماءٌ واحدٌ؛ يقولُ تعالى: ﴿**وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد ٤]، لكنَّ الثّمراتِ النّاتجةَ عن هذا الماءِ مُتعدّدةٌ، ومختلفةُ الألوانِ، ولذلكَ فإنَّ عمليةَ الإنزالِ تتجلّى فيها قدرةُ الخالقِ المُدبّرِ الواحدِ الأحدِ، أمّا إخراجُ الثّمراتِ فعمليّةٌ تحتاجُ إلى مزيدِ تعظيمٍ مِنْهُ تعالى؛ ذلكَ أنَّ الإخراجَ مُشاهَدٌ بالعيْنِ يتولَّدُ فيهِ الأشكالُ والصّفاتُ التي لا عدّ لها؛ لِحكمةٍ بالغةٍ بديعةٍ تنتفِعُ بها الكائناتُ الحيَّةُ.

وفي الآيةِ التفاتٌ ظاهرٌ مِنَ الغَيْبَةِ إلى التّكلُّمِ في الفعليْنِ: (أنزل)، و(أخرجنا)؛ "لأنَّ الاسمَ الظّاهرَ أنسَبُ بِمقامِ الاستدلالِ على القدرةِ لأنّهُ الاسمُ الجامِعُ لِمعاني الصّفاتِ، وضميرُ التّكلُّمِ أنسَبُ بِما فيهِ امتنانٌ"[2]. والالتفاتُ –ههنا– إلى الإخراجِ أوضحُ، والمِنَّةُ فيهِ أبلغُ مِنَ الإنزالِ، ولم تكن عمليةُ الإنزالِ مُفصَّلةً كما في قوْلِهِ تعالى في موْضِعٍ آخر: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف 57]، ولمّا كانَ الإنزالُ مسبوقًا بإرسالِ الرّياحِ وسَوْقِ السّحابِ وحمْلِها الماءَ مُثقلةً ناسبَ ذلكَ قوْلُهُ تعالى بصيغةِ الجمعِ: (فَأَنزَلْنَا).

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11/20.

[2] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 301/22.

ومِنَ اللّطائفِ والأسرارِ البلاغيّةِ للالتفاتِ مِنَ الغيبةِ إلى التّكلّمِ ما كانَ تعظيمًا، أو لِمزيدِ عنايةٍ وتدبُّرٍ ونَظَرٍ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ**﴾ [التغابن 8]؛ إذ يُلاحِظُ الباحثُ أنَّ ثمَّةَ عدولًا عن ضميرِ الغَيبةِ إلى ضميرِ التّكلُّمِ في الفعلِ (أنزلنا) المُسبَقِ بلفظِ الجلالةِ (الله)، فلم يقُلْ: (والنّور الذي أنزلَ). ولعلَّ ذلكَ مرجعُهُ السّياقُ، حيثُ النّورُ القرآنُ الذي أنزلَهُ اللهُ –عزَّ وجلَّ– على نبيّهِ –صلّى الله عليْهِ وسلّمَ–، فكانَ معجزةً عظيمةً عُلويَّةً مُشرَّفةً، و"كانَ بإعجازِهِ ظاهرًا بنفسِهِ مُظهِرًا لغيْرِهِ، فهو أحقُّ باسمِ النُّورِ لِما قضى مِنْ إعجازِهِ، فمَنْ آمَنَ بهِ أدخلَ اللهُ قلبَهُ مِن أنوارِ الفُهومِ والألطافِ والسّكينةِ ما يُضيءُ الأقطارَ"[1].

ولذلكَ كانَ الالتفاتُ إلى نونِ العَظَمةِ؛ "لإبراز العِنايةِ بأمرِ الإنزالِ، وفي ذلك مِن تعظيمِ شأنِ القرآنِ ما فيهِ"[2]، ولعلَّ سرًّا مِن أسرارِ هذا الالتفاتِ آخرَ مفادُهُ زيادةُ التّرغيبِ والتّذكيرِ؛ "ترغيبًا في الإيمانِ بالقرآنِ، وتذكيرًا بأنَّهُ مُنزَّلٌ مِنَ اللهِ؛ لأنَّ ضميرَ المُتكلِّمِ أشدُّ دلالةً على مَعادِهِ مِن ضميرِ الغائبِ، ولِتقويةِ داعي المأمورِ"[3].

وقد يُعدَلُ في موضِعٍ آخرَ عن حرفِ الجرِّ المُقترِنِ بالفِعلِ (نزَّل) إلى حرفِ جرٍّ آخرَ؛ مُناسبةً للسّياقِ، ومِن مُثُلِ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ**﴾ [الأنعام 111]، إذ اقترنَ حرفُ الجرِّ (إلى) بالفِعلِ (نزّلنا). وفي سورةِ الإسراء اقترنَ حرفُ الجرّ (على) بالفعل ذاتِهِ؛ يقولُ تعالى: ﴿**قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا**﴾ [الإسراء 95].

ويُلاحِظُ الباحثُ في الموضعيْنِ السّابقيْنِ أنَّ للسّياقِ أثرًا في الالتفاتِ أو العُدولِ؛ ذلكَ أنَّ سياقَ الآيةِ في سورةِ الأنعامِ امتدادٌ لِما يدّعيه المشركونَ للتّهرّبِ مِنَ الحقِّ، يقولُ الحقُّ

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، 117/20.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 318/14.

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 273/28.

تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام 109].

ومِنَ المعلومِ أنَّ معنى حرفِ الجرّ (إلى) انتهاءٌ للغايةِ الزّمانيّةِ أو المكانيّةِ، وأنَّ معنى (على) الاستعلاء، ومِنَ الاستعلاءِ يكونُ الأمرُ أحيانًا، ولمّا كانَ سياقُ الآيةِ في الإسراءِ تبيانَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أرسلَ الرُّسلَ مِن جنسِ البشرِ ليكونوا قدوةً للنّاسِ الذينَ هم مِن جِلدتِهم في الأوامرِ والنّواهي، لمّا كانَ ذلكَ كذلكَ ناسبَ اقتران حرفِ الجرّ (على) بالفعلِ (نزّلنا)، على خِلافِ ما جاءَ في سورةِ الأنعامِ؛ إذ إنّهُ سياقُ ردٍّ وإنكارِ ادّعاءِ الكافرينَ، ومعنى قوْلِهِ عزَّ وجلَّ: (**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ**) لا يُوحي بالأوامرِ والنّواهي العُلويّةِ، إنّما يُوحي بأنّهم "ما كانوا ليؤمِنوا إيمانًا اختياريًّا بدليلِ أنَّ عندَ ظهورِ هذهِ الأشياءِ لا يبعُدُ أنْ يُؤمِنوا إيمانًا على سبيلِ الإلجاءِ والقَهرِ، وأنَّ المُرادَ بقوْلِهِ تعالى: (**مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ**) أنّهم ما كانوا لِيُؤمِنوا على سبيلِ الاختيارِ"[1].

وثمّةَ عُدولٌ مِن نوعٍ آخرَ في الصّيغةِ؛ إذ يُعدَلُ عنِ صيغةٍ صرفيّةٍ إلى صيغةٍ أُخرى تُناسبُ المعنى أو تُعدّدُهُ، ومِن مُثُلِ ذلكَ في الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) العُدولُ عنِ الصّيغةِ (أفعل) إلى الصّيغةِ (فعّل) في قوْلِهِ تعالى: ﴿**قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ**﴾ [الأعراف 71]، وهذهِ الأسماءُ –على ما قالَ المُفسّرونَ– هي الأصنامُ والنُّصُبُ التي سمّاها الكافرونَ آلهةً مِن دونِ الله، وتقتضي مجادلتهم بها تأكيدًا وتثبيتًا وتدريجًا، ولذلكَ عبَّرَ بالصّيغةِ (نزّل)، "ولعلَّه أتى بصيغةِ التّنزيلِ؛ لأنَّ مقصودَها إنذارُ مَن أعرضَ عمّا دعا إليْهِ هذا الكتابُ النّازلُ بالتّدريجِ– النّفيَ بِكُلِّ اعتبارٍ سواءٌ كانَ تحديدًا أو تدريجًا"[2].

---

[1] انظر: فخر الدين الرّازي، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 118/13.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، 441/7.

والجملةُ مِن قوْلِهِ: (ما نزَّل) في موضِعِ صفةٍ معناها أنَّهُ ليسَ لكم بذلكَ حُجّةٌ ولا بُرهانٌ. وجاءَ هنا (نزّل)، وفي مكانٍ غيرِهِ (أنزل)، وكلاهما فصيحٌ، والتّعديةُ بالتّضعيفِ وبالهمزةِ سواءٌ"[1]، ولكنّ لصيغةِ التّضعيفِ معنًى ليسَ في الهمزِ، ويذكرُ الباحثُ –للتّفريقِ– قوْلَهُ تعالى: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف 40]، وقوْلَهُ تعالى: ﴿**إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ**﴾ [النجم 23]، ففي سورةِ يوسفَ حديثٌ بيْنَ نبيّ الله يوسفَ عليْهِ السّلام وصاحبيْ السّجن، ولم يكنْ هناكَ مجادلةٌ، ولعلَّ الصُّحبةَ آتيةٌ مِنَ "المُوافقةِ في الأحوالِ، وهي صلةُ المُماثلةِ في الضّراءِ، تقومُ مقامَ صلةِ القرابةِ أو تفوقُها"[2].

وفي سورةِ النّجمِ ردٌّ على افتراءاتِ المُشركينَ المُكذّبينَ الذينَ اتّخذوا الأصنامَ آلهةً يعبدونها مِن دونِ اللهِ، وهذا الرّدُّ لم يكُن فيهِ مُجادلةٌ ولا مُماحكةٌ كما يظهرُ في سياقِ سورةِ الأعرافِ؛ إذ "لمّا قدَّمَ في الأعرافِ تركَ النّافي للتّدريجِ لِما تقدَّمَ بِما اقتضاهُ، نفى هنا الإفعالَ النّافيَ لِأصلِ الفِعلِ سواءٌ كانَ بالتّدريجِ أو غيرِهِ لأنَّ المِفْصَلَ لِبابِ القرآنِ فهو لِلمقاصِدِ، وذلكَ كافٍ في ذمِّ الهوى الذي هو مقصودُ السّورةِ"[3].

ويُعدَلُ في الصّيغةِ الصّرفيّةِ عنِ الماضي إلى المضارعِ، لِمعانٍ بلاغيّةٍ منها السّرعةُ في الحدثِ أو تجدُّدُه أو التّنبيهُ عليْهِ عظمةً وقدرةً وجلالًا، معَ الإشارةِ إلى أنَّ ثمّةَ دلالاتٍ لصيغةِ الماضي في ضوءِ السّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، وهي: الدّلالةُ على حدث منتهٍ في وقت ما من الماضي، أو الدلالةُ على حدث بُدئ به في الماضي وانتهى فيه كذلك، أو الدّلالة على قُرب وقوع الحدث في الماضي، أو الدّلالة على تكرار وقوع الحدث في الماضي، أو الدّلالة على استمرار وقوع الحدث في الماضي، أو الدّلالة على انتهاء وقوع الحدث في زمنٍ

---

[1] انظر: أبو حيّان، البحر المحيط، 90/5.

[2] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 274/12.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 60/19.

ماضٍ قريبٍ من لحظة التكلّم، أو الدّلالة على الزمن الماضي الدائم[1]، ولكلّ دلالةٍ شواهدُها في التّنزيل العزيز.

ومِن مُثُلِ ذلكَ فيما أُودِعَ فيهِ الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل) قوْلُهُ تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحج 63]، دليلًا على أنّ اللهَ سبحانَهُ خيرُ الرّازقينَ لِما لَهُ مِنَ العَظَمَةِ، بآيةٍ مُشاهَدَةٍ جامِعَةٍ بَيْنَ العالَمِ العُلْوِيّ والسُّفلِيّ قاضِيَةٍ بِعُلُوّهِ وكِبَرِهِ، فقالَ: (أَلَمْ تَرَ) أيْ أيُّها المُخاطَبُ (أَنَّ اللَّهَ) المُحيطَ قدرةً وعِلمًا (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ) بأنْ يُرسِلَ رياحًا فتثيرَ سحابًا فيُمطِرَ على الأرضِ الملساءِ. ولمّا كانَ هذا الاستفهامُ المتلوُّ بالنّفي في معنى الإثباتِ لِرؤيةِ الإنزالِ لِكوْنِهِ فيهِ معنى الإنكارِ، عَطَفَ على (أَنْزَلَ) مُعقِّبًا لَهُ على حَسَبِ العادَةِ قوْلَهُ، مُعبّرًا بالمضارِعِ تنبيهًا على عَظَمَةِ النّعمَةِ بِطولِ زمانِ أثرِ المطرِ وتجدُّدِ نفْعِهِ... ولمْ ينصبْ (فتصبحُ) على أنّهُ جوابُهُ لِئلّا يُفيدَ نفيَ الاخضرارِ؛ وذلكَ لأنَّ الاستفهامَ مِنْ حيثُ فيهِ معنى الإنْكارِ نفيٌ لِنفي رؤيةِ الإنزالِ الذي هو إثباتُ الرؤيةِ، فيكون ما جُعِلَ جوابًا لهُ منفيًّا، لأنَّ الجوابَ متوقّفٌ على ما هو جوابُهُ، فإذا نفى ما عليهِ التّوقّفُ انتفى المتوقّفُ عليْهِ، أيْ إذا نُفِيَ الملزومُ انتفى اللّازمُ وإذا نُفِيَ السّببُ انتفى المُسبَّبُ، ولو نَصَبَ (يصبحُ) على أنَّهُ جوابُ الاستفهامِ لَكانَ المعنى أنَّ عَدَمَ الاخضرارِ مُتوقّفٌ على نفي النّفي لِلإنزالِ الذي هو إثباتُ الإنزالِ، وهو واضِحُ الفساد[2].

وفي العدولِ عن صيغةِ الماضي (فأصبحت) إلى صيغة المضارعِ (فتصبح) نكتةٌ بلاغيّةٌ، ألا وهي "إفادةُ بقاءِ أثَرِ المطرِ زمانًا بعدَ زمانٍ. كما تقول: أنْعَمَ عليَّ فلانٌ عامَ كذا، فأروح وأغدو شاكِرًا لَهُ. ولو قلت: فرِحْتُ وغدوتُ، لم يقع ذلكَ الموقِعَ"[3].

---

[1] محمد رجب الوزير، الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربيّة دراسة في ضوء السياق القرآني، ص103.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 82/13.

[3] انظر: الزمخشري، الكشاف، 168/3.

ثانيًا- النّظمُ القرآنيُّ في سياق الجذر (ن ز ل)

لا شكَّ أنَّ النَّظمَ القرآنيَّ سواءٌ أكانَ في مفردةٍ أم في مقطعٍ، صيغةً كانَ أم تركيبًا، وجهٌ مِن وجوهِ إعجازِ القرآنِ العظيمِ المُنزَّلِ على رسولِ اللهِ محمّدٍ -صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم-، وهو مرتبطٌ بالسّياقِ الذي يكونُ فيهِ ارتباطًا وثيقًا، ومِنَ السّياقِ ما يكونُ مقالًا، ومنْهُ ما يكونُ حالًا أو مقامًا، والمتدبّرُ لآياتِ الذّكرِ الحكيمِ يجدُ أنَّ ثمّةَ دقّةً لغويَّةً في نظمِ تركيبِها بما يتناسبُ والسّياقَ المقاميّ الذي جاءتْ فيه، "فلا يكادُ يخلو موْضِعٌ مِنْ مواضِعِ التّعبيرِ مِنْ مراعاةِ المقامِ. فهو أمرٌ عامٌّ في عمومِ المَواطِنِ مِنَ الذِّكْرِ والحَذْفِ، والتّقديمِ والتّأخيرِ، والتّوكيدِ وعدمِهِ، وفواصِلِ الآيِ، والالتفاتِ، واختيارِ لفْظَةٍ على أُخرى، وغيرِ ذلكَ مِنْ مواطِنِ التّعبيرِ"[1].

ويكمنُ إعجازُ النّظمِ القرآنيّ في المبنى والمعنى؛ ذلكَ أنَّ اختيارَ صيغةٍ صرفيّةٍ ما تقتضي اتّساقًا والمعنى مِن جهة، ومن جهةٍ أُخرى فإنّ النّظمَ المُعجِزَ في القرآنِ يتجلّى بالخروجِ عن أصنافِ كلامِ العربِ وأساليبِ خطابِهم، والخروجِ عن عادتِهم، فالقرآنُ مُعجِزٌ بِهذهِ الخصوصيّةِ التي ترجِعُ إلى جُملةِ القرآنِ، وتحصُلُ في جميعِهِ[2].

والحقُّ أنَّ ظواهرَ لغويَّةً جرتْ على ألسُنِ العربِ مِن مثلِ التّقديمِ والتّأخيرِ، والذّكرِ والحذفِ، والالتفاتِ وغيرِها تُكسِبُ التّركيبَ الجُمْليَّ بلاغةً وفصاحةً، فكيْفَ إذا تجلّتْ هذهِ الظّواهرُ في التّنزيلِ العزيزِ؟ لا شكَّ أنَّها ستُكسِبُهُ نظمًا دقيقًا مُحكَمًا إنْ في الآيةِ أو في المقطعِ أو في السّورةِ؛ "فالتَّعبيرُ القُرآنيُّ تعبيرٌ فنّيٌّ مقصودٌ، كلُّ لفظةٍ، بلْ كلُّ حرفٍ فيهِ وُضِعَ وَضْعًا فنيًّا مقصودًا، ولم تُراعَ في هذا الوَضْعِ الآيةُ وَحْدَها بلْ رُوعِيَ في هذا الوَضْعِ التّعبيرُ القرآنيُّ كلُّهُ"[3].

---

[1] انظر: فاضل صالح السّامرائي، مراعاة المقام في التعبير القرآني، ط2، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 2019م، ص5.

[2] انظر: الباقلّاني، أبو بكر محمّد بن الطيّب، إعجاز القرآن، تحقيق السّيّد أحمد صقر، ط5، دار المعارف، مصر، 1997م، ص35.

[3] انظر: فاضل صالح السّامرائيّ، التّعبير القرآني، ص10.

ويقفُ الباحثُ في هذهِ الظّاهرةِ اللُّغويّةِ- ظاهرةِ النّظمِ القرآنيّ في سياقِ الجذر (ن ز ل)- على أقطابٍ مخصوصةٍ ثلاثةٍ تتجلّى فيها بلاغةُ النّظمِ وإعجازُهُ، وهذهِ الأقطابُ هي:

1. الرّتبةُ وأسلوبيّةُ التّقديمِ والتّأخيرِ.
2. أسلوبيّةُ القَصْرِ.
3. أسلوبيّةُ الحَذْف.

أوّلًا- الرّتبةُ وأسلوبيّةُ التّقديمِ والتّأخير

تقعُ الرّتبةُ، وما يتعلّقُ بها مِن أسلوبيّةِ التّقديمِ والتّأخيرِ، في المستوى التّركيبيّ، حيثُ نظمُ الجملةِ العربيّةِ، وفي المستوى الدّلاليّ، حيثُ مراعاةُ المقامِ وانتظامُ السّياقِ. ومِن مُثُلِ ذلكَ في القرآنِ ما وقعَ مُتشابهًا تشابهًا لفظيًّا؛ مِن جهةِ المُعجَمِ أو مِن جهةِ الصّرفِ والنّحوِ.

فأمّا مِن جهةِ المُعجَمِ فإبدالُ كلمةٍ بأُخرى، ومثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [البقرة 213]؛ والظّاهرُ في الآيةِ السّابقةِ أنّهُ سبحانَهُ أنزل مع النبيّين كُتُبًا ليبيّنوا للنّاسِ حياتَهم ويحكموا اختلافَهم. أمّا الذينَ أوتوهُ "فعكسوا الأمرَ حيثُ جعلوا ما أُنزِلَ مُزيحًا للاختلافِ سببًا لرسوخِهِ واستحكامِهِ. وبهذا يندفعُ السّؤالُ بأنّهُ لمّا لم يكنِ الاختلافُ إلّا مِن الذينَ أوتوهُ -فالاختلافُ لا يكونُ سابقًا البعثة- وحاصلُهُ أنَّ المُرادَ ههنا استحكامُ الاختلافِ واشتدادُهُ، وعبّرَ عنِ (الإنزالِ) بـ(الإيتاء)؛ للتّنبيهِ مِنْ أوّلِ الأمرِ على كمالِ تمكُّنهم مِنَ الوقوفِ على ما فيهِ مِنَ الحقّ، فإنّ (الإنزال) لا يُفيدُ ذلك، وقيلَ: عبَّرَ بِهِ ليختصَّ الموصولُ بأربابِ العِلمِ والدّراسةِ مِن أولئكَ المختلفينَ، وخصَّهم بالذّكرِ لِمَزيدِ شناعةِ فِعلهم، ولأنَّ غيرَهم تبَعٌ لهم"[1].

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 496/1.

ومِن مُثُلِ ذلكَ أيضًا قوْلُهُ تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [هود 12]؛ حيثُ التّعبيرُ بالإنزالِ دونَ الإعطاءِ؛ خدمةً للسّياقِ القرآنيّ الشّريفِ، لأنّ مرادَ الذينَ كفروا "التّعجيزُ بِكوْنِ ذلكَ على خِلافِ العادةِ؛ لأنَّ الكنوزَ إنّما تكونُ في الأرضِ ولا تنزِلُ مِنَ السّماءِ، ويحتمِلُ أنّهم أرادوا بالإنزالِ الإعطاءَ مِن دونِ سببٍ عاديّ كما يُشيرُ إليْهِ سببُ النّزولِ أي: لولا أُعطِيَ ذلكَ لِيتحقّقَ عنْدَنا صِدْقُهُ"[1].

وليستِ المادّةُ المُعجميّةُ دالّةً على معنًى صرفيّ، ولا تلبثُ هذهِ المادّةُ كثيرًا حتى تنهضَ بها الصّيغةُ الصّرفيّةُ، فتُخصِّصَها وتوجّهَها لإيصالِ المُرادِ للمتلقّي، ذلكَ أنّ اختيارَ صيغةٍ صرفيّةٍ أو قالبٍ صرفيٍّ دونَ غيْرِهِ يُفضي إلى عدولٍ صرفيٍّ عنِ الأصلِ، ولهذا العدولِ بلاغةٌ تتخلّقُ دلالتُها كما تقتضي لها الحالُ أو سياقُ الكلامِ.

وأمّا مِن جهةِ الفروقِ الصّرفيّةِ فإبدالُ صيغةٍ صرفيّةٍ بأُخرى، ومثالُ ذلكَ صيغتا (أفعل) و(فعّل) للجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في التّنزيلِ العزيزِ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف 40]، وقوْلِهِ تعالى: ﴿**قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ**﴾ [الأعراف ٧١]. فالسّياقُ في الآيتيْنِ مُتباينٌ، الأمر الذي أثّرَ في تحديدِ الصّيغةِ الصّرفيةِ المناسبةِ لنظمِ السّياقِ المُعجزِ، "ولمّا كانَ مقصودُ الآيةِ في سورةِ يوسف وصفَ الكتابَ بالإبانةِ للهدى، وكانَ نفيُ الإنزالِ كافيًا في الإبانةِ؛ لأنَّ عبادةَ الأصنامِ باطلةٌ، ولم يكن في السّياقِ كالأعراف (ما نزَّلَ) مجادلةٌ تُوجِبُ مماحكةً ومماطلةً ومُعالجةً ومُطاولةً، قالَ نافيًا للإنزالِ بأيّ وصْفٍ كانَ: (ما أنْزَلَ اللهُ) المحيطُ عِلمًا وقدرةً"[2].

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 221/6.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 89/10.

وأمّا مِن جهةِ النّحوِ فتعدُّدٌ في الدّلالةِ التّركيبيّةِ باعثُهُ تعدُّدُ معاني حروفِ المعاني؛ إذ إنّ هذا المبحثَ يتنزّلُ بيْنَ عِلمَي النّحوِ والمعاني، وهو مِنَ البواعثِ العريضةِ التي تُؤذنُ بِظاهرةِ الاشتراكِ في التّنزيلِ العزيزِ، ذلكَ أنّ حروفَ المعاني كالمُشترَكِ اللّفظيّ؛ إذ إنّهُ يقعُ تحتَ الواحدِ مِنها، في الغالِبِ، معانٍ وظيفيّةٌ حتّى معَ توافرِ سياقٍ جُمْليٍّ[1]. ومثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٞ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة 102]، فقوْلُهُ: (وما) أي: واتّبعوا ما أُنزلَ على المَلَكيْنِ، وقيلَ: فيهِ إنباءٌ بأنَّ هذا التّخييلَ ضربانِ: مُودَعٌ في الكوْنِ هو أمرُ الشّياطينِ، ومُنزَّلٌ مِن غيبٍ هوَ المُتعلَّمُ مِنَ المَلَكيْنِ؛ وقالَ: (ببابلَ) تحقيقًا لنزولِهما إلى الأرضِ[2]. وعليْهِ يتعدَّدُ المعنى في (أُنزِلَ) إلى معنييْنِ اثنيْنِ:

أوَّلُهما: يُعلّمونَ النّاسَ السّحرَ، ويُعلّمونَ ما أُنْزِلَ على المَلَكيْنِ.

والآخَرُ: واتّبعوا ما تتلو الشّياطينُ، واتّبعوا ما أُنزِلَ على المَلَكيْنِ.

ولذا تكونُ (ما) في الأوّلِ في موضعِ نصبٍ، إذ هي نسَقٌ على السّحرِ. وفي الآخَرِ عطفٌ على الأُولى[3].

وفي (ما) وجهانِ إعرابيّانِ:

أحدُهما: بمعنى الذي، وتقديرهُ: الذي أُنزِلَ على الملكيْنِ.

والآخرُ: أنّها بمعنى النّفي، وتقديرُهُ: لم ينزلْ على الملكينِ... وفي ذلكَ قولان:

---

[1] انظر: مهدي عرار، المشترك اللّغويّ في القرآن الكريم، ص323 وما بعدها.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 77/2.

[3] انظر: الزجّاج، معاني القرآن، 183/1.

أحدُهما: أنّ سحرةَ اليهودِ زعموا أنّ الله تعالى أنزلَ السّحرَ على لسانِ جبريلَ وميكائيلَ إلى سليمانَ بن داودَ، فأكذبهم الله بذلكَ، وفي الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُهُ: وما كفرَ سليمانُ، وما أُنزِلَ على الملكيْنِ، ولكنَّ الشّياطينَ كفروا، يُعلّمونَ النّاسَ السِّحرَ ببابلَ هاروتَ وماروتَ، وهما رجلانِ ببابلَ.

والآخرُ: أنَّ هاروتَ وماروتَ ملَكانِ أهبَطَهما اللهُ عزَّ وجلَّ إلى الأرضِ[1].

ولعلَّ ما يرمي إليْهِ الباحثُ في هذا المبحثِ ترتيبُ الجملةِ العربيّةِ وتركيبُها وأُسلوبُ النّظمِ القرآنيّ وما فيهِ مِن تقديمٍ وتأخيرٍ. وفي أسلوبيّةِ التّقديمِ والتّأخيرِ تقسيمٌ مُقتَضبٌ، ذلكَ أنّه يمكننا تقسيمُ أحوالِ التّقديمِ والتّأخيرِ إلى قسميْنِ: تقديمِ اللّفظِ على عاملِهِ نحو: زيدًا أكرمْتُ، وتقديمِ الألفاظِ بعضِها على بعض في غيرِ العاملِ، وذلكَ نحوَ قولِهِ تعالى: {وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} [البقرة: 173]. وقولِهِ تعالى: {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [المائدة: 3][2]. ومِن مُثُلِ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة 40] ففي قوْلِهِ عزّ وجلّ: (فأنْزَلَ اللهُ سكينتَهُ عليْهِ) تقديمٌ وتأخيرٌ أَذهلَ بعضَ المُفسّرينَ حتّى أوقعَهم في اختلافٍ في تحديدِ مرجعِ الضّميرِ في كلمةِ (عليْهِ)، وفي ذلكَ قَوْلانِ:

أحدُهُما: على النبيّ –صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ–. قالَهُ الزَّجّاج.

والآخرُ: على أبي بكرٍ؛ لأنّ اللهَ قدْ أعلَمَ نبيَّهُ بالنّصرِ.

وفي السّكينةِ أربعةُ أقوالٍ: أوّلُها أنّها الرّحمةُ، وقالَهُ ابنُ عبّاس. والثّاني أنّها الطّمأنينةُ، وقالَهُ الضّحّاك. والثالث أنّها الوقارُ، وقالَهُ قتادةُ. والرّابعُ أنّها شيءٌ يُسكِنُ اللهُ بهِ قلوبَهُم، وقالَهُ الحسنُ وعطاءٌ[3].

---

[1] انظر: الماوردي، النّكت والعيون، 165/1.

[2] انظر: فاضل صالح السّامرائيّ، التّعبير القرآني، ص 49 وما بعدها.

[3] انظر: الماوردي، النكت والعيون، 365/2.

ويكونُ للسّياقِ القرآنيّ المُحكَمِ أثرٌ في الدّلالةِ والبيانِ، و"بهذا البيانِ تندفعُ الحَيْرَةُ التي حصلتْ للمُفسّرينَ في مَعنى الآيةِ، حتى أغربَ كثيرٌ مِنْهم فأرجَعَ الضميرَ المجرورَ مِن قولِهِ: (فأنْزَلَ اللهُ سكينتَهُ عليهِ) إلى أبي بكر، معَ الجزْمِ بأنّ الضّميرَ المنصوبَ في (أيَّدهُ) راجِعٌ إلى النبيّ –صلّى اللهُ عليه وسلّمَ– فَنَشَأ تشتيتُ الضَّمائرِ، وانفكاكُ الأسلوبِ بِذِكْرِ حالةِ أبي بكر، مَعَ أنّ المَقامَ لذكرِ ثباتِ النّبيّ –صلّى اللهُ عليهِ وسلّم– وتأييدِ اللهِ إيّاه، وما جاءَ ذكرُ أبي بكرٍ إلا تَبَعًا لذكرِ ثباتِ النّبيّ –صلّى اللهُ عليهِ وسلّم–، وتلكَ الحَيرةُ نشأتْ عنْ جَعْلِ (فأنْزَلَ اللهُ) مُفرّغًا على قوْلِهِ: (إذْ يقولُ لصاحبِهِ لا تحزنْ)، وألْجأهمُ إلى تأويلِ قولِهِ: (وأيَّدهُ بجُنودٍ لمْ ترَوْها)، إذ إنّها جُنودُ الملائكةِ يومَ بدرٍ. وكلُّ ذلك وقوفٌ معَ ظاهرِ ترتيبِ الجُمَلِ معَ الغفلةِ عنْ أسلوبِ النّظْمِ المُقتضي تقديمًا وتأخيرًا[1]. ويخلُصُ الباحثُ مِن هذا الموضِعِ إلى أنَّ للنّظمِ القرآنيّ ترتيبًا يقتضي التّقديمَ والتّأخيرَ بما تكونُ لهُ العنايةُ بحسبِ مُقتضى الحالِ؛ إذ "إنَّ لتقديمِ الألفاظِ بعضِها على بعضٍ أسبابًا عديدةً يقتضيها المقامُ وسياقُ القوْلِ، فما كانتْ بِهِ عنايتُكَ بِهِ أكبر قدّمْتَهُ في الكلام. والعنايةُ لا تكونُ مِنْ حيثُ إنَّها لفظةٌ معيّنةٌ، بلْ قد تكونُ العِنايَةُ بِحَسَبِ مُقتضى الحالِ. ولذا كان عليكَ أنْ تقدّمَ كلِمَةً في موضِعٍ ثُمّ تؤخّرَها في موضِعٍ آخَرَ، لأنَّ مراعاةَ مقتضى الحالِ تقتضي ذاكَ"[2].

ومِن ذلكَ أيضًا ما يتعلّقُ بالجارّ والمجرور المتعلّقيْنِ بالفعلِ (أنزل)، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ**﴾ [البقرة 285]، فقدَّمَ المُنزَّلَ إليْهِ، وهو محمّدٌ صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم، على المُنزِلِ، فلم يقُلْ: (بما أنزلَ ربُّهُ إليْهِ) وإنّما قالَ جلَّ وعلا: **(بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ)**، وهذا التّقديمُ يُناسبُ مقصدَ الآيةِ، وهو بيانُ كرامةِ الرّسولِ –صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ– وأنَّ مِن سَنَنِ العربِ تقديمَ الأهمّ في سياقِ كلامهم، إضافةً إلى أنَّ قوْلَهُ تعالى: **(بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ)** يشملُ "الأحكامَ المَذْكورةَ في هذهِ السُّورَةِ وغيرها، والمُرادُ إيمانُهُ بذلكَ إيمانًا تفصيليًّا، وأجْمَلَهُ إجلالًا لِمَحلِّهِ –صلّى اللهُ

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 204/10.

[2] انظر: فاضل صالح السّامرائيّ، التّعبير القرآني، ص 51–52.

عليهِ وسلَّم– وإشعارًا بأنّ تَعَلُّقَ إيمانِهِ –عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ– بتفاصيلِ ما أُنْزِلَ إليهِ وإحاطتِهِ بجميعِ ما انْطوى عليهِ ممّا لا يكتنِهُ كُنْهَهُ ولا تَصِلُ الأفكارُ وإنْ حَلَّقَتْ إليهِ قَدْ بَلَغَ مِنَ الظُّهورِ إلى حيثُ استغنى عنْ ذِكْرِهِ واكْتُفِيَ عنْ بيانِهِ. وفي تقديمِ الانتهاءِ على الابتداءِ مَعَ التّعرُّضِ لعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ والإضافَةِ إلى ضميرِهِ –صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ– ما لا يخفى مِنَ التّعظيمِ لِقَدْرِهِ الشّريفِ والتّنويهِ بِرِفْعَةِ مَحَلِّهِ المُنيفِ[1].

أمّا بالنّسبةِ للإيمانِ المذكورِ في الآيةِ، فهو "إيمانُ الرّسولِ، فيكونُ بأمريْنِ: تحمُّلِ الرّسالةِ، وإبلاغِ الأُمَّةِ. وإيمانُ المُؤمنينَ فيكونُ بالتَّصديقِ والعَمَلِ"[2].

ومِنَ الأمثلةِ على التّقديمِ والتّأخيرِ ما يقعُ في بابِ التّعلُّقِ، تعلُّقِ الظّرفِ بالفِعلِ، ولعلّ بابَ التّعلُّق في هذا المبحثِ يُجلّي الرّتبةَ في الجملة، يقولُ تعالى: ﴿**وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [آل عمران 72]. فقولُهُ: (وجْهَ النّهارِ) "منصوبٌ على الظَّرْفِ لأنّهُ بمعنى أوّلِ النّهارِ، وفي ناصب هذا الظَّرْفِ وجهانِ: أحدُهما، وهو الظاهر، أنّهُ فِعْلُ الأمْرِ مِنْ قولِهِ (آمِنوا)، أيْ: أوقِعوا إيمانَكُم في أوّلِ النّهارِ، وأوقِعوا كفرَكم في آخرِهِ. والآخرُ: أنّهُ (أنْزَلَ)؛ أيْ: آمِنُوا بالمُنزَّلِ في أوّلِ النّهارِ، وليسَ ذلكَ بظاهرٍ؛ بدليلِ المُقابَلَةِ في قوْلِهِ: (واكفُروا آخِرَهُ)، فإنّ الضّميرَ يعودُ على النّهارِ. ومَنْ جوَّزَ الوَجْهَ الثّاني جَعَلَ الضّميرَ يعودُ على الذي أُنزِل، أيْ: واكفُروا آخرَ المُنَزَّلِ، وأسبابُ النّزولِ تُخالِفُ هذا التّأويلَ[3].

وفي تتبّعِ سببِ النُّزولِ نجدُ أنّ "المُرادَ بالطّائِفَةِ: كَعبُ بنُ الأشرفِ ومالِكُ بنُ الصَّيْفِ، قالا لأصحابِهما لمّا حُوِّلَتِ القِبْلَةُ: آمِنُوا بِما أُنْزِلَ عليْهِم مِنَ الصّلاةِ إلى الكعبةِ وصلُّوا إليها أوّلَ النّهارِ ثم صلُّوا إلى الصّخرةِ آخرَهُ لعلَّهُم يقولونَ هُم أعلَمُ مِنّا وقدْ رجعُوا فيرجِعونَ. وقيلَ: هُم اثنا عَشَرَ رجلًا مِنْ أحْبارِ خيْبرَ تقاوَلُوا بأنْ يدْخُلوا الإسلامَ أوّلَ النّهارِ،

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 65/2.

[2] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 362/1.

[3] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 249/3.

ويقولوا آخِرَهُ نَظَرْنا في كتابِنا وشاوَرْنا عُلماءَنا فلَمْ نَجِدْ محمّدًا بالنّعتِ الذي وَرَدَ في التّوراةِ لعلَّ أصحابَهُ يشكّونَ فيهِ[1].

والملاحَظُ مِن أُسلوبيّةِ التّقديمِ والتّأخيرِ أنّها تُفضي إلى تعالُقٍ أسلوبيٍّ تركيبيٍّ، ولا سيّما في التّنزيلِ العزيزِ؛ إذ إنَّ "القرآنَ أعلى مَثَلٍ في التّقديمِ والتّأخيرِ، فإنّا نراهُ يقدّمُ لفظَةً مرَّةً ويُؤخّرُها مرَّةً أُخرى على حَسَبِ المقامِ. فنراهُ مثلًا يُقدّمُ السَّماءَ على الأرضِ، ومرَّةً يقدّمُ الأرضَ على السّماءِ، ومرّةً يقدّمُ الإنسَ على الجِنّ، ومرّةً يقدّمُ الجِنَّ على الإنسِ، ومرّةً يُقدّمُ الضُّرَّ على النَّفعِ، ومرّةً يُقدّمُ النَّفْعَ على الضُّرِّ، كُلُّ ذلكَ بِحَسَبِ ما يقتضيهِ فنُّ القولِ وسياقُ التّعبيرِ"[2]. ومثالُ ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ**﴾ [آل عمران 154]. فالضميرُ في قوْله: (ثم أنزل) "ضميرُ اسمِ الجلالةِ، وهو يُرجّحُ كونَ ضميرِ (أثابكم) مثلَهُ لِئلّا يكونَ هذا رجوعًا إلى سياقِ الضّمائِرِ المتقدّمةِ مِنْ قوْلِهِ: (ولقد صدَقَكُم اللهُ وعدَهُ) آل عمران: 152. والمعنى ثُمّ أغشيْناكُم بالنّعاسِ بعْدَ الهزيمةِ. وسُمّيَ الإغشاءُ إنزالًا؛ لأنّهُ لمّا كانَ نُعاسًا مُقدَّرًا مِنَ اللهِ لِحِكمَةٍ خاصّةٍ، كانَ كالنّازِلِ مِنَ العوالِمِ المُشرَّفَةِ، كما يُقال: نزلَتِ السّكينةُ... وكانَ مُقتضى الظّاهرِ أنْ يُقدَّمَ النُّعاسُ ويؤخَّرَ (أَمَنَةً)؛ لأنَّ أَمَنَةً بمنزِلَةِ الصّفَةِ أو المفعولِ لأجلِهِ فحقُّهُ التّقديمُ على المفعولِ، كما جاءَ في آيةِ الأنفال: (إذْ يُغشّيكُم النّعاسُ أَمَنَةً مِنْهُ) الأنفال: 11. ولكنّهُ قدَّمَ المِنَّةَ هنا تشريفًا لشأنِها؛ لأنّها جُعِلَتْ كالمُنَزَّلِ مِنَ اللهِ لِنَصْرِهم، فهو كالسّكينَةِ، فَناسَبَ أنْ يجعَلَ هو مفعولَ (أنْزلَ)، ويُجْعَلَ النُّعاسُ بدلًا مِنْهُ[3].

---

[1] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 49/2.

[2] انظر: فاضل صالح السّامرائيّ، التّعبير القرآني، ص 52.

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 133/4.

ثمّ أنّ ثمّةَ أوجُهًا إعرابيّةً مُتعدّدةً في نصبِ (أمنةً نعاسًا) أفضى إليها أسلوبُ التّقديمِ والتّأخيرِ، ومردُّ ذلكَ كلِّهِ إلى الرّتبةِ في الجُملةِ العربيّةِ، إذ إنَّ في نصْبِهما "أربعةَ أوْجُهٍ؛ منْها أنَّ (أَمَنَةً) مفعولُ (أنْزَلَ). وعلى هذا الوجْهِ يكونُ إعرابُ (نعاسًا) بدلًا، وهو بدلُ اشْتمالٍ، لأنَّ كلًا مِنَ الأَمَنَةِ والنّعاسِ يشتمِلُ على الآخَرِ، أو عطف بيانٍ عنْدَ غيرِ الجمهورِ، فإنَّهُم لا يشترِطونَ جريانَهُ في المعارِفِ..."[1]. والمُلاحَظُ ممّا سبقَ أنَّ التّقديمَ والتّأخيرَ يُفضيانِ إلى تعدُّدٍ في الوجوهِ الإعرابيّةِ، بالإضافةِ إلى أنَّ القرآنَ حمّالُ أوجهٍ، وفي ذلكَ الإعجازُ والبيانُ؛ ذلكَ أنَّهُ "بَلَغَ القرآنُ الكريمُ في فَنِّ التَّقديمِ والتَّأخيرِ –كما في غيره– الذّروةَ في وضعِ الكلِماتِ الوَضْعَ الذي تستحقّهُ في التَّعبيرِ بِحيثُ تستقرُّ في مكانِها المناسِبِ، ولم يكتفِ القرآنُ الكريمُ في وَضْعِ اللَّفظةِ بِمراعاةِ السّياقِ فحسب، بل راعى الموضعَ الذي وَرَدَتْ فيه اللّفظةُ في تعبيرٍ متّسقٍ متناسقٍ كأنَّهُ لوحَةٌ فنيَّةٌ واحِدَةٌ مكتمِلَةٌ مُتكامِلَةٌ"[2].

وثمّةَ هيئةٌ أُخرى لتقديمِ الجارّ والمجرورِ على المفعولِ بِهِ للفعلِ (أنزل)، وذلكَ في **قوْلِهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾** [إبراهيم 32]، فمعنى السّماء في قوْلِهِ: (وأنْزَلَ مِنَ السّماءِ) "السّحاب، و(ماءً) أي نوعًا مِنْهُ وهو المَطَرُ. وسُمِّيَ السّحابُ سماءً لِعُلُوِّهِ وكُلّ ما علاكَ سماءٌ. وقيلَ: المُرادُ بالسّماءِ الفَلَكُ المعلومُ، فإنَّ المطرَ مِنْهُ يتبدَّى إلى السَّحابِ ومِنَ السّحابِ إلى الأرض وعليهِ الكثيرُ مِنَ المُحدّثينَ لظواهِرِ الأخبارِ... و(مِنْ) ابتدائيَّةٌ وهي مُتعلّقةٌ بـ(أنْزَلَ) وتقديمُ المجرورِ على المنْصوبِ (مِنَ السّماءِ ماءً) إمّا باعتبارِ كوْنِهِ مبتدأً لنُزولِهِ أو لتشريفِهِ كما في قولِكَ: إعطاءُ السُّلطانِ مِنْ خزائنِهِ مالًا أو لِما مرَّ غيْرَ مرَّةٍ مِنَ التّشويقِ إلى المُؤخَّرِ[3]، وهذا سرُّ التّقديمِ والتّأخير في الآية.

---

[1] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 444/3.

[2] انظر: فاضل صالح السّامرائيّ، التّعبير القرآني، ص 53.

[3] انظر: الألوسي، روح المعاني، 182/12.

وربّما يحدثُ تبايُنٌ سياقيٌّ تجلّيهِ الرّتبةُ وأسلوبيةُ التّقديمِ والتّأخيرِ، تقديمِ الجارّ والمجرور المُتعلّقيْنِ بالفِعلِ في موضِعٍ وتأخيرِهِ في موْضِعٍ آخرَ، ومثالُ ذلك التّباينُ الحاصلُ بيْنَ قوْلِهِ تعالى: ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾ [النمل 60]، وقوْلِهِ تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾ [النحل 10].

فالسّياقُ القرآنيُّ في آيةِ سورةِ النّحلِ مُتباينٌ عن السّياقِ في آيةِ سورةِ النّملِ، ما استدعى تباينًا في الرّتبةِ بينهما؛ ذلكَ أنّ السّياقَ في الأُولى امتدادٌ للحديثِ عن نِعَمِ الله تعالى المُيسّرةِ لِحياةِ البشرِ حيثُ السّكنُ واللّباسُ، هذهِ النّعَمِ التي تستدعي مِنَ العبدِ شُكرًا وعدمَ نكران، كما أنّها أدلّةٌ على قدرةِ اللهِ –عزّ وجلّ– في تسخيرِ الأرضِ والنباتاتِ للبشرِ، وتسخيرِ اللّيلِ والنّهارِ لتستقرَّ الحياةُ البشريّةُ مع هذا التآلفِ. أمّا السّياقُ في الأُخرى فامتدادٌ للحديثِ عنِ الإيمانِ باللهِ –عزّ وجلّ– والالتزامِ بأوامرِهِ، فجاءتِ الآياتُ المُرسَلاتُ المُنزّلاتُ دلائلَ لتوحيدِهِ تعالى؛ فهو الخالقُ الرّازقُ المُتفضّلُ بِكُلِّ النّعمِ على عبادِهِ.

ومِن جهةٍ أُخرى فإنّ السّياقَ في سورةِ النّحلِ "شروعٌ في نوعٍ آخرَ مِنَ النّعمِ الدّالّةِ على توحيدِهِ سُبحانَهُ، والمُرادُ مِنَ الماءِ نَوْعٌ مِنْهُ وهُو المَطَرُ، ومِنَ السّماءِ إمّا السّحابُ على سبيلِ الاستعارةِ أو المجازِ المُرسَلِ، وإمّا الكلامُ على حذْفِ مُضافٍ أيْ مِنْ جانبِ السّماءِ أو جِهتِها، وحَمْلُها على ذلكَ بدونِ هذا يقتضيهِ ظاهِرُ بعضِ الأخبارِ"[1]. أمّا في سورةِ النّملِ فالسّياقُ "التفاتٌ إلى خِطابِ الكَفَرَةِ... لتشديدِ التّبكيتِ والإلزامِ، أيْ: أنْزَلَ لأجلِكُم ومَنَعَتِكم"[2].

ويحدُثُ أنْ تتعالقَ أُسلوبيّةُ التّقديمِ والتّأخيرِ ومناسبةَ السّياقِ، فيُفضي هذا التّعالقُ إلى تعدُّدٍ في المعنى النّحوي للفعل (أنزل)، ومثالُ ذلكَ **قوْلُهُ تعالى:** ﴿**وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ**﴾ [الأنبياء 50]؛ فقوْلُهُ عزّ وجلّ: (وهذا ذِكْرٌ) يعني "القرآنَ الكريمَ؛ أشيرَ

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 348/7.

[2] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 293/6.

إليهِ بهذا للإيذانِ بسُهولَةِ تناولِهِ ووضوحِ أمرِهِ، وقيلَ: لِقُربِ زمانِهِ يتذكرُ بِهِ مَنْ تذكَّر، وُصِفَ بالوصْفِ الأخيرِ للتّوراةِ لِمُناسَبَةِ المَقامِ ومُوافَقَتِهِ لِما مَرَّ في صدْرِ السّورةِ... و(أنْزَلناهُ) إمّا صفةٌ ثانيةٌ لِـ(ذِكْرٌ)، أو خبرٌ آخرُ لِـ(هذا)، وفيهِ على التّقديريْنِ مِنْ تعظيمِ أمرِ القُرآنِ الكريمِ ما فيه، وتقديمُ الجارّ والمجرورِ في قولِهِ: (أفأنْتُم لَهُ مُنْكِرون) لِرعايَةِ الفواصِلِ أو لِلحَصرِ لأنهم مُعترِفونَ بِغيْرِهِ ممّا في أيدي أهلِ الكِتابِ[1].

وللسّياقِ القرآنيّ الأثرُ في تجلّي أُسلوبيّةِ التّقديمِ والتأخير؛ إذ "لمّا ذَكَرَ فُرقانَ موسى -عليهِ السَّلامُ- في قوْلِهِ: ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأنبياء 48]. وكانَ العربُ يشاهدونَ إظهارَ اليهودِ للتّمسُّكِ بِهِ والمُقاتَلَةِ على ذلكَ والاغتباطِ، حَثَّهُم على كِتابِهم الذي هو أشرَفُ مِنْهُ... فبقوْلِهِ -عزَّ وجلَّ- (أنْزلناهُ) أنْكَرَ عليْهم ردَّهُ ووبّخَهُم في سِياقٍ دالٍّ على أنَّهُم أقلُّ مِنْ أنْ يجْتَرِئُوا على ذلكَ، مُنبِّهًا على أنَّهم أوْلَى بالمُجاهدَةِ في هذا الكِتابِ مِنْ أهلِ الكِتابِ في كِتابِهم[2]. وما في هذهِ الآيةِ مِنْ إنزالِ الكِتابِ المُبارَكِ ما ذُكِرَ في مواضِعَ أُخَر يُلتَفَتُ إليْها لفتةً تركيبيّةً سياقيّةً مفادُها التّقديمُ والتّأخيرُ على نحْوِ قولِهِ:

- ﴿**وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ [الأنعام 92].
- ﴿**وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأنعام 155].
- ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [ص 29].

ففي قوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام 91] إنْكارٌ لأنْ يُنزّل اللهُ على بَشَرٍ (رسولِهِ) كِتابًا (القرآن)، وعليهِ فإنَّ الآيةَ التي

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 56/9.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 432/12.

بعدَها: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام 92] تصِفُ الكِتابَ بالإنزالِ؛ إذْ جاءَ عقِبَ إنكارِهم أنْ يُنزّلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شيءٍ بِخِلافِ ما جاءَ في قولِهِ تَعالى: (وهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أنْزلناهُ) [الأنْبياء 50]. ووقعتِ الصّفةُ الأولى جُملةً فِعليّةً، لأنَّ الإنزالَ يتجدّدُ وقتًا مؤقتًا والثّانية اسمًا صريحًا؛ لأنّ الاسمَ يدلُّ على الثّبوتِ والاستقرارِ، وهو مقصودٌ هنا أيْ: بركتُهُ ثابتةٌ مُستقرّةٌ[1].

وفي قوْلِهِ عزّ وجلّ: (وهذا كِتابٌ أنْزلناهُ) "تحقيقٌ لإنزالِ القُرآنِ الكَريمِ بعْدَ تقريرِ إنزالِ ما يشيرُ بِهِ مِنَ التّوراةِ، وتكذيبٌ لكلمتِهم الشّنعاءِ إثرَ تكذيبٍ. وتنكيرُ (كِتاب) للتّفخيمِ، وجُملةُ (أنْزلناهُ) في موضِعِ الرّفع صفةٌ بِهِ[2]. ويكشفُ السّياقُ عن الدّلالةِ ويُظهرُ بلاغةَ التّقديمِ والتأخيرِ وإعجازَ النّظم؛ إذ "لمّا أثبَتَ –سبحانَهُ– أنّهُ الذي أنْزلَ التّوراةَ والإنجيلَ تكميلًا لإثباتِ الرّسالَةِ بدليلِ عِلْمِ اليهودِ دونَ مَنْ لا كِتابَ لهُم عَطَفَ على ذلكَ قولَهُ تأكيدًا لإثباتِها وتقريرًا: (وهذا) أيْ: القرآنِ الذي هو حاضِرٌ الآنِ في جميعِ الأذهانِ (كتابٌ) أيْ: جامِعٌ لخيريْ الدّاريْنِ، وكانَ السّياقُ لأنْ يُقالَ: أنْزلَ اللهُ، ولكنّهُ أتى بنونِ العَظَمَةِ؛ لأنّها أدلُّ على تعظيمِهِ، فقالَ: (أنْزلناهُ) أيْ: وليسَ من عندِ محمّدٍ –صلّى اللهُ عليهِ وسلّم– مِنْ نفسِهِ، وإنّما هو بإنْزالِنا إيّاهُ إليْهِ وإرسالِنا لهُ بِهِ..."[3].

ثانيًا– أسلوبيّةُ القصرِ والسّياقُ القرآنيُّ

ومِنَ الأساليبِ التي يتبعُ الكلامُ فيها غرضًا ومعنًى خاصّيْنِ يترتّبُ عليْهما، أسلوبُ القصرِ، ولا سبيلَ لإدراكِ لطائفِ هذا الأسلوبِ البلاغيّةِ بِمعزلٍ عنِ السّياقِ الذي وُضِعَ فيهِ، وقيلَ في معناهُ: "أنْ تُؤدّيَ الجملةُ الواحدةُ حُكميْنِ مقصوديْنِ مختلفيْنِ بالإيجابِ والسَّلبِ مِن طريقِ الوضْعِ أو مِن طريقِ العقلِ والذّوقِ، وهذهِ هيَ الجُملةُ التي حُكِمَ فيها بِثبوتِ شيءٍ

---

[1] انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 38/5.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 209/4.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 188/7.

لآخرَ على جهةِ الاختصاصِ وعدمِ تعدّي الأوّلِ والثّاني، أو حُكِمَ فيها بِسلْبِ شيءٍ عن آخرَ على جهةِ الاختصاصِ كذلكَ"[1].

والباحثُ ليسَ بِصددِ تعريفِ القصْرِ تعريفًا مستفيضًا، وتَعدادِ أركانِهِ وأقسامِهِ، وتفصيلِ ذلكَ كلّهِ، إنّما يذكرُ القصْرَ –ههنا– لِكوْنِهِ أسلوبًا مِن أساليبِ النَّظْمِ في الجُملَةِ العربيّةِ، يُؤتى بِهِ لبيانِ مقصِدٍ مُتعلّقٍ بالسّياقِ الذي جاءَ بِهِ؛ إذ إنَّ القصْرَ درسٌ مِن دروسِ المعاني الذي يشرحُ نظريةَ النّظْمِ، وهو –كما هو معروف– يجيءُ على صورٍ عدّةٍ منها: القصْرُ بـ(إنّما)، والقصْرُ بـ(ما) و(إلّا)، وتقديمُ ما حقُّهُ التّأخيرُ...[2].

وقد قيلَ في اصطلاحِ علماءِ البلاغةِ إنَّ القَصْرَ تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بِعبارةٍ كلاميَّةٍ تدلُّ عليْهِ، أو هو جعلُ شيءٍ مقصورًا على شيءٍ آخرَ بِواحدٍ مِنْ طُرُقٍ مخصوصةٍ مِنْ طُرُقِ القوْلِ المُفيدِ للقَصْرِ[3].

ومِن مُثُلِ ذلكَ في التّنزيلِ العزيزِ قوْلُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الحجر 21]، ففي هذا الموضِعِ قصْرُ ما يُنزَّلُ مِنَ السّماءِ مِن ماءٍ، فيكونُ فيهِ النَّفعُ والخيرُ بالقَدَرِ المعلومِ المحتومِ كما رُويَ عن ابنِ مسعودٍ وغيرِهِ أنَّهُ ليسَ عامٌ أكثرَ مطرًا مِن عامٍ، ولكن يُنزِلُهُ اللهُ في مواضِعَ دونَ مواضِع[4]. ولهذا القصْرِ بلاغةٌ يقتضيها السّياقُ القرآنيُّ الشّريفُ؛ ذلكَ أنَّ اللهَ تعالى وحدَهُ يعلمُ خزائنَ الأشياءِ التي منها يُنزِّل، وذلكَ استدعى الاختصاصَ والقصرَ في الآية، "وإنَّ تخصيصَ كُلِّ شيءٍ بِصفةٍ مُعيّنةٍ وقدْرٍ معيّنٍ ووقتٍ محدودٍ دونَ ما عدا ذلكَ معَ استواءِ الكُلِّ في الأشكالِ وصحّةِ تعلُّقِ القدرةِ بهِ لا بُدَّ لهُ مِن حِكمةٍ تقتضي اختصاصَ كُلٍّ مِن ذلكَ بما اختصَّ بِهِ"[5].

---

[1] انظر: القزويني، محمد بن عبد الرّحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت، 4/3.

[2] انظر: فضل حسن عبّاس، أساليب البيان، ص168 وما بعدها.

[3] انظر: الميدانيّ الدّمشقيّ، عبد الرّحمن بن حسن، البلاغة العربيّة، ط1، دار القلم، دمشق، 1996م، 523/1.

[4] انظر: ابن عطيّة، المحرّر الوجيز، 356/3.

[5] انظر: الألوسي، روح المعاني، 276/7.

وفي سياقٍ آخرَ، يقولُ تعالى: ﴿**وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ * وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ**﴾ [النحل 64-65]، وفي هذا الموضِعِ يجيءُ القَصْرُ مُناسبةً للمقصدِ الرّئيسِ والغايةِ مِن تنزيلِ الكتابِ؛ إذ إنّها تكمنُ في تبيانِ اختلافهم، والهدى والرّحمةِ للمؤمنينَ، ثمَّ يعقبُ سياقَ القصْرِ سياقٌ آخرُ، وهو مشهدُ إنزالِ الماءِ مِنَ السّماءِ ملاءمةً للرّحمةِ المُهداةِ والمنفعةِ المُعطاةِ مِن ربٍّ رحيمٍ كريمٍ وليسَ ذلكَ مِن سِواهُ. أمّا عنِ اقتصارِ الغايةِ بالبيانِ والهدى والرّحمةِ فهو "قصْرٌ ادّعائيٌّ؛ لِيرغَبَ السّامعونَ في تلقّيهِ وتدبُّرِهِ مِن مؤمنٍ وكافرٍ، كُلٌّ بِما يليقُ بِحالِهِ حتّى يستووا في الاهتداءِ، ثمّ إنَّ القَصْرَ يُعرِّضُ بِتفنيدِ أقوالِ مَنْ حَسِبوا مِنَ المُشركينَ بأنَّ القرآنَ أُنزِلَ بِذِكْرِ القَصصِ لِتعليلِ الأنفُسِ في الأسماءِ ونحوِها..."[1]. وفي ذلكَ بلاغةُ القَصْرِ وإعجازُ نَظْمِهِ وبيانُ مقصدِهِ.

ثالثًا- أسلوبيّةُ الحذفِ والسّياقُ القرآني

والحذفُ أسلوبٌ مِن أساليبِ البلاغةِ عندَ العربِ، وهو درسٌ مِن دروسِ علمِ المعاني الذي يشرحُ نظريةَ النّظمِ؛ إذ إنَّ مِن خصائصِ اللّغةِ العربيّةِ الإيجازَ، ويكونُ الإيجازُ مِنَ الحذفِ، ويُعرَفُ الحذفُ بالقرائنِ الدّالّةِ عليْهِ. وقد جاءَ القرآنُ الكريمُ على سَنَنِ العَرَبِ في فصاحتِهم وبلاغتِهم، فكانَ في آياتِهِ هذا الأسلوبُ، ولهذا الأسلوبِ فائدتانِ رئيستانِ: إحداهما كمالُ المعنى مَعَ المحذوفِ، والأُخرى حِكَمٌ بيانيّةٌ، وأغراضٌ بلاغيّةٌ تُفهَمُ مِن هذا الحَذْفِ[2].

وقد أفرَدَ ابنُ جنّي في خصائصِهِ بابًا في شجاعةِ العربيّةِ، قالَ فيهِ: "ومِنَ المجازِ كثيرٌ مِن بابِ الشجاعةِ في اللّغة: مِن الحذوفِ، والزّياداتِ، والتّقديمِ والتّأخيرِ، والحمْلِ على المعنى..."[3]. وقالَ ابنُ جنّي أيضًا في الحذْفِ: "قدْ حَذَفَتِ العربُ الجُملةَ، والمُفردَ، والحَرفَ،

---

[1] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 196/14.

[2] انظر: فضل حسن عبّاس، أساليب البيان، ص115 وما بعدها.

[3] انظر: ابن جنّي، الخصائص، 448/2.

والحركةَ، وليسَ شيءٌ مِن ذلكَ إلّا عن دليلٍ عليْهِ، وإلّا كانَ فيهِ ضربٌ مِن تكليفِ عِلمِ الغيْبِ في معرفتِهِ"[1].

وبالرجوع إلى الجرجاني في دلائل الإعجاز، إذ يقول في أسلوب الحذف: "هو بابٌ دقيقُ المَسلَكِ، لطيفُ المَأخذِ، عجيبُ الأمرِ، شبيه بالسّحرِ، فإنّكَ ترى بِهِ تركَ الذّكرِ أفصَحَ مِنَ الذّكرِ، والصّمتَ عنِ الإفادةِ أزيدَ للإفادةِ، وتجدكَ أنطَقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ، وأتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبِنْ"[2].

ومِن مُثُلِ ذلكَ في التّنزيلِ العزيزِ قوْلُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النحل 24]، وقوْلُهُ تعالى: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [النحل 30]، فهي على تقدير: أنزلَ خيْرًا، وربّما للسّياقِ أهميةٌ في الكشفِ عن هذا الأسلوبِ، فذكرُ الفِعلِ (أنزل) وحذفُهُ سواءٌ؛ لِما دلَّ عليْهِ السّياقُ، سياقُ الآيةِ. ومِن أدلّةِ الحذفِ ما يقتضيهِ العقلُ، أو ما يقتضيهِ الشَّرعُ، أو ما يكونُ عادةً، أو ما يكونُ مِن جهةِ السّياقِ.

ولأسلوبيّةِ الحذفِ في القرآنِ الكريمِ دواعٍ يذكرُ مِنها الزّركشيّ ما يكونُ لمجرّدِ الاختصار والاحتراز، ومنها التّنبيهُ على أنَّ الزّمانَ يتقاصرُ عنِ الإتيانِ بالمحذوفِ، ومِن ذلكَ التّحذيرُ كما في قوْلِهِ تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس 13]، ومنها ما يكونُ تفخيمًا وتعظيمًا، ومنها التّخفيفُ، ورعايةُ الفاصلةِ، وشهرتُهُ حتى يكونَ ذكرُهُ وعدَمُهُ سواء...[3]. كما أنّ لهُ فوائدَ بلاغيّةً عدّةً؛ ذلكَ أنَّ الحذفَ أساسُهُ الإيجازُ، ومِن هذهِ الفوائدِ وصولُ المعنى بأقلّ عددٍ مِنَ الألفاظِ، وهذا ما يدعمُهُ معنى البلاغةِ الذي يكمنُ في عبارةِ "خير الكلامِ ما قلَّ ودلَّ"، وكذلكَ مِن فوائدِهِ مُناسبةُ الفواصلِ القرآنيّةِ، ومثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون 6]. وبناءً عليْهِ فإنَّ للتّعبيرِ القرآنيّ نَظمًا خاصًّا يُناسبُ السّياقَ الذي وُضِعَ فيهِ سواءٌ أكانَ في هذا النّظمِ حذفٌ أو ذِكرٌ، ورُبّما "يُحذَفُ فيهِ

---

[1] انظر: ابن جنّي، الخصائص، 362/2.

[2] انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، 146/1.

[3] انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 108/3.

لفظٌ أو أكثرُ حسبَما يقتضيهِ السِّياقُ، فقد يَحذِفُ حرفًا أو يَذكُرُهُ أو يجتزِئُ بالحركةِ للدَّلالَةِ على المحذوفِ، كلُّ ذلكَ لِغَرَضٍ بلاغِيٍّ تلحظُ فيهِ غايةَ الفنِّ والجمالِ"[1].

ومِن فوائدِ الحذفِ أيضًا إثارةُ العقلِ لاستخراجِ الدّلالةِ وتحقيقِ المُتعةِ والدّهشةِ الآتيةِ مِن كوْنِ القرآنِ الكريمِ حمّالًا للأوجهِ والدّلالاتِ ومُعجِزًا في التّعبيرِ عنها، ومثالُ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿**الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ**﴾ [إبراهيم 1]، وهذا مثالٌ على حذفِ المُسنَدِ إليْهِ –وهي صورةٌ مِن صُورِ الحَذفِ– فالقرآنُ الذي هو مُسنَدٌ إليْهِ محذوفٌ في الآيةِ، وسدَّ عنْهُ ما وُصِفَ بِهِ بِقوْلِهِ عزّ وجلَّ: (أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ). وهذا جليٌّ في موْضِعٍ آخرَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾ [ص 29].

أمّا في قوْلِهِ تعالى: ﴿**وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ**﴾ [الأنعام 92]، وقوْلِهِ أيضًا: ﴿**وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ**﴾ [الأنعام 155] فذُكِرَ المُسنَدُ إليْهِ (هذا) في كلا الموْضعيْنِ؛ لأنَّ في الذّكرِ، في الموضِعِ الأوّلِ، معنًى ليْسَ في الحذْفِ، فلمّا ذكرَ المُسنَدَ إليْهِ عرَّفَ بِهِ وعظَّمَ لِيُناسِبَ سياقَ الآيةِ مع سابقتِها، و"لمّا أثبتَ –سبحانَهُ– أنَّهُ الذي أنزلَ التّوراةَ والإنجيلَ تكميلًا لإثباتِ الرّسالةِ بدليلِ عِلمِ اليهودِ دونَ مَنْ لا كتابَ لهم– عَطَفَ على ذلكَ قوْلَهُ تأكيدًا لإثباتِها وتقريرًا: (وهذا)"[2].

وفي قوْلِهِ تعالى: ﴿**وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ**﴾ [الأنعام 155] جاءَ الخِطابُ اتّساقًا معَ ما قبلَهُ في قوْلِهِ تعالى: ﴿**ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ**﴾ [الأنعام 154]، فذَكرَ المُسندَ إليْهِ، ولم يحذِفْ؛ لِما في ذلكَ مِن فائدةٍ عظيمةٍ يقتضيها مقامُ البسْطِ، حيثُ

---

[1] انظر: فاضل صالح السّامرائيّ، التّعبير القرآني، ص 75.

[2] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسُب الآياتِ والسُّور، 187/7.

تجمُلُ إطالةُ القوْلِ، وفي الذّكرِ أيضًا زيادةٌ في الإيضاحِ وتقريرٌ[1]. ويكمُنُ التّقريرُ في الآيةِ في إنزالِ هذا الكتابِ (القرآنِ) على هذهِ الأمّةِ، أمّةِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ، وإعلاءِ شأنِهِ بِذِكْرِ صفاتِهِ.

ويخلُصُ الباحثُ إلى أنَّ الحذْفَ يُعرَفُ بالذّكرِ، وأنَّ لِكلٍّ منهما أغراضَهُ وبواعثَهُ يكشفُ عنها السّياقُ، ولا سيّما السّياق القرآنيّ الشّريف، فما وجَبَ فيهِ الحذفُ لا يصلُحُ فيهِ الذّكرُ، وما صلُحَ فيهِ الذّكرُ لا يُحذَفُ؛ لنكتةٍ بلاغيّةٍ أسلوبيّةٍ مُعجِبةٍ.

ومِنَ الحذفِ كذلكَ حذفُ الحرفِ، وقد "يُحذَفُ مِنَ الفِعلِ للدّلالةِ على أنّ الحدثَ أقلُّ ممّا لم يُحذَفْ مِنْهُ، وأنّ زمَنَهُ أقصرُ، ونحو ذلك، فهو يقتطعُ مِنَ الفِعْلِ للدّلالَةِ على الاقتطاعِ مِنَ الحَدَثِ، أو يُحذَفُ فيهِ في مقامِ الإيجازِ والاختصارِ بِخِلافِ مَقامِ الإطالَةِ والتّفصيلِ. فإذا كانَ المَقامُ مقامَ إيجازٍ أوجزَ في ذِكْرِ الفِعْلِ، فاقتطعَ مِنْهُ، وإذا كانَ في مقامِ التّفصيلِ لم يقتطِعْ مِنَ الفِعْلِ، بلْ ذَكَرَهُ بِأوْفى صورَةٍ"[2]. ومِن مُثُلِ هذا الحذفِ حذفُ حرفِ التّاء مِن الفعل المضارع في صيغتيْ (تتفعّل) و(تتفاعل). وقد وردَ حذفُ التّاءِ في صيغةِ (تتفعّل) المودَعِ فيها الجذرُ اللُّغويّ (ن ز ل) في التّنزيل العزيز ثلاثَ مرّاتٍ مقابلَ مرّةٍ واحدةٍ تُذكَرُ فيها التّاءُ، والمواضِعُ التي حُذِفتْ منها التّاءُ هي:

* قوْلُهُ تعالى: ﴿**هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ**﴾ [الشعراء 221].
* وقوْلُهُ تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ**﴾ [الشعراء 222].
* وقوْلُهُ تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ**﴾ [القدر 4].

أمّا الموضِعُ الذي ذُكِرتْ فيهِ تاءُ المضارعة مع تاء الفعل (تنزّل) فقوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت 30].

---

[1] انظر: فضل عبّاس، أساليب البيان، ص116 وما بعدها.

[2] انظر: فاضل صالح السّامرائي، بلاغة الكلمة في التّعبير القرآنيّ، ط2، دار ابن كثير، بيروت، 2016م، ص11.

والمُلاحَظُ مِنَ الآياتِ السّابقةِ أنَّ اختلافًا في صيغَةِ الفِعْلِ (تنزّل)، وذلكَ بِحَذْفِ إحدى التّاءَيْنِ أو إثباتِها، واعتمادًا على السّياقِ القرآنيّ والقاعدةِ الصّرفيَّةِ "كُلُّ تغييرٍ يحدُثُ في المَبْنى يُؤدّي إلى تغييرٍ في المَعنى" فإنّ زيادةَ التّاءِ دلَّتْ على الزّيادَةِ في سياقِ الآيتيْنِ الأوليْنِ السّابقتيْنِ؛ ذلك "أنّ التنزُّلَ في آيةِ الشُّعراءِ أقلّ؛ لأنّ الشّياطينَ لا تتنزَّلُ على كلّ الكفَرَةِ، وإنّما تنزِلُ على الكَهَنةِ، أو على قسمٍ منْهُم... وكذلكَ التنزُّلُ في آيةِ سورةِ القدْرِ إنّما هو في ليلةٍ واحدةٍ في العامِ بِخلافِ ما هو في كلِّ لحظةٍ يموتُ فيها مؤمِنٌ مستقيمٌ، فتتنزَّلُ الملائكةُ؛ لِتُبَشّرَهُ بالجنّةِ كما هو في آيةِ فُصّلت"[1].

ومِن مواضِعِ حذفِ التّاءِ في صيغتيْ "تتفعّل" و"تتفاعل" في القرآن الكريم:

قوْلُه تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٞ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتٗا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ**﴾ [الحجرات 12]، وقوْلُهُ تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ**﴾ [الحجرات 13]، وقوْلُهُ تعالى: ﴿**فَأَنذَرْتُكُمْ نَارٗا تَلَظَّىٰ**﴾ [الليل 14].

ومِن صورِ الحذفِ حذفُ الموصولِ، وذلك في قوْلِهِ تعالى: ﴿﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٞ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت 46]، والسّياقُ –ههنا– فيهِ حوارٌ معَ أهلِ الكتابِ يُفضي إلى جِدالٍ منهيّ عنهُ في الآية، وسابقٍ لِأمرِ الإيمانِ بالقرآنِ المُعجِز وما فيهِ مِن أحكامٍ وتشريعاتٍ؛ إذ يُؤمِنُ بِهِ أولو العِلْمِ، وهذا القرآنُ كما هو مُنزَّلٌ إلى المؤمنينَ هوَ كذلكَ لِأهلِ الكتاب، وفي الآيةِ دعوةٌ إلى توحيدِ الخالِقِ جلَّ جلالُهُ، ولعلَّ في دعوةِ التّوحيدِ مُناسَبَةً للجَمْعِ في تنزيلِ الكتابِ، ولِذا كانَ حذفُ الموصولِ (والذي أُنزِلَ إليْكُم) أنسبَ. وليسَ (الذي أُنزِلَ إليْنا) هو الذي أُنزِلَ إلى مَن قبلَنا[2]، بينما أُعيدَتْ "ما" الموصولةِ بعدَ سابقتِها في

---

[1] انظر: فاضل صالح السّامرائي، بلاغة الكلمة في التّعبير القرآنيّ، ص12–13.

[2] انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 158/3.

قوْلِهِ تعالى: ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ**﴾ [البقرة 136]، فقوْلُهُ: (وما أُنزِلَ إليْنا) يعني القرآنَ المقدَّمَ على غيرِهِ في التّرتيبِ الإيمانيّ لا التّرتيبِ النّزوليّ، لأنَّهُ سببُ الإيمانِ بغيْرِهِ، لِكوْنِهِ مُصدِّقًا لِما قبلَهُ، فلم يحذِفْ الموصولَ اللّاحقَ في قوْلِهِ تعالى: (وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ) الذي يعني الصُّحفَ، وهي وإنْ نزَلتْ على إبراهيمَ عليْهِ الصّلاةُ والسّلامُ لكنْ لمّا كانَ ما عُطِفَ عليهِ مُتعبَّدينَ بتفاصيلِها داخلينَ تحتَ أحكامِها صحَّ نسبةُ نزولِها إليْهم أيضًا، كما صحَّحَ تعبُّدَنا بتفاصيلِ القرآنِ ودخولَنا تحتَ أحكامِهِ نسبةُ نزولِهِ إليْنا[1].

وممّا يُمكِنُ الاستئناسُ بِهِ لِتعليلِ حذفِ الاسمِ الموصولِ في آيةِ سورةِ العنكبوتِ، وذكرِهِ في آيةِ سورةِ البقرةِ أنَّ سياقَ محاجَّةِ أهلِ الكتابِ في سورةِ البقرةِ أطولُ منهُ ممّا في سورةِ العنكبوتِ، وأكثرُ تفصيلًا، وهذا التّفصيلُ يُناسبُهُ الزّيادةُ في الكلماتِ والحروفِ، ولِهذا ذُكِرَ الاسمُ الموصولُ في آيةِ سورةِ البقرةِ دونَ آيةِ سورةِ العنكبوتِ[2]، ولعلَّ للسّياقِ القرآنيّ أثرًا في ذِكرِ الموصولِ المعطوفِ، حيثُ بُطلانُ دعوى اليهودِ والنّصارى باتّباعِ قلّتِهم؛ ولِذا كانَ الفصلُ بالوصلِ أوْلى وأنسبَ.

وفي سياقٍ آخرَ، يقولُ تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء 136]، وهو سياقُ ذِكرٍ لأركانِ

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 392/1.

[2] "مِن منهجيّاتِ توجيهِ المتشابهِ اللّفظيّ المتعلّقةِ بالسّياقِ ملاحظةُ البسْطِ والاختصارِ في كلٍّ مِنَ السّياقيْنِ: فعادةً ما تجيءُ الآيةُ الخُصرى في السّياقِ الذي أوجزَ القصّةَ، والآية التي فيها زيادةُ ألفاظٍ وحروفٍ في السّياقِ الذي بسّطَ القصّةَ وفصّلها"، (محمد وصفي جلّاد، منهج الرّازي في توجيهِ المُتشابهِ اللّفظيّ، مجلّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة، جامعة الكويت، ص21). وقد اعتمدَ الرّازي على مثلِ هذا المسلكِ في توجيهِ اختلافِ ألفاظِ قصّةِ إنكارِ إبراهيمَ عليْهِ السّلامُ على الملائكةِ عند التّسليمِ في سورةِ الذّارياتِ، في حينِ أنكرهم عندما رأى أيديهم لا تصلُ الطّعام في سورةِ هود، فقال الرّازي: "وفي الجُملةِ مَنْ يتأمّل السّورتيْنِ يعلم أنَّ الحِكايةَ مَحكيّةٌ هناكَ على وجهِ الإضافةِ أبسط، فذكر فيها النّكتة الزّائدة، ولم يذكر ههنا". (انظر: الرّازي، مفاتيح الغيب، 176/28).

الإيمانِ، ومِنها الإيمانُ بالكُتُبِ المُنزَلةِ، ولذا فإنَّ الكتابَ الذي نزّلَ على رسولِهِ –وهو القرآنُ– شيءٌ، والكتاب الذي أنْزَلَ مِنْ قبلُ شيءٌ آخرُ. وثمّةَ لفتةٌ بلاغيّةٌ في لامِ العهدِ التي في الكتابِ الذي نزَّلَ على رسولِهِ، وأنَّ لامَ الكتاب الذي أُنزِلَ مِن قبلُ لامٌ للجنس، وعليْهِ يكونُ الخِطابُ للمؤمِنينَ جميعًا: أنِ اثبُتوا على إيمانكم، ودوموا عليْهِ، وآمنوا بالقرآنِ، وبِكُلِّ كتابٍ سماويٍّ موحّدٍ للهِ مِن قبلِهِ[1].

ثالثًا– مناسبةُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ وسياقَ الجذر (ن ز ل)

وهذا مبحثٌ أساسُهُ المتشابِه والمُختلف في آي الذّكر الحكيم المُودَع فيها الجذر (ن ز ل)، ومعلومٌ أنَّ ثمّةَ تراكيبَ في التّنزيلِ العزيزِ تتشابَهُ مَعَ تراكيبَ أُخرى، ويكونُ الاختلافُ بينها في مواطِنَ ضئيلةٍ "كأنْ يكونُ الاختلافُ في حرفٍ أو كلمةٍ، أو في نحوِ ذلكَ. وإذا تأمّلْتَ هذا التّشابُهَ والاختلافَ وجدْتَهُ أمرًا مقصودًا في كُلِّ جُزئيةٍ مِنْ جزْئياتِهِ قائمًا على أعلى درجاتِ الفنِّ والبلاغَةِ والإعجازِ. وكلّما تأمّلْتَ ازدَدْتَ عجبًا وانكشفَ لكَ سِرٌّ مستورٌ أو كنزٌ مخبوءٌ مِنْ كنوزِ هذا التَّعبيرِ العظيمِ"[2]. ومِن مُثُلِ ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿**قَالُوٓاْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ**﴾ [يس ١٥]، وقولُهُ تعالى: ﴿**قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ**﴾ [الملك ٩]، إذ إنّهم أعطَوا للهِ صفةَ الرّحمانيّةِ، فالنّفيُ في الآيةِ الأولى كانَ نفيًا للشيءِ الذي أُنزِلَ، ويحتملُ نفيُ الإنزالِ وجهيْنِ اثنيْنِ:

أحدُهما: أنْ يكونَ ذلكَ منهم إنكارًا للرّحمن أنْ يكونَ إلهًا مُرسِلًا.

والآخرُ: أنْ يكونُ ذلكَ إنكارًا أنْ يكونوا للرحمنِ رُسُلًا[3].

---

[1] انظر: الشّوكاني، فتح القدير، 605/1.

[2] انظر: فاضل صالح السّامرائيّ، التّعبير القرآني، ص173.

[3] انظر: الماورديّ، النّكت والعيون، 11/5.

أمّا في الآيةِ الثّانيةِ فكانَ النّفيُ لِأنَّهم لا يعترفونَ ولا يؤمنونَ بأنَّ اللهَ يُمكِنُ أنْ يكونَ قد أنْزَلَ شيئًا على أيّ رسولٍ عبرَ الزَّمَنِ، ولعلّ التّعبيرَ بالتّفعيلِ إشارةٌ إلى إنكارِهم الفِعلَ بالاختيارِ المُلازِمِ للتّدريجِ– تعالى الله عن ذلكَ علوًّا كبيرًا[1].

ويقفُ الباحثُ على مواضِعَ مُمثَّلةٍ يظهرُ فيها تباينُ استعمالِ الصّيغةِ الصّرفيّةِ الآتي مِن اختلافِ السّياق القرآنيّ المُودَعِ فيهِ الجذر (ن ز ل)، وهي:

- **قوْلُهُ تعالى:** ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ**﴾ [ق 9].
- **وقوْلُهُ تعالى:** ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ**﴾ [المؤمنون 18].
- **وقوْلُهُ تعالى:** ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا**﴾ [الفرقان 48].
- **وقوْلُهُ تعالى:** ﴿**خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ [لقمان 10].

ويُلاحِظُ الباحِثُ ممّا سبقَ أنَّ الموضِعَ الأوّلَ جاءتْ صيغةُ (نزّلنا) فيهِ مُشدَّدةً، بينما جاءتِ الصّيغةُ المُتعدّيةُ بالهمزِ في المواضِعِ الأُخَر، وللسّياقِ أبعدُ الأثرِ في تحديدِ الصّيغةِ؛ ذلكَ أنَّهُ "لمّا كانَ إنزالُ الماءِ أَبْهَرَ الآياتِ وأدلَّها على أنَّهُ أجَلَّ مِنْ أنْ يُقالَ: إنّهُ داخلَ العالمِ أو خارِجَهُ، أو مُتّصِلٌ بِهِ أوْ مُنْفصِلٌ عَنْهُ، مَعَ أنّ بِهِ تكونُ النّباتُ وحصولُ الأقواتِ وبِهِ حياةُ كُلِّ شيءٍ أفردَهُ تنبيهًا على ذلكَ فقالَ: (ونَزّلْنا) أي: شيئًا فشيئًا في أوقاتٍ على سبيلِ التّقاطُرِ

[1] انظر: البقاعي: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 237/20.

وبِما يُناسِبُ عَظَمَتَنا التي لا تُضاهَى بِغَيْب[1]، ثمَّ إنَّ هذا الماءَ المُنزَّلَ مِنَ السّماءِ فيهِ المنفعةُ، وتحقيقُ المنفعةِ إنّما يكونُ في إنزالِهِ مُبارَكًا تدريجًا وتكثيرًا وتأكيدًا، لِيعمَّ الخيرُ والرّزقُ، وبِهِ يكونُ النّباتُ والجنّاتُ.

أمّا في قوْلِهِ تعالى: **(وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ)** مِن سورةِ المؤمنون، فجاءتْ صيغةُ الفِعلِ (أنزلنا) بهمزةِ التّعديةِ؛ لِتُناسِبَ السّياقَ الذي هو سياقُ تعظيمٍ للهِ عزَّ وجلَّ أوّلًا، وإظهارِ قدرتِهِ في السّماواتِ والأرضِ ثانيًا، "وأنَّ ذلكَ الماءَ الذي أَنْزَلَهُ مِنَ السّماءِ أَسْكَنَهُ في الأرضِ لِيَنْتفِعَ بِهِ النّاسُ في الآبارِ والعيونِ ونَحْوِ ذلك. وأنّهُ –جلَّ وعلا– قادِرٌ على إذهابِهِ لو شاءَ أنْ يُذْهِبَهُ فيَهْلِكُ جميعُ الخَلْقِ بِسببِ ذهابِ الماءِ مِنْ أصلِهِ جُوعًا وعَطَشًا وبيّنَ أنّهُ أَنْزَلَهُ "بِقَدَرٍ" أيْ: بمقدارٍ مُعيّنٍ عِنْدَهُ يحصُلُ بِهِ نفعُ الخَلْقِ ولا يُكَثِّرُهُ عليْهِم، حتّى يكونَ كطوفانِ نوحٍ لِئلّا يُهلِكَهم، فهو يُنْزِلُهُ بالقَدَرِ الذي فيهِ المَصْلَحَةُ، دُونَ المَفْسَدَةِ سبحانَهُ"[2].

وفي موْضِعِ سورةِ الفرقان، إذ يقولُ تعالى: **(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا)** مجيءُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ (أفعل) في الفعلِ (أنزلنا)، لِيُناسِبَ ذلكَ سياقَ الآيةِ، حيثُ جُملةُ الآياتِ الكوْنيّةِ والمُعجِزاتِ العُلْويّةِ التي مِنها إنزالُ الماءِ، بعدَ إرسالِ الرّياحِ وتحريكِ السّحابِ، "ولمّا كانَ في إنزالِ الماءِ مِنَ الدّلالةِ على العظمةِ بإيجادِهِ هنالك، وإمساكِهِ ثُمَّ إنزالِهِ في الوقتِ المُرادِ والمكانِ المُختارِ على حسَبِ الحاجةِ ما لا يخفى، غيَّرَ الأُسلوبَ مُظهِرًا للعَظَمةِ، فقالَ: **(وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ)**[3]، وأنَّ في إنزالِهِ دفعةً واحدةً إظهارَ مزيدِ قدرةٍ وعظَمةٍ، حيثُ لا مُمْسِكَ للماءِ غيرُهُ جلَّ جلالُهُ وعظمَ سلطانُهُ.

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 412/18.

[2] انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، 327/5.

[3] انظر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، 401/13.

وفي قوْلِهِ تعالى: **(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ)** دلائلُ على قدرةِ اللهِ –جلَّ وعلا– في الكونِ، وليسَ لأحدٍ القدرةُ على الخَلْقِ والإبداعِ، فهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ، القادرُ على كلِّ شيءٍ، العزيزُ الحكيمُ. وإنَّ هذا الماءَ وإنْ كانَ لهُ مزيدُ عنايةٍ واهتمامٍ فهو نِعمةٌ مِنَ النّعمِ، ودليلٌ مِنَ الدّلائلِ على قدرتِهِ سبحانَه وتعالى، فلَم يُلتفَت في هذا السّياقِ إلى كمّ الماءِ المُنزَلِ ولا إلى تكثيرِهِ أو تتابعِ نزولِهِ وتدريجِهِ، ولذلكَ عَدَلَ عن صيغةِ (نزّلنا) إلى صيغةِ (أنزلنا) التي هي أعمُّ وأشملُ، فبالماءِ "الحياةُ للحَيَوانِ والنّباتِ؛ نباتِ الأرضِ أشجارِها وزرعِها. ويُمكنُ أنْ يُؤوّلَ نباتُ الأرضِ على أنّ النّاسَ هُمْ نباتُ الأرضِ، فمَنْ دَخَلَ الجنّةَ فهو كريمٌ ومَنْ دَخَلَ النّارَ فهُوَ لئيمٌ"[1].

[1] انظر: الماورديّ، النكت والعيون، 330/4.

المَقولاتُ الكُلّيَّةُ

بدأ الباحثُ دراستَهُ بِمُقدّمةٍ يُوجّهُ فيها بحثَهُ صوْبَ ما تعتريهِ صيغُ الجذرِ اللُّغويّ (ن ز ل) في القرآنِ الكريمِ مِن دلالاتٍ، واقفًا عِندَ مقولاتٍ كُليَّةٍ عِدّتُها خمسٌ، مُجلّيًا لها بالأمثلةِ والشّواهدِ، وهذهِ المقولاتُ الخَمسُ هي:

- **التَّحَسُّسُ**
- **والتَّنْقيبُ**
- **والتَّبَيُّنُ**
- **والبَيانُ**
- **والفاتِحَةُ**

فأمّا المقولةُ الأولى فَتحسُّسٌ لِمواضِعِ الصّيغِ الاسميّةِ والفعليّةِ المُودَعِ فيها الجذرُ اللُّغويُّ (ن ز ل) في التّنزيلِ العزيزِ، ومِن ثَمَّ استعراضُ الدِّلالاتِ المُعجميّةِ والسّياقيّةِ التي وقفَ الباحِثُ عليْها تجليةً وبيانًا، ومِنها دلالةُ الهبوطِ مِن علوٍّ، ودلالةُ الإيصالِ والإبلاغِ... وغيرُهما. ففي قوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون 18] دلالةٌ جليّةٌ للهبوطِ؛ هبوطِ الماءِ المُنزَلِ مِن علوٍّ إلى الأرضِ وتخزينِهِ لانتفاعِ النّاسِ بِهِ، حيثُ ماءُ الأنهارِ والعيونِ وما يستقيهِ النّاسُ مِنَ الآبارِ، وفي قوْلِهِ تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً) "إشارةٌ إلى الماءِ العذْبِ، وأنَّ أصلَهُ مِنَ البحرِ، رفعَهُ اللهُ تعالى بِلُطْفِهِ وحُسنِ تدبيرِهِ وتقديرِهِ مِنَ البحرِ إلى السّماءِ، حتّى طابَ بذلكَ الرَّفعِ والتّصعيدِ، ثُمّ أنزَلَهُ إلى الأرضِ لِينتَفِعَ بِهِ، ولو كانَ الأمرُ إلى ماءِ البحرِ لَما انتفعَ بِهِ مِنْ ملوحتِهِ"[1]، فطابَ لمّا ارتفع وبِهبوطِهِ نَفَع.

---

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 112/12.

وربّما يكونُ للإنزالِ دلالةٌ لفظيّةٌ تشريفيَّةٌ بالعلوّ، وسياقيّةٌ بالإيصالِ والإبلاغِ، ومِن ذلكَ إنزالُ الملائكةِ للنّصرِ، وإنزالُ المطرِ لانتفاعِ النّاسِ بهِ، أو لِأنْ يكونَ عذابًا للكافرينَ منْهم، وكذلكَ إنزالُ السّكينةِ كما في قوْلِهِ تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح 26].

ثُمّ ما كانَ مِنَ الباحثِ إلّا أنْ يتحسّسَ الصّيغَ الاسميّةَ والفِعليّةَ المُودَعَ فيها الجذرُ (ن ز ل) في التّنزيلِ العزيزِ، مُبيّنًا دلالةَ الاسمِ ودلالةَ الفِعلِ وصورَ كُلٍّ منهما، ومبرزًا الدّلالةَ المُعجميّةَ في بعضِ المواضعِ الشّريفةِ، ومِن مُثُلِ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات 177]، إذ في الفِعلِ (نَزَلَ) معنى النّازلةِ والمُصيبةِ التي حلَّتْ بالقوْمِ الكافرينَ سواءٌ أكانَ النّزولُ بِدارِهم ظرفًا أو بالعذابِ إلصاقًا، وفي ذلكَ تعدُّدٌ للمعاني في سياقِ الجذر (ن ز ل) التّركيبيّ.

ويحصُرُ الباحِثُ –مِن بعدِ التّحسُّسِ– الزّوائدَ التّصريفيّةَ على الفعلِ (نزل) في ثلاثِ صيغٍ: (أفعل)، و(فعّل)، و(تفعّل). يقفُ على معانيها والسّياقَ الذي جاءتْ فيهِ، فقوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر 9] مُستودَعٌ للصيغةِ (فعّلنا– نزّلنا) الحمّالةِ للمعاني: التأكيدِ، والتّكثيرِ، والتّدرُّجِ؛ تأكيدًا على أنَّ القرآنَ المُنزَّلَ ذِكرٌ حكيمٌ محفوظٌ نَزَلَ وبَلَغَ، وتكثيرًا لِحَدَثِ التّنزيلِ مُبالغةً وزيادةً في الحِفظِ، وتدرُّجًا لِما فيهِ مِنَ الأحكامِ التي تنزّلتْ مرّةً بعدَ مرّةٍ بالتّدريجِ حتّى يكونَ الفَهْمُ ويَسهُلَ الحِفظُ.

التّنقيب:

وأمّا المقولةُ الثّانيةُ فالتّنقيبُ عنِ القراءاتِ المتواترةِ التي جاءَ فيها الجذرُ (ن ز ل) ومشتقّاتُهُ، وعنْ أثَرِ هذهِ القراءاتِ في تغيُّرِ الدّلالةِ المُعجميّةِ، وتعدُّدِ المعاني الصّرفيّةِ والنّحويّةِ، ولعلّ في التّنقيبِ عنِ القراءاتِ دافعًا للباحثِ لِتجليةِ الوجوهِ التي تحملُها البِنيةُ

اللُّغويّةُ صرفًا وتركيبًا، ومِنَ الأمثلةِ المُعجِبةِ الدّالّةِ على ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد 20]، إذ تتحقّقُ الوظيفةُ النّحويّةُ في الآيةِ السّابقةِ مِن جهةِ القراءاتِ، وتحديدًا في قراءةِ (سورة) مرفوعةً وقراءةِ الفعل (نَزَلتْ)، وقراءتِها منصوبةً، ولعلَّ انفتاحًا دلاليًّا يُفضي إلى تعدُّدِ القراءاتِ الذي بِدوْرِهِ يُفضي إلى تعدُّدِ الصّيغِ الصّرفيّةِ.

وفي قوْلِهِ تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء 193] تعدُّدٌ في قراءةِ لفظِ المُجرّدِ الثّلاثيّ (نزل)؛ إذ قُرئَ بِزايٍ خفيفةٍ، وقُرئَ بالزّاي المُشدّدةِ، فكانتِ (الرّوح) في الأولى مرفوعةً، وفي الأخرى منصوبةً، وهذا التّعدّدُ يُفضي بالتّأكيدِ إلى تعدُّدٍ في الوظيفةِ التّركيبيّةِ التي تتباينُ بِتباينِ البِنيةِ الصّرفيّةِ. وثمّةَ لفتةٌ بلاغيّةٌ عجيبةٌ آتيةٌ مِنْ جهةِ تعدُّدِ القراءةِ؛ ذلكَ أنَ في الجَمْعِ بيْنَ القراءتيْنِ تظهرُ كرامةُ التّنزيلِ، فهي مِنْ جهةِ النّصبِ تنزيلٌ مِنَ الله –عزَّ وجلَّ– الفاعلِ جلَّ في عُلاهُ، ومِنْ جهةِ الرّفعِ تنزيلٌ مَعَ جبريلَ عليْهِ السّلامُ، فتجتمِعُ للنّبيّ الأكرمِ –صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم– الكرامةُ مِنْ حيثُ المُنزَّلُ والمُنزَّلُ مَعَهُ.

وكذلكَ التّنقيبُ عن دورِ البِنيةِ الصّرفيَّةِ في تعدُّدِ المعاني الصّرفيّةِ والمُعجميَّةِ، ومِنْ مُثُلِ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون 29]، إذ إنَّ اشتراكًا صرفيًّا في بِنيةِ اللّفظةِ (مُنزَلًا) أدّى إلى تعدُّدٍ في المعاني، حيثُ المصدريةُ والمكانيّة، كما أنَّ ثَمّ تعالُقًا صرفيًّا مُعجميًّا باعثُهُ الصّيغةُ الصّرفيّةُ (مُفعِل) الحمّالةُ لأكثرَ مِن معنًى، وذلكَ في موضِعٍ آخرَ، يقولُ اللهُ تعالى فيهِ: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [يوسف 59]، ففي لفظةِ (المُنزِلينَ) دلالتا الطّعامِ والمأوى؛ فالمُنزِلونَ المُضيفونَ، والمُنزِلونَ خيرُ مَنْ نزلْتُم عليْهِ مِنَ المأمونينَ، والتّأويلُ الأوّلُ مأخوذٌ مِنَ النُّزُلِ، وهو الطّعامُ، والتّأويلُ الثّاني مأخوذٌ مِنَ المَنْزِلِ، وهو الدّارُ.

ومِن منطلقِ أنّ لكلِّ مقامٍ مقالًا يُناسبُهُ ويُبيّنُهُ، وأنَّ لكُلِّ سياقٍ أبنيتَهُ وتركيباتِهِ، جاءَ قوْلُهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا* أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا﴾ [الإسراء 90-91] بصيغةِ (تفعُل) في الفِعلِ (تفجُر) للينبوعِ، وجاءَ بالصّيغةِ (تفعّل) في الفِعلِ (تفجّر)؛ لِيُناسبَ التّعبيرُ الأنهارَ، وليسَ الينبوعُ كالنّهرِ، إذ يقولُ تعالى في سورةِ الكهف: ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾ [الكهف 33]. أمّا الينبوعُ فناسبَهُ الصّيغةُ غيرُ المُضعّفةِ بالتّشديدِ، "فالتّفجيرُ أشدُّ مِن مُطلَقِ الفَجْرِ، وهو تشقيقٌ شديدٌ باعتبارِ اتّساعِهِ"[1].

ويظهرُ اختلافُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ المتعلّقةِ بالجذر (ن ز ل) جليًّا في مواضِعَ عدّةٍ، منها ما كانَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف 40]، وقوْلِهِ تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف 71]، ففي سورةِ يوسف كانَ السّؤالُ عنِ الرّؤيا، ولم يُجادلِ الفتيانِ في السّجنِ يوسفَ –عليْهِ السّلامُ– لمّا أنكرَ عليْهما بالاستفهامِ عبادةَ الأصنامِ؛ ذلكَ أنَّ عبادتهم للأصنامِ باطلةٌ، فلمّا لم يكنْ هناكَ جدالٌ ناسبَ السياقَ صيغةُ (ما أنزلَ).

أمّا في سورةِ الأعرافِ فقولُهُ تعالى: (أَتُجَٰدِلُونَنِي) يعني أنَّ جدالًا حصلَ، فقد وقعَ عليْهم عذابٌ مِنَ اللهِ، ثُمّ كانَ "الإنكارُ والاستقباحُ لإنكارِهم مجيئَهُ –عليْهِ السّلامُ– داعيًا لهم إلى عبادةِ اللهِ تعالى وحدَهُ وتركَ ما كانَ يعبُدُ آباؤُهم مِنَ الأصنامِ"[2]، وهذا الإنكارُ وهذهِ المُجادلَةُ يحتاجانِ إلى تعبيرٍ أشدَّ مِن لفظِ (ما أنْزَلَ)، ولذلكَ عُبِّرَ عن سياقِ الأعرافِ بلفظِ (ما نزّلَ) بالتّشديدِ، والتّشديدُ في (نزّل) أعلى قوّةً في الحدثِ وأكبرُ تأكيدًا منْهُ في (أنزل).

---

[1] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 207/15.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 397/4.

التّبيُّن:

وأمّا المقولةُ الثّالثةُ فالتّبيُّنُ أو التّثبُّتُ لِما يُمكنُ أنْ يكونَ محلَّ اختلافٍ أو ائتلافٍ في بعضِ المعاني الحقيقيّةِ والمجازيّةِ للجذرِ (ن ز ل) أو إحدى صِيَغِهِ الصّرفيّةِ في ضَوْءِ السّياقِ القرآنيّ، ولِما يُمكنُ أنْ ينبثقَ مِنْ ذلكَ مِن خلافاتٍ فقهيّةٍ في التّفسيرِ... وقد جاءَ في البحْثِ في مُقدّمةِ الفَصْلِ الأخيرِ أنَّ مسألةَ الإنزالِ إمّا أنْ تكونَ مختصّةً بإنزالِ القرآنِ أو تنزيلِهِ أو تنزُّلِهِ، وإمّا أنْ تكونَ مختصةً بالكُتُبِ السّماويّةِ، وإمّا أنْ تكونَ إنزالًا لِغيرِ ذلكَ مِن مِثلِ إنزالِ المائدةِ، والمنِّ والسّلوى، واللّباسِ... وغيرِها. أمّا القرآنُ فنزَلَ –كما ذُكِرَ في التّفسيرِ– إلى السّماءِ الدّنيا، ثُمّ نزَلَ على رسول الله –صلّى الله عليْهِ وسلّم– مُفرَّقًا، وأمّا الكتبُ السّماويّةُ فَنَزَلتْ دُفعةً واحدةً مِصداقًا لِقوْلِهِ تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران 3]، وأمّا إنزالُ المائدةِ والمنّ والسّلوى واللّباسِ فتتردَّدُ فيهِ الحقيقةُ والمجازُ، ومِنْ ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف 26]؛ إذ يُحتمَلُ أنْ يكونَ تيسيرُ اللّباسِ لِلنّاسِ إنزالًا، لِقصدِ تشريفِ هذا المظهرِ، فهو إمّا مُنزَّلٌ على النّاسِ مِن عِندِ اللهِ عزَّ وجلَّ، أو لِأنَّ الذي كانَ مِنَ اللّباسِ على آدمَ –عليهِ السّلامُ– نزَلَ بِهِ مِنَ الجنّةِ إلى الأرضِ، وعليْهِ فإنَّ للحقيقةِ والمجازِ أثرًا جليًّا في فَهمِ المعنى القرآنيّ وتوجيهِهِ، وأنَّ هذا الأثرَ يجعلُ لِلّفظةِ القرآنيّةِ اتّساعًا وحضورًا في الذّهنِ، ويُكسبُها بلاغةً وبيانًا.

ومِنْ أمثلةِ المجازِ المُودَعِ في الجذرِ اللّغويّ (ن ز ل) تنزيلُ الرّزقِ مِنَ السّماءِ، حيثُ المجازُ المُرسَلُ القائمُ على علاقةٍ مُسبَّبيّةٍ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر 13]، فالماءُ الحقيقيُّ المُنَزَّلُ مِنَ السّماءِ إلى الأرضِ سببٌ في حصولِ الزّرعِ وتحصيلِ الرّزقِ، في مظهرٍ مِنْ مظاهرِ العَظَمَةِ وآيةٍ مِنَ الآياتِ الكوْنيّةِ العُلْويّةِ التّشريفيَّةِ.

البيان:

وأمّا المقولةُ الرّابعةُ فالبيانُ لِجُمْلةٍ مِنَ التّشكيلاتِ الأُسلوبيّةِ التي أوردَها الباحِثُ في الفصلِ الأخيرِ مِن دراستِهِ إغناءً لِمادّتِهِ أوّلًا، وإعجابًا بالنّكاتِ البلاغيّةِ الآتيةِ مِنها ثانيًا، وتحقيقًا للتّعالُقِ الحاصِلِ في المُستوياتِ اللُّغويّةِ، ولا سيّما الصّرفيّ والأسلوبيّ منها، وما ينتجُ عن هذا التّعالُقِ مِنْ أساليبَ يختصُّ بها نَظمُ القرآنِ وسبْكُهُ المُعجِزانِ ثالثًا.

ومِنَ الأمثلةِ المُعجِبَةِ الدّالّةِ على ذلكَ قوْلُهُ تعالى: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ* تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾ [طه 3–4]، إذ إنَّ صيغةَ المصدرِ (تفعيل) المُودَعَ فيها الجذرُ (ن ز ل) أفضتْ إلى تعدُّدٍ في أوْجُهِ الإعرابِ في لفتةٍ عجيبةٍ عِمادُها التّعالُقُ اللُّغويّ: الصّرفيُّ والتّركيبيُّ؛ ففي نصبِ المصدرِ (تنزيلًا) أوجُهٌ: أحدُها أنْ يَكونَ بدلًا مِن (تذكرةً) إذا جُعِلَ المصدرُ (تذكِرةً) حالًا، وثانيها أنْ يَنتَصبَ بـ(نزَّل) مُضمَرًا، وثالثُها أنْ ينتَصِبَ على المدحِ والاختصاصِ، ورابعُها أنْ يَنتَصِبَ بـ(يخشى) مفعولًا بِهِ، وتقديرُ ذلكَ: أَنْزَلَهُ لِلتّذكرةِ لِمَنْ يخشى تنْزيلَ اللهِ[1]. ويُلاحَظُ ممّا سبَقَ أنَّ البِنيةَ الصّرفيّةَ للمصدرِ (تفعيل–تنزيل) ارتبطتْ بِوظائفَ نحْويّةٍ مخصوصةٍ، ومنها البدليّةُ والمفعوليّةُ، وهذا ما يُبيّنُ دورَ البِنيةِ الصّرفيَّةِ في تحديدِ الإعرابِ وتعدُّدِهِ.

ومِن جُملةِ الظّواهرِ الأسلوبيّةِ التي أغنى الباحثُ بها دراستَهُ ظاهرةُ العُدولِ أو الالتفاتِ؛ إذ يُعَدُّ العدولُ اللّغويُّ وجهًا مِن وجوهِ الإعجازِ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، وهو درسٌ مِنْ دروسِ الأُسلوبيّةِ ينتَظِمُ بِهِ السّياقُ ويُحكَمُ، ومِن ذلكَ ما كانَ التفاتًا عنِ الإضمارِ إلى الإظهارِ في قوْلِهِ تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسراء 105]؛ تفخيمًا.

وثمّةَ مواضِعُ مخصوصةٌ يُعدَلُ فيها عن صيغةِ الغَيْبَةِ إلى صيغةِ التّكلُّمِ، ومِنها ما كانَ تعظيمًا، أو لِمزيدِ عنايةٍ وحُسنِ تدبُّرٍ ونظرٍ، وذلكَ في قوْلِهِ تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [التغابن 8]، ولعلَّ مرجِعَ الالتفاتِ عنِ

[1] انظر: السّمين الحلبيّ، الدُّرّ المصون، 11/8.

الغَيْبَةِ إلى التّكلُّمِ –ههنا– السّياقُ، حيثُ النُّورُ القرآنُ الذي أنزَلَهُ اللهُ –عزَّ وجلَّ– على نبيّهِ –صلّى الله عليْهِ وسلّم– فكانَ معجزةً عُلْويّةً مُشرّفةً، ولذلكَ كانَ الالتفاتُ إلى نونِ العَظَمَةِ؛ لِإبرازِ العِنايةِ بِأمرِ الإنزالِ، وفي ذلكَ مِنْ تعظيمِ شأنِ القرآنِ ما فيهِ[1]، ولعلَّ سرًّا مِنْ أسرارِ هذا الالتفاتِ آخرَ مفادُهُ زيادةُ التّرغيبِ والتّذكيرِ؛ ترغيبًا في الإيمانِ بِما جاءَ في القرآنِ الكريمِ المُنزَلِ، وتذكيرًا بأنَّهُ مُنزَّلٌ مِنَ الله تعالى؛ لأنَّ ضميرَ التّكلُّمِ أشدُّ دلالةً على مَعادِهِ مِن ضميرِ الغائِبِ[2].

الفاتحة:

وأمّا المقولَةُ الخامسةُ فالفاتحةُ، وهي أنْ تكونَ هذهِ الدّراسةُ فاتحةً لِأوراقٍ بحثيّةٍ أكثرَ تخصيصًا، وأكملَ عرضًا، وأوفى بيانًا، فما جاءَ بِهِ الباحثُ ما هو إلّا غيضٌ مِنْ فيْضٍ، وأنَّ هذا الغيْضَ اختصَّ بـ:

- جذرٍ لغويّ مُعيَّنٍ، ألا وهو الجذرُ (ن ز ل)، أوّلًا.
- وعرضٍ مُقتَضَبٍ لِما تجلَّتْ بِهِ صيغُ هذا الجذرِ الاسميّةُ والفعليّةُ على المستويْنِ الصَّرفيّ والمُعجميّ في القرآنِ العظيمِ، ثانيًا.
- ومواضِعَ قرآنيّةٍ ممثّلةٍ على الظّواهرِ اللُّغويّةِ التي تطرَّقَ الباحِثُ إليْها مِنْ مِثلِ العُدولِ اللّغويّ، والتّعالُقِ في المستوياتِ اللُّغويّةِ، ومعاني الأبنيةِ الصّرفيّةِ، وبعضِ أساليبِ النّظمِ القرآنيّ كالتّقديمِ والتّأخيرِ، والقَصرِ، والحذفِ، ثالثًا.

وأخيرًا، فإنّي أُشهِدُ اللهَ –عزَّ وجلَّ– أنّي بلَغْتُ ما أنا فيهِ مِنَ البحثِ العِلميّ المتواصِلِ لِأكثرَ مِنْ سنتيْنِ مَعَ ما بِهِ مِنَ النَّصَبِ والجَهدِ؛

- مُحتسبًا ذلكَ أجرًا وثوابًا.

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 14/ 318.

[2] انظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، 28/ 273.

- ومُستبشرًا بِما هو آتٍ مِن نِعمِ ربّي القائلِ في مُحكَمِ التّنزيلِ: ﴿۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران 171].
- وسائلًا الله أنْ أكونَ أهْلًا للبَحثِ، وطالبًا مِنْ طُلّابِهِ، وحقيقًا بأملِ أستاذي الدكتور مهدي عرار فيّ الموقّعِ إهداءً على كتابِهِ المُشترَكِ اللُّغَويّ في القرآنِ الكريمِ: "إلى المُهنَّدِ أملًا بسيرورةٍ بحثيّةٍ شارقةٍ... ".

وآخرُ دعوايَ أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

قائمةُ المصادِرِ والمراجِعِ

القرآن الكريم

1. إبراهيم الأبياري، **الموسوعة القرآنية**، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1984م.
2. أحمد عبد العزيز درّاج، **الدلالة المعجمية وآليات التوليد الدّلاليّ دراسة تطبيقيّة مقارنة**، مجلة علوم اللغة، القاهرة، المجلد الرابع، العدد الرابع، 2001م.
3. الأعشى، ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى**، شرح وتعليق محمد محمد حسين، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.
4. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ.
5. الباقلّاني، أبو بكر محمّد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق السّيّد أحمد صقر، ط5، دار المعارف، مصر، 1997م.
6. البخاري، محمّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، باب غزوة خيبر، تحقيق محمد زهير بن ناصر، ط1، دار طوق النّجاة، 1422هـ.
7. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984م.
8. تمّام حسّان:

أ. **البيان في روائع القرآن**، ط1، عالم الكتب، القاهرة.

ب. **اللّغة العربية معناها ومبناها**، ط5، عالم الكتب، 2006م.

9. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، **النّشر في القراءات العشر**، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

10. جنان جاسم خضير، **أثر السّياق في العدولِ الصّرفيّ في القرآنِ الكريمِ**، مجلّة الأطروحةِ للعلومِ الإنسانيّة، دار الأطروحة للنّشرِ العلميّ، العدد الخامس، 2017م.

11. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان:

أ. **الخصائص**، تحقيق محمّد علي النّجار، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.

ب. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق عليّ النّجدي ناصف وعبد الحليم النّجار وعبد الفتّاح شلبي، ط2، دار سزكين للطّباعة والنّشر، 1986م.

12. حلمي خليل، **مقدّمة لدراسةِ علمِ اللّغة**، ط2، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، 2003م، ص29.

13. الحملاوي، أحمد بن محمد، **شذا العرف في فن الصرف**، ط12، دار الكيان للطّباعة والنّشر، الرياض، 1957م.

14. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، **مُسنَد أحمد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط- عادل مرشد، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001م.

15. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق عبد المجيد النوتي وأحمد الجمل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

16. الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

17. الرّازي، فخر الدين، **مفاتِح الغيب**، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

18. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان داودي، ط4، دار القلم، دمشق، 2009م.

19. الرّضي الأستراباذي، نجم الدين محمد بن الحسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ.

20. الزّجاج، أبو إسحاق، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

21. الزّركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1972م.

22. الزِّرِكْلِيّ، خير الدّين، **"الأعلام" قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 2007م

23. الزّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر:

أ. **أساسُ البلاغة**، تحقيق محمد باسل عيون السّود، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م.

ب. **الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.

24. الزّوزني، حسين بن أحمد، **شرح المعلّقات السّبع**، ط1، دار إحياء التّراث العربي، 2002م.

25. ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللّغة**، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، 1962م.

26. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

27. السّمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، **الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق.

28. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.

29. السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

أ. **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ.

ب. **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، 2011م.

ج. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق أحمد شمس الدّين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م.

30. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

31. شهاب الدين الدّمياطي، أحمد بن محمد، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تحقيق أنس مهرة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ.

32. الشّوكاني، محمّد بن علي، **فتح القدير**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ.

33. الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ.

34. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.

35. ابن عاشور، محمد الطّاهر، **التحرير والتّنوير**، الدار التونسيّة للنّشر، تونس، 1984م.

36. عبد السلام المسدي، **الأسلوبية والأسلوب**، ط5، دار الكتاب الجديد، لبنان، 2006م.

37. عبد الصّبور شاهين، **المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصّرف العربي**، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1980م.

38. عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م.

39. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

40. الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

41. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ.

42. فاضل صالح السّامرائي:

أ. **بلاغة الكلمة في التّعبير القرآنيّ**، ط2، دار ابن كثير، بيروت، 2016م.

ب. **التّعبير القرآنيّ**، ط4، دار عمار، عمّان، الأردن، 2006م.

ج. **الجملة العربية والمعنى**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2000م.

د. **مراعاة المقام في التعبير القرآني**، ط2، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 2019م.

هـ. **معاني الأبنية في العربيّة**، ط2، دار عمار، عمّان، الأردن، 2007م.

43. فردينان دي سوسير، **علم اللغة العام**، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، 1985م.

44. فضل عبّاس، **أساليب البيان**، ط2، دار النّفائس للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، 2009م.

45. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ.

46. القرشي، أبو زيدٍ، **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق محمد البجاري، (د.ط)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

47. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنة وآي القرآن**، تحقيق عبد الله التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م.

48. القزويني، محمد بن عبد الرّحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت.

49. لطيفة إبراهيم النجّار، **دور الأبنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها**، ط1، دار البشير، عمّان، 1993م.

50. ابن مالك، جمال الدين، **شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ**، تحقيق عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1977م.

51. الماورديّ، أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون**، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

52. محمّد إبراهيم عبد السّلام، **ظاهرة العدول في اللّغة العربيّة**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1989م.

53. محمّد الأمين الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، 2001م.

54. محمد رجب الوزير، **الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربيّة دراسة في ضوء السياق القرآني**، مجلة علوم اللغة، المجلّد الأول، العدد الثاني، 1998م.

55. محمد عبد الوهّاب شحاتة، **مفهوم المورفيم في علم اللّغة الحديث، دراسة نظرية ومحاولة تطبيقية في العربيّة**، مجلة علوم اللّغة، القاهرة، المجلّد الأول، العدد الأول، 1998م.

56. محمّد ويس، **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، 2005م.

57. مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيرواني، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، ط1، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، 1429هـ.

58. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

59. مهدي عرار، **المشترك اللّغويّ في القرآن الكريم**، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2012م.

60. الميدانيّ الدّمشقيّ، عبد الرّحمن بن حسن، **البلاغة العربيّة**، ط1، دار القلم، دمشق، 1996م.

61. النَّوْزاوازِي، محمد بن أبي نصر، **المُغني في القراءاتِ**، تحقيق محمود بن كابر الشّنقيطي، ط1، سلسة الرسائل العلميّة، الجمعيّة العِلميّة السّعوديّة للقرآنِ الكريمِ وعُلومِهِ، 2018م.

62. ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، **شرح المفصّل للزمخشري**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.